

أدهم شرقاوي

" قس بن ساعدة "

kalemat

رَسَائِلُ مِنَ الصَّحَابَةِ

رَسَائِلُ مِنَ الصَّحَابَة

أدهم شرقاوي

دار كلمات للنشر والتوزيع
البريد إلكتروني:
Dar_Kalemat@hotmail.com
الموقع الإلكتروني:
www. kalemat.com
الكويت - المرقاب - ق 1 - ش عبدالله المبارك - برج NBT. - دور 9

جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

* All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

ردمك: 978-9921-809-31-2

طبع في مطابع الخط - الكويت

رَسَائِلُ مِنَ الصَّحَابَة

أدهم شرقاوي

2024

kalemat

إلى كلِّ الذينَ يتَمنَّونَ لو كانُوا صَحَابةً،
لأنّهم يعرِفُون أنَّه ما فاتَهمُ من الدُّنيا شيءٌ إلا،
رؤيةَ النَّبيِّ ﷺ!
إلى الذينَ في قلوبِهِم حنينٌ كحنينِ الجِذْعِ بل أشدّ،
ويحبُّونه حُبًّا كجبلِ أحدٍ بل أقوى،
فهؤلاءِ جمادٌ وأنتم لحمٌ ودمٌ!
إليكم جميعاً أُهدي هذا الكتاب،
وحسبكُم من تهدئةِ الشَّوقِ أنَّ الموعدَ معَه على الحوضِ!

1

أَئِنَّا لكَائنُون بعدكَ؟!

في موطَّأ الإمام مالك:
قالَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابه: لا أدري ما تُحدِثُونَ بعدي!
فبكى أبو بكر، ثمَّ بكى، ثم قال: أئِنَّا لكائنُون بعدكَ؟!
السَّلامُ عليكَ يا سيّدنا، وقدوتنا، وشفيعنا، وتاج رؤوسنا،
السَّلامُ عليكَ يوم وُلدتَ، ويوم مِتَّ، ويوم تُبعثُ سيِّداً للعالمين،
السَّلامُ على بطنكَ الجائع في الشِّعب ليكون لنا دين!
السَّلامُ على دمكَ النَّازف في الطَّائف وأُحد لتكونَ لنا عقيدة!
السَّلام على دمعكَ يوم الهجرة ليكون لنا عزٌّ ودولة!
السَّلام على قدميكَ المُتوَرِّمَتَين من قيام ليلةٍ كاملة تدعو فيها:
اللهُمَّ أمَّتي، اللهُمَّ أمَّتي!
السَّلامُ عليك لم يُهدِّئ خاطرك إلَّا نزولُ جبريل بوعد اللهِ لك:
إنَّا سنرضيكَ في أمَّتك،
السَّلام عليك نُحبُّكَ، ونحبُّ من يُحبُّكَ،
وعزاؤنا فيك أنَّ الموعد الحوض!

2

إنَّما نفسِي مطيَّتِي!

في كتابِ الزُّهدِ لعبدِ اللهِ بن المبارَكِ:

كانَ أبو ذرٍّ وقتَ قيلولتِه يعتزِلُ الصِّبيانَ لئلَّا يسمعَ أصواتَهُم!

فسُئِلَ عن هذا...

فقالَ: إنَّما نفسِي مطيَّتِي، وإن لم أرفِقْ بها لم تُبلِّغنِي!

اهتمَّ بنفسِكَ فإنَّ الآنيةَ الفارغةَ لا تصُبُّ،

خُذْ حظَّكَ من النَّوم لأنَّه ينعكِسُ على مزاجِكَ،

وخُذْ حظَّكَ من الثَّقافةِ لأنَّها تنعكسُ على أسلوبِكَ،

وخُذْ حظَّكَ من الرِّياضةِ لأنَّها تنعكسُ على نشاطكَ،

وخُذْ حظَّكَ من القرآنِ والذِّكرِ والصَّلاةِ لأنَّها تنعكسُ على روحكَ،

إذا أردتَ أن تهتمَّ بالآخرين اهتمَّ بنفسِكَ أوَّلاً!

3
فَرَدَّ نِكَاحَهُ!

روى البخاريُّ في صحيحِه:
إنَّ خنساء بنت خِذام كانت زوجةً لأُنيس بن قتادة،
فاستُشْهِدَ يوم أُحد،
فزوَّجها أبوها رجلاً من مُزينة،
فكرِهَتْه، فجاءت رسولَ الله ﷺ فردَّ نكاحه!
لا تُزَوِّج ابنتَكَ لمن لا تُريد الزّواج به ولو كان صالحاً،
فإنَّك إن فعلتَ فقد جنيتَ على اثنين،
على امرأةٍ كسرتَ قلبها وألحقتَها بغيرِ هواها،
وعلى رجلٍ سيعيشُ من امرأةٍ كارهةٍ له!
البنات أمانات ولسنَ أحمالاً على الظهر نُلقيهنَّ لأوَّل خاطب،
ننصحُ بالخاطب الخلوق، ونُبيِّن المحاسن، ونُذلل العقبات،
ولكن لا نُكرهُهُنّ أبداً!
الوأدُ لا يشملُ الأجساد فقط، الوأدُ يشملُ القلوب أيضاً!

4

ويَرَاهُ اليتيمُ فيبكِي!

في كتابِ الزُّهدِ للإمامِ أحمدَ بن حنبل:
كان الصَّحابةُ يكرهون أن يعُطيَ الرَّجلُ ابنَه الشّيءَ،
فيخرجُ به فيراهُ المسكينُ فيبكي على أهلِه،
ويراه اليتيمُ فيبكِي على أهلِه!
من أدبِ النِّعمةِ ألَّا تتباهَى بها أمامَ محرومٍ منها!
لا تُكثِرْ من الحديثِ عن أولادكَ أمام عقيمٍ،
ولا تُكثِرْ من الحديثِ عن مالكَ أمام فقيرٍ،
ولا تُكثِرْ من الحديثِ عن صحتكَ أمام مريضٍ،
النَّاسُ يتعايشُون مع ما ينقصُهُم ويكملُونَ حياتَهُم،
ولكن من النَّذالةِ أن ترُشَّ الملحَ على جروحِهِم!

5
أمُّ سليطٍ أحقُّ به!

في كتابِ فتحِ الباري على شرح صحيح البخاريِّ لابن حجرٍ:
قسمَ عمر بن الخطَّاب أثواباً بين نساءٍ من نساء أهل المدينة،
فبقيَ عنده ثوبٌ جيّدٌ، فسألهم: لمن أعطيه؟
فقالوا: أعطِه لابنة رسولِ الله ﷺ! يريدون أمَّ كُلثوم زوجتَه،
فقال عمر: أمُّ سليطٍ أحقُّ به، كانت تحملُ لنا القِربَ يوم أُحد!
النُّبلُ ألا تنسى في مواطن الجزاءِ مواطن التَّضحية،
وألا تنسى في الحاضرِ الرَّغيد رفاقَ الماضي الصَّعب،
وألا تُنسيكَ القمَّة من كانوا معكَ عند السَّفح،
وألا يُنسيكَ الوصول من كانوا معك في الطَّريقِ،
أُناسك ليس الذين صفقوا لكَ عند الوصول،
أُناسكَ هم الذين أخذوا بيدكَ حتى وصلتَ!

6
أتدرِي لِمَ احتبَسْتُكَ عندي؟!

جاء الأحنفُ بن قيس في وفد البصرة إلى عمر بن الخطَّاب،
فرأى منه عُمرُ عقلاً، ودِيناً، وحُسْنَ سَمْتٍ،
فتركه عنده سنةً، ثمَّ أحضرَهُ، وقال له:
يا أحنف: أتدري لِمَ احتبَسْتُكَ عندي؟!
فقال: لا يا أمير المؤمنين.
فقال له عمر: إنَّ النّبيَّ ﷺ حذَّرنا كلَّ منافقٍ عليم،
فخشيتُ أن تكون منهم!
ثم كتبَ له كتاباً إلى عامِلِه على البصرة يوصيه فيه:
الأحنفُ سيّدُ أهل البصرة!
الانطباع الأوَّل مهمٌ ولكن استأنِسْ به ولا تتَّبعه فوراً،
كُلُّنا لُسِعْنا لأنَّ المشهد الأوَّلُ كان فاتناً فصدَّقنَاهُ،
ثم أتَتِ العِشرة فتمنَّيْنَا لو أنَّنا حافظنا على دهشتِنَا ولم نقترب،
لا تُلقِ بنَفْسِكَ عندَ أوَّلِ شعورٍ بالإعجاب،
تريَّثْ يا صاحبي، كثيرٌ من الاحتراقِ كان خديعةَ لحظةِ الدِّفءِ الأولى!

7
فَوَجَدْتُ من ذلكَ وجْداً شديداً!

أخرجَ أبو نُعيم في الحِليَة عن الأحمريِّ أنَّه قال:

كنتُ وعدْتُ امرأتي بِعُمرةٍ،

فغزَوتُ، فوجدْتُ من ذلك وجْداً شديداً،

فشكوتُ ذلكَ إلى النَّبيِّ ﷺ،

فقال: مُرْها فلتَعْتَمِر في رمضان، فإنَّها تعدِلُ حَجَّةً!

يا للحُبّ يا صحابة النَّبيِّ ﷺ، يا للحُبّ!

هو في غزوةٍ وجهادٍ، يقوم بأشقِّ عبادة، ويُمسِكُ بذِرْوَةِ سنام الإسلام،

ولكنَّه حزين لأنَّه لم يفِ بوعدٍ قطعَهُ لامرأتِهِ بشيءٍ تريدُهُ،

بل ولا يخجلُ من هذهِ العاطفة ويُحدِّثُ عنها،

لم يكونوا يخجلون بحبِّهم لزوجاتهم أبداً، كان هذا عندهم من المروءة،

ولكن لا تخلط بين أن يعرف الجميع أنك تحبُّ زوجتك،

وبين أن تعرضها في مواقع التواصل!

8
لم يُرَ مِثْلُ تقاربِ القُلوبِ!

في الأدب المفرد للإمام البخاريِّ:

قالَ ابنُ عبَّاس: لم يُرَ مثلُ تقاربِ القلوب!

لا تبحثْ في الحُبِّ عن سبب: هذه يدُ الله!

وما زرعَهُ الله فلن يقتلعَهُ النَّاس!

وكم من حبيبٍ بينك وبينه بلادٌ وعبادٌ ولكنَّه حبيب،

وكم من أزواجٍ رأسيهما على وسادةٍ واحدةٍ وليس بينهما من الحُبِّ ذرَّة!

وإنَّك لتلتقي بالشَّخص الغريب فما يَلبَثُ أن يصيرَ حبيباً،

وتعاشرُ غيره أعواماً فإذا هو قائمٌ على عتبة قلبك لا يدخل،

شيء لا يشرحه العقل، ولا يُفسّره المنطق،

شيءٌ قال عنه ربُّنا: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

9
ولا بُغضُكَ تَلفاً!

في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاريِّ:
قال عمر بن الخطَّاب: لا يكُن حبُّكَ كَلِفاً، ولا بغضُكَ تَلِفاً!
إذا أحببتَ فلا تخلَعْ كلَّ عقلِك فإنَّ القلوبَ تتبدَّلُ،
ولا تتنازلْ عن كلِّ حذرك يحدثُ أن يُؤتى النَّاس من مآمِنِهِم،
والذين أضاؤُوا العشرَ شمعاً لم يجدوا لاحقاً إصبعاً ليعضوه من النَّدم!
وإذا كرهتَ فاترُكْ للصُلحِ موضعاً، فإنَّ المواقف تتبدَّل،
كثيرون عندما خاصَمُوا رَمَوا في الطريق شوكاً ثم عادوا حُفاةً،
فلا تهدِموا كلَّ جسور الوصلِ قد تحتاجون أحدها يوماً،
ولا تُبالِغوا في ارتفاع الأسوار قد تحتاجون يوماً لتسلُّقِها!

10

المِلَالُ من سيِّءِ الأخلاقِ!

في كتاب مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:

قال عمرو بن العاص: لا أمَلُّ ثوبي ما وسعني،

ولا أمَلُّ زوجتي ما أحسنت عِشرتي، ولا أمَلُّ دابَّتي ما حملتني،

إنَّ المِلَالَ من سيِّءِ الأخلاق!

يُعجبني أولئك الذين يتمسَّكون بأشيائهم بأظافرهم وأسنانهم،

إذا أُصيبت علاقاتهم بخَدشٍ أسرعوا فعالجوه،

وإذا أُصيبت صداقاتهم بجُرحٍ أسرعوا فدَاوُوهُ،

الإفلاتُ يقدِرُ عليه كلُّ أحَد، وحدهم النُّبلاء يتمسَّكون ما وسعهم ذلك،

أنا واللهِ يعزُّ عليَّ فراق دفترُ مسودَّتِي حين أنتهي منه،

لهذا دوماً أستغربُ كيف بإمكانِ النَّاس أن يُديروا ظهورهم للنَّاس!

11
من أَفْكَهِ النَّاس!

في كتاب شرح السُّنة للإمام البغويِّ:
كان زيد بن ثابت من أَفْكَهِ النَّاس في بيته،
فإذا خرج كان رجلاً من الرِّجال!
هكذا هم النُّبلاء يرون أن أحقَّ النّاس بحسن صحبتِهم أهاليهم!
ومن أمراض النَّاس الشَّائِعة في هذه الأيَّام،
أن يضحك ويمزح الرَّجل خارج بيته فإذا دخله كان كأنَّه في مَأتَم،
وأن يُسابق ليتكَارَم خارجَ بيتِهِ فإذا هو في بيتِهِ شحيحٌ بخيلٌ،
وأن يعفوَ ويحتمِلَ خارج بيتِه ويقعدَ لعائلته على الكلمةِ والحرفِ،
انفصامٌ رهيبٌ وغريبٌ لا شرحَ له ولا مبررَ،
من لم يكن خلوقاً في بيته فإنَّ الأخلاقَ خارجَه قناعٌ فاحذرُوه!

12

اِعتزِلْ ما يُؤذيك!

في كتاب مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:

قال عمر بن الخطَّاب: اِعتزِلْ ما يؤذيك!

أغلبُ الأذى نحن نجُرُّه على أنفسنا!

نذهبُ إلى أماكن تنتقصُ من قدرنا، ونُتابع أشخاصاً يوجعنا كلامهم!

مزاجك عزيزٌ فلا تسمحْ لأحدٍ أن يُفسده!

اِعتزِلْ ما يُؤذيك، ولا تسمح له أن يُؤذيك أكثر،

العلاقة الجارحة لا تلزمك، والصُّحبة التي توجعك أنت في غنى عنها،

لا تحشُرْ نفسكَ حيث لا متَّسعَ لك أرض اللهِ واسعة،

وما من إنسانٍ إلا وفي النَّاس من يُغني عنه،

وقد قالتِ العربُ: في النّاسِ أبدالٌ وفي التَّركِ راحةٌ!

13
ولولَا يومُ القيامةِ!

في كتاب الحلم لابن أبي الدُّنيا :
قال عمر بن الخطَّاب: من خافَ اللهَ عزَّ وجل لم يشفِ غيظه،
ومن اتَّقى الله لم يصنعْ ما يريدُ،
ولولا يوم القيامة لكان غيرَ ما ترون!
ستكون قادراً على الانتقام ولكنَّك لن تنتقم،
وستكون قادراً على ردِّ الإساءة ولكنَّك لن تَردَّها،
وستكون قادراً على أن تنزلَ إلىِ مستواهم ولكنَّك ستترفَّع،
ستخافُ الله فيمن لم يخفِ الله فيك،
وستكون وقَّافاً عند حدود الله رغم المرارة في قلبك،
هذا ليس من الجُبن، هذا من فرط الإيمان يا صاحبي،
ولكَ في قول النَّبيِّ ﷺ عزاءٌ: الإيمان قيدُ الفَتْكِ!

14
فإنَّ هذا يبقَى!

في كتابِ مكارمِ الأخلاقِ للخرائطيِّ:
مرَّ أبو بكرٍ الصِّدِّيق بابنه وهو يُماري جاراً له،
فقالَ له: لا تُمارِ جاركَ، فإنَّ هذا يبقَى، ويذهبُ النَّاس!
إيَّاكَ أن تُضحِّي بمقيمٍ في حياتك لأجلِ عابرٍ!
لا تستبدلْ زوجةً تصلحُ للعمرِ بامرأةٍ تصلحُ لليلة!
العابرون سيمضُون وسيبقى أخوك لحمَكَ ودمكَ فلا تخسره،
والطارئون سيرحلون وسيبقى صديقُك الوفيُّ فلا تُفرِّطْ فيه،
والغرباءُ سيبتعدُون وسيبقى بابكَ بجوارِ بابِ جاركَ!

15

فلمَّا رآه بَكَى!

روى الإمامُ أحمدُ في المُسنَدِ من حديثِ حارثة بن مغربٍ قال:
دخلتُ على خبَّابٍ، فأُتيَ بِكَفنِه، فلمَّا رآه بكى!
وقال: ولكنَّ حمزة لم يوجدْ له كفنٌ إلا بُردة!
إذا جُعلتْ على رأسه بَانَت قدماه، وإذا جُعلتْ على قدمَيْه بَانَ رأسه،
حتَّى مُدَّتْ على رأسِه، وجُعِلَ على قدميه الإِذْخِر!
تذكَّر حِرمَان غيرِكَ تَكثُر نِعمُ اللهِ في عينيكَ،
إن لم تُعجِبك وجبةُ الغداءِ فانظُرْ إلى من يشتهِي رغيفاً يابساً،
وإن غضِبتَ من تدنِّي علامةِ ابنِكَ فانظُرْ لمن ابتليَ بولدٍ به عاهَة،
وإن استقللتَ زوجتكَ فمثلها حلمُ ملايين العازبين،
وإن استحقرتَ وظيفتَك فهي حلمُ ملايين العاطلين عن العملِ،
نحن غارقُون في نِعَم الله ولا ينقصُنا المزيدُ منها،
نحن ينقصُنَا المزيدُ من الأدبِ مع الله!



الوأدُ لا يشملُ الأجساد فقط،
الوأدُ يشملُ القلوب أيضاً!

16
تكفُّ شرَّكَ عن النّاسِ!

روى البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ أبي ذرٍّ قالَ:
سألتُ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ العملِ أفضل؟
فقال: إيمانٌ باللهِ، وجهادٌ في سبيله!
قلتُ: فأيُّ الرّقابِ أفضل؟ فقال: أنْفَسَهَا عندَ أهلِها، وأكثَرَها ثمناً!
قلتُ: فإن لم أفعل؟ قال: تُعينُ صانعاً، أو تَصنعُ لأخرقٍ!
قلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ إن ضعفتُ عن بعض العمل؟
فقال: تكفُّ شرَّكَ عن النّاسِ، فإنَّها صدقةٌ منكَ على نفسك!
كَفُّ الأذى عن النَّاسِ عبادة!
إنْ لم تكُن قادراً على النَّفع فلا تضُرّ،
وإن لم تمدحِ التَّصرُّف النَّبيلَ فلا تنتقصه،
لا تتَّهم المُحجَّبة بأنَّها مُعقدَّة، والملتزِمَ بأنَّه متخلِّفٌ ورجعيٌّ،
الموظَّف الأمين ليس عبيطاً، والولد البارُّ ليس جباناً،
والتي تطيعُ زوجها ليست بلا شخصيَّة، والذي يحترمُ زوجته ليس خروفاً،
هناك أشياءٌ جميلةٌ لا يراها البعضُ كذلك لأنَّ النَّقصَ فيهم!

17
حياءً من عُمرَ!

روى الإمامُ أحمدُ في المُسنَد من حديث عائشة قالتْ:
كنتُ أدخُل بيتيَ الذي دُفنَ فيه رسول الله ﷺ وأبي،
فأضعُ ثيابي، فأقول: إنَّما هو زوجِي وأبي!
فلمَّا دُفن عمرُ معهم، واللهِ ما دخلتُه إلا وأنا،
مشدودةٌ عليَّ ثيابي حياءً من عمر!
تستترُ من رجلٍ في قبره، يا للحياءِ يا عائشة!
فما بالُكِ يا أمي، وأختي، وابنتي قد هُنتُنَّ على أنفسِكُنَّ،
ما بالُ الشَّعرِ مفروداً، والنَّحرِ مكشوفاً، والعطرِ فائحاً؟!
ما بالُ حجابِ الموضة الذي يصِفُ ويشِفُّ ويُغوي!
هذا لباس الجَواري لأنَّهُنَّ كُنَّ يُبعنَ ويُشتَرَيْنَ!
أمَّا الحرائرُ فلم تكن تظهرُ زينَتُهُنَّ إلا على محارمهنَّ!

18
فإنَّما الخيرُ عادة!

أخرجَ البيهقيُّ في السُّننِ الكبرى:

قالَ عبدُ الله بن مسعودٍ: حافظوا على أولادِكم في الصَّلاة، وعلِّموهم الخير، فإنَّما الخيرُ عادة!

أعطِ ابنك الصّدقة ليضَعَها هو في يدِ الفقير فيألَفَهَا،

اصحبْهُ معكَ لزيارةِ المريض فيعتادَها،

خُذه إلى المسجدِ دوماً حتَّى تحفظَ أقدامُه الطريقَ،

اِخترْ له كتاباً نافعاً، وانتقِ له برنامجاً مفيداً، اصنَعْ ذوقه!

والأهم من هذا كلّه كُنْ لأولادِك قُدوةً،

كلُّ كلامك لن يكونَ له أثرٌ إذا ما خالفْتَهُ بفعلِك،

ما فائدةُ أن تُحدِّثه عن النَّظافة وأنتَ ترمي الأوساخ من نافذة سيَّارتِك،

الأولادُ لا يستمعون إلى ما نقول بقدر ما يُشاهدون ما نفعل!

19

إني أُريدُ بنفسي!

في الطَّبقاتِ لابن سعدٍ، والأوسطِ للطبرانيِّ:
قال عمرُ بن الخطَّابِ لأخيه زيد بن الخطاب يوم أُحد:
أقسمتُ عليكَ إلَّا لبستَ درعي!
فلبسها زيدٌ، ثمَّ نزعها، فقال له عمر: ما لكَ؟
فقال زيدٌ: إني أريدُ بنفسِي ما تريدُ بنفسكَ!
ليس كلُّ من يربتُ على كتفكَ لا جرحَ له،
وليس كلُّ من يُعطيكَ لديه فائضٌ مما أعطى،
ثمَّة خلقٌ عظيمٌ اسمه الإيثارُ يهبه اللهُ لصفوةٍ من خلقه،
قد يمسحُ دمعكَ من في داخِله جنازة،
وقد يُرممُ كسركَ من تشظَّتْ روحُه،
وقد يكون ملاذكَ الآمن هو نفسه الذي ملأتْهُ الدُّنيا بالفزعِ،
تمسَّكْ بهؤلاءِ بأسنانكَ وأظافركَ فإنَّهم نادرُون جدًّا،
والأهم رُدَّ البضاعةَ التي توهبُ إليك،
أحياناً يفعلُ النّاسُ مع النَّاسِ ما يتمنَّونَ أن يفعلَه معهم أحد!

20

لا أُبالي إذا سلمتَ!

في كتابِ حِليةِ الأولياءِ لأبي نُعيمِ الأصبهانيِّ:

عن أنس بن مالكٍ قال: لما كانَ يوم أُحد خاضَ أهل المدينة خيضةً.

وقالوا: قُتِلَ النَّبيُّ ﷺ، حتى كثرتِ النائحاتُ في نواحي المدينة!

فخرجتِ امرأةٌ من الأنصار فاستُقبلتْ باستشهادِ أبيها وابنِها وزوجِها!

فقالتْ: ما فعلَ رسولُ الله؟

فقالُوا: ها هو آتٍ!

فأخذتْ بناحيةِ ثوبه وقالتْ: بأبِي أنتَ وأمِّي، لا أُبالي إذا سلمتَ من عَطَبٍ!

إن كان الرِّجالُ هم الذين حملوا إلينا هذا الدِّين،

فإنَّ النِّساءَ هُنَّ اللواتي صنعنَ الرِّجالَ الذين حملوا إلينا هذا الدِّين!

يقولُ الإمامُ أحمدُ عن أمِّه: حفظتني أمي القرآن وأنا ابنُ عشرِ سنين،

وكانت توقظني قبل صلاةِ الفجرِ،

وتحمِّي لي ماءَ الوضوءِ في ليلِ بغدادَ الباردِ، وتلبِسُني ملابسي،

ثمَّ تتخمَّرُ، وتذهب معي إلى المسجدِ، لبعد بيتنا عن المسجدِ ولظلمةِ الطَّريق!

21

لا تُخَاصِمْنِي غداً عند ربِّي!

في كتابِ الورعِ لابنِ أبي الدُّنيا، وتاريخِ دمشق لابنِ عساكر،
كان لأبي الدّرداء جملاً يُقالُ له: دَمُّون!
وكانوا إذا استعارُوه منه: قال لا تحمِلُوا عليه ما لا يُطيق!
فلمَّا حضرته الوفاةُ قال: يا دمُّون، لا تخاصمني غداً عند ربي!
فإنِّي لم أكن أحمِلُ عليكَ ما لا تُطيق!
كلُّ من حمَّلته ما لا يُطيقُ فسيخاصمكَ غداً عند ربّك،
الزّوجةُ التي عاملتها كجاريةٍ مملوكةٍ ستجتمعُ بكَ يوم الموقفِ العظيم،
والموظَّفُون الذي عاملتهم كعبيدٍ ستقفُ معهم بين يدي الله،
العاملةُ المنزليَّة التي مصصت دمهَا ستخاصمك عند الله،
المستأجرُ الذي ترفعُ دوماً الأجرة عليه كأنَّه استأجرَ منك قصرَ الحمراء،
التلميذُ الذي ترهقه بالواجباتِ، وتتحدَّاه في الامتحاناتِ لتتلذَّذَ برسوبه،
المريضُ الذي تُنهكه بالأجرةِ عند كل مراجعة،
هؤلاءِ جميعهم خصومٌ في محكمة القيامة فانتبهُوا!

22
حتَّى تسيلَ دمُوعُه!

في كتاب الزُهدِ للإمام أحمد بن حنبل:
قالتْ أُمّ الدَّرداء: رأيتُ أبا الدَّرداء ينفخُ النّار تحت قِدْرنا هذه، حتى تسيلُ دموعه!
لن يسقطَ قدرُكَ السّامي إن ساعدتهَا في عملِ البيتِ،
ولن يُجرحَ مقامُكَ الرّفيع إن أصلحتَ شيئاً تالفاً في البيتِ،
ولن تُنزعَ منكَ الجلالةُ إن ساعدتَ ولداً بواجبٍ مدرسيّ،
ولن تُسحبَ منك النِّيافةُ إن اشتريتَ للبيتِ أغراضاً،
المرأة ليست مقاتلاً في القوّاتِ الخاصة يمكنه أن يتحمَّلَ كلَّ شيء،
المرأةُ مخلوقٌ رقيقٌ تحتاج أن تشعرَ بالحُبِّ والاهتمام،
وأصدق الحُبِّ ما كان عملاً ومساعدةً ومساندةً، ومكاتفةً، واهتماماً،
وأكذبُ الحُبِّ ما كان مجرَّد كلامٍ!

23

وحمَلَه على ظهرِه!

في الطَّبقاتِ الكبرى لابنِ سعدٍ، قالَ ابن أبي الهُذيل:
رأيتُ عمَّارَ بن ياسر وهو أمير الكوفة، اشترى بدرهمٍ علفاً،
لبهائم دارِه من السُّوق، ثم حملَه على ظهرِه ومضى!
أحدُ أمراضنا اليوم هو تضخُّم «الأنا» فينا!
احترامُ النَّفس وتقديرها شيءٌ جميلٌ ولكنّك لستَ محور الكون،
ما المشكلةُ إن اشتريتَ أغراض بيتكَ وإن كنت الوزير،
وما المشكلةُ إن ساعدتَ في المطبخِ وإن كنت المدير،
وما المشكلة إن غسلتَ سجادةً أو أصلحتَ تالفاً وإن كنت المتنفِّذ،
أبداً لا يوجد أيّ مشكلة، المشكلة الكبرى يا صاحبي،
هي أنكَ تريدُ أن تكون مديرَ كلِّ مكانٍ تكون فيه!

24
فكَرِهنا أن نجمعَ عليه عمَلَين!

في حِليةِ الأولياءِ للأصبهانيِ، قال أبو قلابة:
دخلَ رجلٌ على سلمانَ وهو يعجن، وهو يومذاك أميرٌ على المدائن!

فقالَ له: ما هذا يا أبا عبدِ الله؟

فقالَ له سلمانُ: بعثْنَا الخادمَ في عملٍ، فكَرِهنا أن نجمعَ عليه عملين!

إذا كلَّفتِ العاملةَ المنزليّة بعملٍ فكلِّفيها بما تُطيق،
وإن كانت لا تُطيقُ فضعي يدكِ مع يدها فهذا من الرَّحمة!
موظَّفوكَ يعملون عندكَ ولكنَّهم ليسوا عبيداً لكَ، فترفّقْ بهم!
التلاميذُ ليسُوا أوعيةً نتسابقُ من يصبُّ فيها الواجباتِ أكثر،
يكفي تمرينٌ واحدٌ للبيتِ كي يفتح الطَّالبُ الكتابَ ويستذكر،
أما أن يحلَّ كل تمارين الدَّرسِ في البيت، فلأيِّ شيءٍ كانت المدرسة؟!

وإذا كان كلُّ معلم سيطلبُ كلَّ تمارين الدَّرس في للبيت،
متى يستريحُ هؤلاء الأطفال، متى يلعبون، ومتى يخرجون مع أهاليهم؟!

أنتم أحياناً تحبسون أُسرةً كاملةً، وتحسبُون أنكم تحسنون صُنعاً، ثم تأتون بعد ذلك وتشتكُون أنَّهم لا يُحبُّون المدرسة، حمقى هم إن أحبُّوها!

25

يخشَعُ به القلبُ!

في الطَّبقاتِ الكبرى لابنِ سعدٍ، قال عمرو بن قيسٍ:

رُئيَ عليٌّ بن أبي طالبٍ وعليه إزارٌ مرقوعٌ!

فقيلَ له: يا أميرَ المؤمنين لو اتَّخذتَ غيره!

فقال: لا بأس به، يخشعُ به القلبُ، ويقتدِي به المؤمنُ!

النّفسُ كالطِفلِ يجب أن يُقال لها أحياناً لا،

فالطِّفلُ الذي تعطيه كلَّ شيء يريده سيعتقدُ أن الدُّنيا تعملُ لتلبيةِ طلباته،

فينشأُ أنانياً لا يرى إلا نفسَه، رخواً لا يصلحُ للحياة،

وكذلكَ النّفسُ فإنَّها كلما أُعطيتْ ما أرادتْ، زادتْ في الطّلب،

حتى يغدو صاحبَها نهاية المطاف خادماً وعبداً لها دون أن يشعرَ،

هناك أشياء في الحياةِ لن تستقيمَ لكَ إلا إذا أدَّبتها!

26

ما يبكيكِ؟!

أخرجَ ابنُ أبي شيبةَ في المُصنَّفِ:

أنَّ عبدَ اللهِ بن رواحةَ بكى، فبكتِ امرأتُه!

فقالَ لها: ما يُبكيكِ؟

قالتْ: رأيتُكَ تبكي، فبكيتُ!

فقالَ: بكيتُ لأنِّي واردٌ النَّار، ولستُ أدري إن كنتُ أجتازُها!

« وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا »

ليسَ المطلوبُ أن يبكيَ أحدكُما لبكاءِ الآخر،

ولكنَّ المطلوبَ ألَّا يفرحَ في حزنِه، ولا يبكي في فرحِه!

ما فائدةُ الحُبِّ حين تُقيمُ عرساً في مأتمي، أُقيمُ مأتماً في عرسك؟!

الإنسانُ ينسَى أيَّامَه الصَّعبةَ ولكنَّه يتذكَّرُ دائماً من وقفَ معه فيها!

27
لِمَ ترمِي النَّخلَ؟!

روى أحمـدُ، وأبـو داودٍ، والترمـذيُّ مـن حديـثِ رافـعِ بـن عمـرُو قـالَ:

كنتُ وأنا غلامٌ أرمِي نخلَ الأنصارِ!

فقيلَ للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ ها هُنا غلاماً يرمي نخلنَا!

فأُتيَ بي إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ لي: يا غُلام، لِمَ ترمِي النَّخلَ؟

قلتُ: آكلُ!

فقالَ لي: فلا ترمِ، وكُلْ مما سقطَ من أسافلها،

ثم مسحَ على رأسي وقالَ: اللهُمَّ أَشبِعْ بطنَه!

الطفـلُ يجـبُ أن يتعلَّـمَ الحـلالَ والحـرامَ فـي صِغـره حتـى يختلـطَ بلحمِـه ودمِـه،

تافهون أولئكَ الذين يقولون: دعوهُمْ يعيشُون طفولتَهم!

وكأنَّ الحياةَ تتناقضُ مع الدِّينِ، وهل الحياةُ حقًّا إلا في الدِّين؟!

ثم لماذا تُعلِّمُون الأطفالَ الحسابَ، والعلومَ، والنَّحوَ، والإملاءَ؟

لمـاذا لا تتركوهُـم يعيشُـون طفولتَهُـم، أم الدِّيـنُ فقـط هـو ضـدُّ الطُّفولـة؟!

28
قدْ كرِهْتُ ما ينفَعُ المسلمين!

في كتابِ الزُّهدِ للإمامِ أحمدَ بن حنبل:
اختزنَ المِسْورُ بن مخرمةَ طعاماً كثيراً للتِّجارةِ،
فرأى سحاباً في الخريفِ فكرِه ذلك،
فقالَ: لا أرانِي إلا كرهتُ ما ينفعُ المسلمين!
فجاءَ إلى عمرَ بن الخطَّابِ وقالَ له: يا أميرَ المؤمنين،
إنِّي اختزنتُ طعاماً، فرأيتُ سحاباً قد نشأ فكرهتُه،
فحلفتُ أنِّي لا أربحُ فيه شيئاً!
فقالَ له عمرُ: باركَ اللّه فيكَ!
تمنَّ للنَّاسِ السَّلامةَ ولو كنتَ طبيباً ورزقُكَ من أمراضِهم،
وتمنَّ للنَّاسِ طولَ العمرِ ولو كنتَ بائعَ أكفانٍ ورزقكَ من جنائزهِم،
وتمنَّ للنَّاسِ الوفاقَ ولو كنتَ محامياً ورزقكَ من خلافاتِهم،
الأشياءُ المؤسفةُ ستقعُ دوماً ولكن لا تتمنَّ وقوعَها لتنتفِعَ!

29

مِنَ الجَهْدِ الذي بهَا!

في كتابِ الزُّهدِ لهَنَّادِ بن السَّريِّ:
كانتْ فاطمةُ بنتُ رسول اللّه ﷺ تعجنُ،
وإنَّ مقدمـةَ شـعرِ رأسـها تـكادُ أن تبلـغَ وعـاءَ العجيـنِ، مـن الجَـهْـدِ الـذي بهـا!
تحاولُ النَّسوياتُ أن يُقنعنَ المرأةَ أنَّ عملَهَا في بيتِها مذلّة!
يعرفنَ أنَّ الأُسرةَ آخر قلاعنا فيُردْنَ هدمَها!
هذه سيِّدةُ نساءِ أهلِ الجنَّةِ هدَّها التّعبُ وهي تعملُ في بيتها،
وكانتْ تجرُّ بالرَّحى حتى تُؤثرَ في يدهَا،
وتستقِي بالقربةِ حتى تُؤثرَ في نحرِها،
فأين المذلَّةُ في أن يقومَ كلُّ إنسانٍ بدوره في الحياة،
أيـن المذلَّـةُ فـي أن تُطعـمَ المـرأةُ أولادَهـا، وتنظِّـفَ بيتَهـا، وترعَـى زوجَها؟!
الرَّجلُ يكِدُّ ويعملُ خارجَ البيتِ لأنَّه مسؤولٌ لا لأنَّه عبدٌ!
هذه الحياةُ تكاملٌ، وإمساكُ يد بيد، وطائرٌ يحلّقُ بجناحين،
لا المرأةُ أَمةُ الرَّجلِ، ولا الرَّجلُ عبدُ المرأةِ!

30

لو كانَ غيرَ الجنَّةِ!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:

لمَّا أرادَ المسلمون الخروجَ إلى بدرٍ قال خيثمةُ بن الحارثِ لابنِه سعد:

لا بُدَّ لأحدِنا أن يبقى، فآثرني بالخروج، وأقِمْ أنتَ مع نسائِنا وعيالنا!

فقالَ له سعدٌ: لو كان غيرَ الجنَّة لآثرتُكَ به، وإنِّي أرجو الشّهادة!

فاقترعَا بينهما من يخرجُ ومن يبقَى، فخرجَ سهمُ سعدٍ!

فخرجَ مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى بدرٍ واستُشْهِدَ!

كلُّ سباقٍ ليس إلى الجنَّةِ فدعْهُ، وكلُّ تنافسٍ ليس على الآخرةِ فلا تُعظِّمْه،

نحن نستنزفُ أجملَ طاقاتنا في غيرِ محلّها،

في طريقٍ خاطئٍ، أو في ميدانٍ تافه،

ومع أُناسٍ من العيبِ أن يكونوا خصوماً،

أو أُناسٍ لا يستحقُّون أساساً أن يكونُوا خصوماً!

أُناسك ليس الذين صفَّقوا لكَ عند
الوصول، أُناسكَ هم الذين أخذوا
بيدكَ حتى وصلتَ!

31
فلا يشُدُّ إليهِ النَّظَرَ!

في كتابِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ لابنِ هشام:
إنَّ عبدَ اللّهِ بن سُهيلٍ أخذَ الأمانَ لأبيه يومَ الفتحِ،
وقالَ له: يا رسولَ اللّهِ، أبي تُؤمِّنه؟
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: هو آمِنٌ بأمانِ اللّهِ، فليظهَرْ!
ثمَّ قالَ: من رأى سهيلَ بن عمرُو فلا يشدُّ إليه النَّظر،
فلعمْري إنَّ سهيلاً له عقلٌ وشرفٌ، وما مثلُ سهيلٍ جَهِلَ الإسلامَ!
هذه الحادثةُ من أجمل ما جاءَ في رفعِ الحرج في التّاريخ،
نهى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّحابةَ أن يضعُوا أعينَهُم بعينَي سُهيلٍ،
أرادَه عفواً على أتمِّ وجهٍ، عفواً ليس فيه عتابٌ حتى بنظرةٍ!
فإذا عفوتَ فأغلقِ الصَّفحةَ إغلاقَ النُّبلاءِ،
لا تُلمِّحْ، ولا تُعرِّضْ، ولا تنبِشْ، ولا تلمِزْ،
إذا وقعَ عفوكَ على نبيلٍ فهذا يُؤدِّبه أكثر من العقوبَة!

32
نَحيلٌ مُلِئَ عِلْماً!

روى الذَّهبيُّ في سيرِ أعلامِ النُّبلاءِ:
إنَّ عبدَ اللهِ بن مسعودٍ كان نحيلاً وقصيراً،
وأنَّه جاءَ إلى مجلسِ عمرَ بن الخطَّابِ فما كادَ يبانُ من بين الجالسين،
فجعلَ عمر يُكلِّمُه، ويلاطفُه، ويضاحِكُه،
فلمَّا ولَّى ابنُ مسعودٍ، أتبعَه عمرُ ببصره وقالَ: نحيلٌ مُلِئَ علماً!
إنَّها ليستْ بالوجوهِ وإنَّما بالقلوبِ!
وإنَّها ليستْ بالأجسام وإنَّما بالعقولِ!
وإنها ليستْ بالقوَّةِ وإنَّما بالتَّقوى!
صحِّحْ موازينكَ، الكُتُبُ بالمضامين لا بالأغلفةِ، وكذلكَ النَّاس!

33
دَعَاكَ أخُوكَ وتكلّفَ لكَ!

أخرجَ البيهقيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال:
صنعتُ للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم طعاماً،
فلمَّا وُضِعَ قال رجلٌ: أنا صائم!
فقال له النَّبيُّ ﷺ: دعاكَ أخوكَ وتكلَّفَ لكَ،
أَفطِرْ، وصُمْ مكانَه إن شئتَ!
أكثرُ النّاس فرحاً بالشَّيءِ هو الذي يُعطيه،
فلا تُقابلوا الأُعطيات بالبرودِ فإنَّ هذا جارحٌ جداً!
أظهِرِ الإعجاب بالهديَّة ولو لم تُعجبكَ، تكفيكَ المبادرة،
واشكُرْ من دعاك ولا تنتقِدْ، يكفيك أنَّه دعاك،
لا تدعِ النَّاس يتأسَّفون على المعروفِ الذي فعلوه،
لا تقتلِ الخيرَ في النَّاس!

34

وإيَّاكَ وما يُعتذرُ منه!

روى الطبرانيُّ في الكبيرِ عن عكرمة بن خالدٍ قال:
إنَّ سعد بن أبي وقّاصٍ قال لابنِهِ حين حضرتهُ الوفاة:
يا بُنيَّ، إنَّكَ لن تلقى أحداً هو أنصحُ لكَ منِّي،
إيّاكَ والطمع فإنّه فقرٌ حاضر، وعليك باليأس فإنَّه الغِنَى،
وإيَّاك وما يُعتذرُ منه من العملِ والقولِ!
لا تضعْ نفسكَ في موقفٍ سيسقِطُك من عيونِ النّاس،
ولا تقُلْ كلمةً في ثانيةٍ ستندم عليها أياماً،
المكان الذي ينتقِصُ من قدْرِك لا تذهبْ إليه،
والصُّحبَةُ التي تُعيّرُ بها لا تلزمُك أبداً،
الحضورُ على موعدِ الدَّوام خيرٌ من طأطأةِ الرَّأسِ بالأعذار،
إنَّ لنفسكَ عليك حقاً فلا تُهِنْها لا بقولٍ ولا بفعلٍ!

35
أكلَّما اشتهيتَ شيئاً اشتريتَهُ؟!

في مصنَّفِ ابن أبي شيبة:
مرَّ جابرٌ على عمر بن الخطَّاب بلَحم اشتراهُ بدرهم،
فقال له عمرُ: ما هذا؟ فقال جابرٌ: لَحمٌ اشتريتُه بدرهم!
فقال له عمر: أكلَّما اشتهيتَ شيئاً اشتريتَه؟!
الفكرة من كلام عمر بن الخطَّاب ليس بُعده الاقتصاديّ التوفيريّ،
وإنَّما بُعده النفسيّ وأثُره التَّربويّ،
هذه النّفس كفرسٍ جَموحٍ إن لم تُقيَّد أتلَفتْ صاحبَها،
وكطفلٍ يجب أن يُقال له لا أحياناً كي يتأدَّبْ،
فمن كَبَحَ نفسه في بعض المُباح سَهُل عليه كَبْحَها في كثيرٍ من الحرام،
ومن انقادَ لها في كلِّ موطنٍ صَعُبَ عليه بعد ذلك قيادتها!

36

يُضحِكُ النّبيَّ ﷺ!

روى مسلم في صحيحه في حديث خلافِ النّبيِّ ﷺ وأزواجه:
إنَّ عمر بن الخطَّاب لمّا رأى النّبيَّ ﷺ مهموماً،
قال: لأقولَنَّ شيئاً يُضحِكُ النّبيَّ ﷺ!
يحتاجُ النّاس إلى من يربتُ على قلوبِهم قبَل أكتافِهم،
مازِحِ المهمومَ لعلّكَ باللُّطفِ تزيلُ بعضاً من همِّه،
وعزِّ الفاقدَ لعلّكَ بحُسنِ العبارة تُبَلسِمُ جُرحَه،
زُرِ المريضَ فإنَّه يفرح، وتَفقَّدِ الوحيدَ فإنَّه يأنس،
في أبسط الأمور هناك أثرٌ عظيم قد لا تدرِكُه أنتَ،
لأنَّك الباذلُ أمَّا الآخذُ فيعرفُ حجمه ووقعه جيداً،
أنـتَ لـن تعـرفَ معنـى المسـحَ علـى رأس اليتيـم ولكـنَّ اليتيـمَ يعـرفُ!

37
حَبِيبٌ مُفَارِقٌ!

في كتاب السُّنن لسعيدٍ بن منصور:
طلَّقَ الحسنُ بن عليٍّ بن أبي طالب امرأته،
وبعثَ إليها بعشرة آلافِ درهم مُتْعَةً لها،
فقالتْ: متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مُفارق!
فبلغَ الحسنُ قولها، فَلَانَ قلبُه لها، فراجعها!
نحتاجُ أن نعرفَ قيمةَ النِّعمة التي بين أيدينا وهي بين أيدينا،
للأسف أكثرُنا لا يعرفُ قيمةَ النِّعمة إلا بفقدِها!
انظروا إلى ما يبذُلُه الآخرون لكم واعرفوا قيمته،
لا تدَعوا الموتَ والفراق والفقدَ يخبرونَكم بذلك،
ما حاجة النَّاس إلى الامتنان وهم في التَّوابيت،
وما حاجة النَّاس إلى قصائد الرِّثاء وهم في قبورهم،
كلمةٌ حلوةٌ في حياة إنسانٍ أهمُّ من ألفِ كلمةِ رثاءٍ عند موته!

38

مَا بيننا لم يبلغْ دِينَنَا!

في المُصنَّف لابن أبي شيبة:

كان بين خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقَّاص كلام،

فتناولَ رجلٌ خالداً عند سعد!

فقال له سعد: اسكُتْ، فما بيننا لم يبلغ ديننا!

كلُّ شيءٍ يقعُ بين النُّبلاء جميلٌ حتَّى خِلافاتهم،

إنَّهم يعلِّموننا أنَّ للأخلاق متَّسعٌ حتَّى في لحظاتِ الخصام،

وإنَّ الذي لا يَعرفُ أدبَ الخِلاف لا يعرفُ أدبَ الوِفَاق،

وانتبهوا جيداً للذين يَصبُّون الزَّيت على النَّار في خلافاتِ النّاس،

هؤلاء هم شياطين الإنس، ومزابلُ الخِلافات مَرتَعُهم!

39
اِخفِضْ لي جنَاحَكَ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسند، عن زِرٍّ بن حُبيشٍ قال:
لزِمتُ أُبيَّ بن كعبٍ، وكانتْ فيه شراسة،
فقلتُ له: اِخفِضْ لي جناحكَ رحمكَ اللّه!
وكان أُبيٌّ بعد ذلكَ يلينُ له!
كل إنسانٍ فيه طَبعٌ قد جُبِل عليه، والإيمانُ لا يلغي الطِّباع وإنَّما يُهذبها،
أبو بكرٍ وعمر في ذِرْوَةِ الإيمانِ ولكن بين طباعَيْهِما فارقٌ معروفٌ،
أبو بكرٍ رقيقٌ، وعمرُ حازمٌ، وكلاهُما عملاقٌ من عمالقةِ الإسلام،
فتفهَّموا طِباع النَّاس الذين تتعاملون معهم تُريحون وتستريحون،
الطَّبعُ مِفتاحٌ، ومن مَلَكَ المِفتاحَ سَهُلَ عليه الولوج إلى الآخرين،
ومن جهِلَهُ سيصطدِمُ بالباب، فيُؤذِي ويُؤذَى،
الطَّبعُ دليلُ الاستخدام فتعرّف عليه باكراً تسْهُلُ عليك الأمور!

40
أحبَبتُ أن أُجيبَ!

في كتاب الزُّهد للإمام أحمد:

إنَّ غلامَ المغيرة بن شعبة تزوَّج،

فأرسل إلى عثمان بن عفَّان وهو يومَذاك أميرُ المؤمنين!

فلمَّا جاء عثمان قال: إنِّي صائم،

غيرَ أنِّي أحببتُ أن أُجيبَ الدَّعوة، وأدعو بالبركة!

تذكَّرْ دائماً أن جبر الخواطر عبادة!

نحن لا نُلبِّي الدَّعوات لأنَّه ليس في بيوتنا طعام ولكن جبراً للخواطر،

ولا نزورُ المرضى لأجل قطعةِ حلوى ولكن احتساباً للأجر،

ولا نذهبُ للعزاءِ لشرب القهوة ولكن تخفيفاً للمصاب،

وكلَّما كبر المنصب كان وَقعُ جبرِ الخاطر من صاحبه أجمل،

فلا تشغلُك الدُّنيا كثيراً عن النَّاس،

ما يبدو لكَ سلوكاً عادياً قد يصنعُ سعادةَ إنسانٍ فلا تَبخلْ!

41
إنَّ الطَّمعَ فقرٌ!

في كتاب الزُّهدِ لعبد الله بن المبارك:
قال عمر بن الخطَّاب:
إنَّ الطمع فقرٌ، وإنَّ اليأس غِنى!
من كان فقرُه في قلبِه لن يكتفيَ ولو ملكَ الدُّنيا،
ومن كان جوعه في نفسه فلن يشبعَ ولو أكَل الدُّنيا،
ومن كان عَوَزُه في رُوحه فلن يقنع ولو أخذ الدُّنيا،
كلُّ غنى دون القناعة فقر!
وهذه الدُّنيا لا سعادة فيها إلا لقانعٍ وراضٍ،
ومع العِشرة وطولِ الصُّحبة ستكتشف،
أنَّ العيون الشبعانة أجمل بكثيرٍ من العيون الملوَّنة!

42
كيفَ وَجَدْتَ أهلَكَ!

في كتاب حِلية الأولياء للأصبهانيِّ:
تزوّج سلمان الفارسيُّ امرأةً، فلمَّا أصبحَ جاءَه أصحابه،
فقالوا: كيف وجدتَ أهلكَ؟
فأعرضَ عنهم، فأعادوا السؤال ثلاث مرّاتٍ وهو يُعرض عنهم!
ثم قال: إنَّ الله جعل السُّتُور والأبواب لتواري ما وراءها،
حسب المرءِ أن يسأل عما بدا له، ويمسكُ عمَّا غاب عنه!
لا تكُن حشرياً، فمِن حُسن إسلامِ المرء تركُه ما لا يعنيه،
ولا تكُن فُضولياً، فمن تتبَّع عوراتِ النَّاس تتبَّع الله عورته،
البيوت أسرارٌ، والنَّاسُ يؤذيهم أن تشيع أسرارهم،
وما من علاقةٍ إلَّا وفيها ما يُحبُّ المرء أن يُبقيه لنفسه،
فإن فضفضوا إليك، فاسمَعْ، وانصَحْ، واكتُمْ ما سمعتَ،
وإن أَخفَوا عنكَ أمراً، فلا تحشُرْ أنفَكَ في حياتهم!
سُئلتْ أعرابية عن إناءٍ قد غطَّته: أي شيءٍ داخل الإناء؟
فقالتْ: فلِمَ غطَّيناه إذاً!

43

جُنودٌ مُجنَّدةٌ!

في التَّمهيدِ لابن عبد البّر:

قال عبد اللّه بن مسعود: لا تَسْأَلَنَّ أحداً عن ودِّهِ إيَّاك،

ولكن انظُرْ ما في نفسِك له، ففي نفسه مثل ذلك،

فإنَّ الأرواحَ جنودٌ مجنَّدة:

ما تعارفَ منها ائتَلف، وما تَناكَر منها اختلف!

لا شيء يمكنه أن يُفسِّرَ الحُبَّ كهذه: الأرواحُ جنودٌ مجنّدة،

يلتقي غريبٌ بغريب فما يلبثُ أن يصير أحدهما،

هو العالم كلُّه في عين صاحبه ما ضرَّه بحضوره من غاب،

ولا يحفلُ بغيابه بمن حضَر!

ويعاشرُ المرءُ منّا بعض البشرِ أعواماً،

فإذا هم عالقون في حلقِه لا هو قادر على أن يبتلعهم،

ولا هو قادر على أن يلفظهم!

44
عِلاج لا انتِقَام

أخذَ الحسنُ ابنُ عليٍّ سبطُ رسولِ اللهِ ﷺ،
تمرةً من تمرِ الصَّدقة، وجعلَها في فمِه،
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: كِخْ، كِخْ،
أما تعرفُ أَنَّا لا نأكلُ الصَّدقة؟!
من أجملِ ما قالتِ العربُ: العِلمُ في الصِّغرِ كالنَّقشِ في الحَجرِ،
أي أنهَّ يدومُ إلى الأبدِ، ما حُفِرَ باكراً يبقَى،
والأخلاقُ عِلمٌ، والعقيدةُ عِلمٌ، والحلالُ والحرامُ عِلمٌ،
من أحمقِ ما يقولُه النَّاسُ إذا أخطأَ الطِّفلُ وأرادَ أبواه أن يُؤدِّباه:
اترُكَاه، ما زالَ صغيراً!
فمتى تكون التَّربية إذا لم تكُن في الصِّغر!
إنَّ الغصنَ المُعوجَّ يسهلُ تقويمُه، ولكنَّ الشَّجرةَ المائلةَ لا تستقيمَ أبداً،
على أنَّ التأديب علاجٌ لا انتقامٌ!
وتعديلُ السُّلوك بالحُبِّ والتّفهم تربيةٌ، وتعديلُه بالعنفِ والضَّربَ تخلُّفٌ،
لا تكُونوا جلَّادين وتزرعُوا الرُّعبَ والخوفَ في قلوبِ أولادكم،
جريمةٌ أن يكبرَ الأولادُ وهم يعتقدون أنَّ العنفَ وحدَه يحلُّ المشاكلَ!

45
ولكنْ سَلُوا اللّه العافيـة!

أخرج عبد الرَّزَّاقِ في المُصنّف:

قالَ ابنُ مسعود: إذا رأيتم أخاً قارفَ ذنباً،

فـلا تكونـوا للشّيطان أعوانـاً عليـه تقولـون: اللهـمَّ اخـزه، اللهـمَّ العَنْـهُ،

ولكن سلُوا اللّه العافية!

واللّهِ ما استقامَ أحدٌ بقوّته ولكنَّ اللّه أعان!

وما عصى أحد لضعفه ولكنَّ العاصم أعرضَ!

وكلنا عصاة، وما من أحدٍ إلَّا وله ذنوب،

كلُّنـا أسـوأ ممَّـا نبـدو ولكنَّـه رداء مـن اللّه اسـمه السِّـتْرُ أرخـاهُ علينـا،

فلا تشمتوا بمن ظهرت ذنوبه للنَّاس،

واحمدوا اللّه على أنَّه لم يرفع عنَّا ستره كما رفعه عنه!

لا تُلقِ بنَفْسِكَ عندَ أوَّلِ شعورٍ
بالإعجاب، كثيرٌ من الاحتراقِ
كان خديعةَ لحظةِ الدِّفءِ الأولى!

46
فتَشَبَّثُوا بها!

في كتابِ الحلمِ لابن أبي الدُّنيا:
قال عمر بن الخطَّاب:
إذا رزقكم اللهُ مودَّة أمرئٍ مسلم، فتشبَّثُوا بها!
لا يعثر المرءُ على خِلٍّ كل يوم فتمسَّكْ بأحبابك!
ومن غلبَ خيره على شرِّه لا يُترك،
من أراد زوجةً بلا خطأ سيبقى طوال عمره عازباً،
ومن أرادَ أقرباءَ بلا خطأ سيكون كالمقطوعِ من شجرة،
ومن أرادَ صاحباً بلا عيبٍ سيمضي عمره وحيداً،
ما منَّا من أحدٍ إلا وله عليه، فهَبْ ما عليهم لما لهم،
ولا تطلبِ الكمالَ في النّاس فأنت لستَ كاملاً!

47

الخيرُ كلُّه في الرِّضى!

في كتاب العقوبات لابن أبي الدُّنيا:

قال عمر بن الخطَّاب: الخيرُ كلُّه في الرِّضى،

فإن استطعتَ فَارْضَ، وإن لم تستطعْ فاصبِرْ!

أسوأ ما يعتقدُه المرءُ أنه مقصودٌ وأنَّ كلَّ شيءٍ يعملُ ضدَّه!

لا يا صاحبي، هذه هي الدُّنيا: فقد، وفقر، ومرض، وخوف، وحاجة،

لا يوجد إنسان إلَّا وفقد عزيزاً فلستَ وحدكَ الفاقد،

ولا يوجد إنسان إلَّا ومرِضَ يوماً فلستَ وحدكَ العليل،

ولا يوجد إنسان إلَّا وخاف شيئاً فلستَ وحدكَ الخائف،

ولا يوجد إنسان إلَّا وتمنَّى ولم يحصل على أمنيته فلستَ وحدك المحروم،

للّهِ سبحانه حكمة بالغة في كل ما يُصيب العبد فتأدَّبْ!

فإن فهمتَ الحكمة فارضَ فهذا أعلى مراتب الإيمان،

وإن غابتْ عنك فاصبرْ فإنَّما أنتَ نهاية المطافِ عبدٌ،

والعبدُ لا يتذمَّرُ أبداً من قضاءِ سيِّده!

48
أَدْرِكْ سَهْلاً!

روى الإمام أحمد، وابن ماجة، والنَّسائيُّ:
إنَّ عامر بن ربيعة مرَّ بسهل بن حنيفٍ وهو يغتسِلُ،
وكان سهلٌ جميلاً، وضَّاءً، حَسَنَ الجلدِ،
فقال عامر: لم أرَ كاليوم ولا جِلْدَ مُخبَّأَة!
فِصُرعَ سهلٌ، وجِيء به إلى النّبيِّ ﷺ، وقيل له: أَدْرِكْ سهلاً صريعاً!
فقال النّبيُّ ﷺ: من تتَّهمون به؟
فقالوا: عامر بن ربيعة! فقالَ: علامَ يقتلُ أحدُكم أخاه؟!
إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبه فليدعُ له بالبركة!
ثمَّ أمرَ عامراً أن يتوضَّأ، وصبَّ الماءَ على سهلٍ، فبَرِئَ!
العينُ حقٌّ فاذكرِ الله على كلِّ جميلٍ تراه،
وقد يصيبُ المرءُ مالَه وولده بالعين وهو لا يدري،
للعينِ سِهَامٌ مسمومة ولا علاقة لهذا بالحسَد بالضَّرورة،
فاجْعَلْ شِعَارَكَ قولَ المؤمنِ لصاحبِ الجنَّتين: فقُلْ ما شاءَ الله لا قوَّةَ إلا بالله!

49

عُذْتِ بمعاذٍ!

روى البخاريُّ من حديث أُسيد بن أبي أُسيد أنَّه قال:

تزوَّج النّبيُّ ﷺ امرأةً من بلجون،

فبعثَنِي، فجئتُ بها، وقلتُ: يا رسول الله، جئتُكَ بأهلك!

فأتاها، فأهوى إليها ليقبِّلها، فقالت له: أعوذُ باللهِ منكَ،

فقال لها: عُذْتِ بمعاذٍ! وردَّها إلى أهلها!

الحياءُ من أجمل مستحضرات تجميل النِّساء ولكن له موضعه،

والتَّمنُّع يُجمِّلُ المرأة ولكنَّه حمقٌ حيث لا يجب،

في الحلال أقبِلِي بكلِّ شيءٍ فيكِ،

وفي الحرام أدبِري بكلِّ شيءٍ فيكِ،

الأنوثةُ اختصرَتها لكِ عليَّة بنت المهديِّ أختُ هارونَ الرَّشيد حين قالتْ:

نحنُ نِساءٌ مع رجالنا، رجالٌ مع غيرهم!

50
وحَلَفَ عليهما ألَّا يُفارِقَاهُ!

في كتاب أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير،
أسلمَ أُميَّةُ بن الأشعر وهو شيخ كبير طاعن في السِّن،
وكان شاعراً، وكان له ابنان أحدُهُما أُبيٌّ والآخر كلاب،
فتركاهُ وهاجرا إلى المدينةِ في زمنِ عمر بن الخطّاب،
فقالَ يبكي فقدهما:

إذا بكتِ الحمامةُ بطْنَ وجٍ على بيضاتِها أدعو كلابا

فبلغ قولُهُ عمرَ، فَرَقَّ له، وردَّ ولديه عليه،
وحلفَ عليهما أن لا يُفارقاه حتى يموت!
الجمعُ بين الأحباب من مكارم الأخلاق فكُنْ خلوقاً،
إن كان بالإمكان لملمةُ قلبَينِ عاشقين فلا تزهَدْ،
هناك وجعٌ يستمرُّ طوال العُمرِ فلا تكُن سبباً فيه!
ولا تُحارب أُمّاً بأولادها ولو كرهتها فهذا من دناءَةِ الأخلاق،
ولا تمنع زوجتك من أهلها ولو كان بينَك وبينَهم شيءٌ فهذا من القطيعة،
النَّاس ليسوا سلاحاً لتصفيةِ الحِسابات!

51

إلَّا ما علَّمنِي اللّه!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ:

حين ضلَّتْ ناقةُ رسولُ اللّه ﷺ يوم تبوك،

قالَ المنافقون: إنَّ محمداً لا يعلمُ خبر ناقته فكيف يعلمُ خبر السَّماء،

فقالَ النّبيُّ ﷺ لمَّا عَلِمَ مقالهم:

إنِّي لا أعلمُ إلا ما علَّمني اللّه، وقد أعلمنِي مكانها،

وإنِّها في الوادي في شِعب كذا!

فانطلقَ الصَّحابة وجاؤوا بها، وكان الذي جاء بها الحارث بن خَزَمة!

وأنتَ، لا تفخرْ بشهادتكَ، فإنّ الذي علّمكَ هو اللّه!

ولا تتكبِّرْ بمالكَ فإنَّ الذي أعطاكَ هو اللّه!

ولا تتجبِّرْ بنسبكَ فإن الذي جعلكَ في صلبِ أبيك هو اللّه!

نحتاج أن نتأدَّبَ ونحن في غمرةِ النِّعم!

52
إنَّما جزاءُ السَّلفِ الوفاءُ والحَمْدُ!

روى الإمامُ أحمدُ، وابنُ ماجة من حديث الحارث بن أبي ربيعة،
أنَّه قال: لما قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ مكَّةَ،
استلفَ منِّي ثلاثين ألفاً مالاً، واستعارَ سلاحاً،
فلمَّا رجعَ ردَّ إليَّ ذلك كلَّه وقالَ لي: إنِّما جزاءُ السَّلفِ الوفاءُ والحمد!
الذُّنوب التي بينكَ وبين الله أمرها للهِ وهو رحيم،
والتي بينكَ وبين النَّاسِ مرهونةٌ بعفوهم والله عادلٌ!
وقد بلغَ من عدله سبحانَه أنَّه يغفرُ للشَّهيدِ كلَّ شيءٍ إلا الدَّين!
فإيّاكَ وأموال النّاس فأيُّما لحم نبتَ من حرام فالنَّار أولى به،
ثمّ أليس من النَّذالةِ أن تطرقَ الباب محتاجاً تستدين فيعطونك،
ثم إذا أخذتَ غدرتَ وجعلتَ النّاسَ يندمون على المعروفِ الذي صنعوه!

53
نعم أنا أزْعُمُ ذلك!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثير:
جاءَ الحارثُ بن عبد العُزَّى زوج حليمة السَّعدية إلى مكَّة بعد البعثة،
فقالتْ له قريشٌ: ألا تسمع ما يقولُ ابنُكَ هذا؟ قالَ: وما يقول؟
قالوا: يزعُمُ أنَّ الله يبعثُ بعد الموت، وأنَّ للنّاسِ دارين،
يُعذِّبُ فيهما من عصاه، ويُكرمُ من أطاعه! وقد شتَّتَ أمرنا، وفرَّقَ جماعتنا!
فأتاه، فقالَ له: أي بُنيَّ ما لكَ ولقومك يشكونكَ!
ويزعمون أنك تقول إنَّ الناس يُبعثون بعد الموتِ ثم يصيرُون إلى جنة ونار؟!
فقالَ له النّبيُّ ﷺ: نعم أنا أزعمُ ذلكَ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبتِ،
قد أخذتُ بيدكَ حتى أُعرِّفكَ حديثكَ اليومَ!
فأسلمَ الحارثُ، وكان يقولُ: لو أخذَ ابنِي بيدي فلن يتركَها حتى يدخلني الجنَّة!
سيكون بعثٌ ولو شكَّكَ النّاسُ بذلك فاستعِدّ!
وسيكون محشرٌ ولو أنكرُوا ذلك فتهيَّأ!
وسيكون حسابٌ وميزان ولو كذَّبوا فجهِّزْ بضاعتك،
وسيكون صراطٌ وجوازٌ ولو شكَّكوا فحضِّرْ مطاياك!

54

دَعْه يا حسَّان!

في كتابِ الإصابةِ في تمييز الصَّحابةِ لابنِ حجرِ العسقلانيِّ:
كان الحارثُ بن عوفٍ بن أبي حارثة من رؤوسِ النّاس في الجاهلية،
وجاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ وهو شيخٌ كبيرٌ فأسلم،
وطلبَ من النّبي ﷺ أن يُرسلَ معه من يُعلِّمُ قومَه الإسلام،
فقامَ قومُه إلى الرَّجل فقتلوه، ولم يستطعِ الحارثُ أن يدفعَ عنه،
فهاجمهم حسَّانُ بن ثابت عل غدرهم، وأغلظَ القولَ على الحارث!
فبعثَ الحارثُ ديةَ الرَّجلِ إلى النَّبيِّ ﷺ معتذراً من فعلِ قومه،
وطلبَ من النَّبيِّ ﷺ أن يمنعَ حسَّاناً من هجائه،
فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لحسَّان: دَعْه يا حسَّان!
لا تأخذِ النّاسَ بالجملةِ، كلُّ قومٍ فيهم الصَّالحُ والطَّالحُ،
ولا تُحمِّلْ إثمَ الخطأ لمن لم يقترفه معك!
ما شأن نوحٍ عليه السّلام إن كان ابنُه كافراً،
وما علاقةُ آسيا بنت مزاحم إن كان زوجها فاجراً،
خُذْ حقّكَ ممن هو عنده ولا شأنَ لك ببقيَّة النَّاس!

55

كيفَ يأتيكَ الوَحيُ؟!

روى البخاريُّ ومسلمُ من حديثِ الحارثِ بن هشام:

قالَ: سألتُ النّبيَّ ﷺ: كيف يأتيكَ الوحيُ؟!

فقالَ: أحياناً يأتيني مثل صلصلةِ الجرسِ، وهو أشدُّه عليَّ،

فينفصمُ عنِّي وقد وعيتُ ما قال!

وأحياناً يتمثَّلُ إليَّ المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول!

وقالتْ عائشةُ عن حالِ رسولِ اللّهِ ﷺ بعد أن يُغادره الوحيُ:

فلقد رأيتُه في اليوم الشَّديدِ البردِ، وإنَّ جبينَه ليتفصَّدُ عرقاً!

متخيّلٌ أنتَ كم تعبَ النّبيُّ ﷺ ليكون لكَ دِين؟!

حتى الوحيُ وتلقي الرّسالة كان له أثره ومواجعه،

تخيَّله يُؤخَذُ ويُهتزُّ وكأنَّها صلصلة جرس،

بل تخيّلْ يوماً شديدَ البرودةِ وإن العرق ينزُّ منه من هولِ الوحي،

واللّهِ لو صلَّينا عليه العمر كله ما وفينَاه حقَّه علينا،

ولكن دَعُونا نحاولُ أن نُصلِّي عليه ما استطعنَا!

56
وهوَ في الفِرْدَوسِ الأعلى!

روى البخاريُّ في صحيحِه من حديثِ أنسِ بن مالك قالَ:
إنَّ حارثةَ بن الرَّبيع خرجَ يوم بدرٍ وكان غلاماً،
فجاءه سهمٌ غَرْب/ طائشٌ فوقع في نحره، فقتله!
فجاءتْ أُمُّه إلى النّبيِّ صلى الله عليه وسلم وقالتْ له: يا رسولَ الله،
قد علمتَ مكانِ حارثةَ منِّي، فإن يكن في الجنّةِ فسأصبِرُ،
وإلا فسيرى الله تعالى ما أصنعُ، تقصدُ النَّواح والبكاء،
فقالَ لها: يا أمَّ حارثة، إنها ليستْ بجنّة، ولكنها جنَّاتٌ كثيرة،
وهو في الفردوسِ الأعلى!
فقالتْ: سأصبرُ!
ليسَ المهمُّ كيف يموتُ المرءُ وإنّما على أيِّ شيءٍ يموت!
سهمٌ طائشٌ، أو طلقةٌ مقصودةٌ، المهم ما كان في قلبكَ وقتها!
الذي قتلَ منه نفسٍ ثم خرج تائباً قبلَ الله تعالى منه،
رغمَ أنَّه لم يصِلْ إلى قريةِ الصَّالحين،
ولكنَّ الله تعالى علِمَ إلى أين كان يسير،
ليكن اللهُ دوماً في قلبكَ، وليس للنَّاسِ عندكَ حقوق، ثم مُتْ كيف شئتَ!

57

أنتَ حكيمٌ جاءَ من عندِ حكيمٍ!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابة لابنِ الأثيرِ:

أرسلَ النّبيُّ ﷺ حاطبَ بن أبي بلتعة إلى المقوقسِ:

فقالَ له المقوقسُ: أخبرني عن صاحبك، أليسَ نبيًّا؟

فقالَ له حاطبٌ: بلى، هو رسولُ اللهِ ﷺ!

فقالَ المقوقسُ: فما له لم يدعُ على قومِه حيث أخرجوه من بلدتِه؟!

فقالَ له حاطبٌ: ألستَ تشهدُ أنَّ عيسى ابن مريم رسولَ الله؟

فقالَ: بلى.

فقالَ حاطبٌ: فما له حين أرادَ قومُه صَلبَه لم يدعُ عليهم حتى رفعه الله؟!

فقالَ المقوقسُ: أحسنتَ، أنتَ حكيمٌ جاء من عند حكيم!

مع المخالفين إن لم تكن ممتلئاً فلا تكشِفْ غطاءكَ،

وإن لم تكن متمكِّناً فلا تخضْ نقاشاً،

الخوفُ ليسَ عليكَ أنتَ فقط أن تشكَّ إن كنت ضعيفَ الحُجَّة،

الخوفُ على ذاك المتردِّد بينَ بينٍ حين يراكَ تُغلب!

58
لنترُكنَّها أحسنَ ما كانتْ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديث حبيبِ بن حِمَّازٍ قال:
كُنّا مع النّبيِّ ﷺ في سفرٍ،
فنزلَ منزلاً، فتعجَّلَ ناسٌ إلى المدينة،
فقال النّبيُّ ﷺ: لنتركنَّها أحسن ما كانت!
إذا ذهبتَ بأهلكَ إلى الحديقةِ العامة فلا تتركوا الأوساخَ خلفكم!
وإذا جلستَ على مقعد الدّراسةِ فلا تُعِثْ فيه فساداً!
وإذا استعرتَ كتاباً فلا تُطعِمه وتسقيه!
إن لم تستطِعْ أن تُجمّلَ الأشياء، فعلى الأقل حافظْ عليها كما استلمتَها!

59

إنِّي أَصَمٌّ لا أَسمَعُ!

في كتاب السِّيرةِ لابنِ هشام:

أرسلَ النَّبيُّ ﷺ حبيبَ بن زيدٍ إلى مسيلمةَ الكذَّاب،

فسأله مسيلمةُ: أتشهدُ أن محمداً رسول اللّه؟

فقالَ حبيبٌ: نعم!

فقالَ له مسيلمةُ: أتشهدُ أني رسول اللّه؟ فقالَ حبيبٌ:

إني أصمٌّ لا أسمعُ!

فقطعَ له مسيلمةُ عضواً من جسدِه!

ثم عادَ فسأله مِراراً، وفي كلِّ مرَّةٍ يُعادُ الحوارُ نفسه،

حتى قطَّعه مسيلمة عضواً عضواً فماتَ شهيداً رحمه اللّه!

إذا ما خاضُوا في أعراضِ النَّاسِ فقُلْ: إنِّي أصمٌّ لا أسمعُ،

وإذا ما أرادُوا منك قولةَ باطلٍ فقُلْ: إنِّي أبكمٌ لا أتكلَّمُ،

وإذا ما أرادُوا منك مسيرَ ظلمٍ فقل: إنّي مشلولٌ لا أتحرَّكُ،

إنّ الشُّجاعَ هو الجبانُ عندَ الحرام، وإنَّ المعافى هو المعاقُ عند المعاصِي!

60

يُؤْمِنُونَ بي ولمْ يرَوْنِي!

روى الإمامُ أحمدُ من حديثِ حبيب بن سِباعٍ أنَّه قالَ:
تغدَّينَا معَ رسولِ اللهِ ﷺ ومعنا أبو عبيدة بنُ الجرَّاح،
فقالَ أبو عبيدةُ: يا رسولَ اللهِ، أأحدٌ خيرٌ منَّا،
أسلمنا، وجاهدنا معكَ، وآمنا بكَ؟!
فقالَ له: نعم، قومٌ يكونون بعدكم، يُؤمنون بي ولم يرونِي!
بآبائنا أنتَ وأمهاتنا يا رسولَ الله،
أحببناك ولم نركَ، وصدَّقناك ولم نسمعْ منكَ،
وودِدنا واللهِ لو فديناكَ بالأرواح والدِّماءِ والأهلِ والأموالِ،
ولكننا نتعزَّى أنَّ المرءَ نهايةَ المطافِ مع من أحبَّ،
وحسبنا من الشَّوقِ قولُكَ: موعدكُم معي على الحوضِ!



لا تبحثْ في الحُبِّ عن سببٍ:
هذه يدُ الله!
وما زرعَهُ الله فلن يقتلعَهُ النَّاس!

61

لا أسْبقُه إلى شَيءٍ أبداً!

روى التِّرمذيُّ وأبو داودٍ، من حديثِ عمر بن الخطَّابِ أنَّه قالَ:
أمرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ أن نتصدَّقَ،
فوافقَ ذلك عندي مالاً، فقلتُ: اليوم أسبقُ أبا بكر!
فجئتُ بنصفِ مالي، فقال لي النَّبيُّ ﷺ: ما أبقيتَ لأهلكَ؟
فقلتُ له: أبقيتُ لهم مثله.
وأتى أبو بكرٍ بكلِّ ما عنده، فقال له النَّبيُّ ﷺ: ما أبقيتَ لأهلكَ؟
فقالَ له: أبقيتُ لهم اللهَ ورسوله! فقلتُ: لا أسبقه إلى شيءٍ أبداً!

أرأيتَ بماذا كانوا يتسابقون؟!
لم تكن سباقاتهم أيُّهم يأخذُ أكثر بل أيُّهم يُعطي أكثر!
أرأيتَ على أيِّ شيءٍ كانوا يتنافسون؟! كانت منافستهم أيُّهم يصِلُ إلى الله أوَّلاً!
لم يعرفُوا بيتي أجمل من بيتكَ، وناقتي أجمل من ناقتكَ،
كانوا يعرفون أنَّ الدُّنيا أتفه من أن تكون مضمارَ سباق،
فاللهُمَّ اجعَلْ سباقَنا إليكَ، وتنافسَنا فيكَ!

62

مَا ضَرَّ عثمَانُ!

روى التِّرمذيُّ من حديثِ عبدِ الرَّحمن بن سَمُرَة، قالَ:
حثَّ النَّبيُّ ﷺ على الصَّدقةِ حين جهَّزَ جيشَ العُسرة،
فجاء عثمانُ بن عفَّانٍ إلى النّبيِّ ﷺ بألفِ دينارٍ،
فنثرَها في حِجْرِ النّبيِّ ﷺ، فرأيتُه يُقلِّبها في حِجره،
ويقولُ: ما ضرَّ عثمانُ ما عملَ بعد اليوم، يُردِّدها مرتين!
ثمَّة موقفٌ واحدٌ قد يكون ثمناً للجنَّةِ،
بغيٌّ بني إسرائيل دخلت الجنَّةَ بموقفٍ،
والذي قطعَ غصنَ الشَّجرةِ الذي يؤذي المسلمين دخل الجنَّةَ بموقفٍ،
والذي قتلَ مئة نفسٍ دخل الجنَّةَ بموقفٍ وإن لم يصِلْ،
والذي ذكرَ الله خالياً ففاضتْ عيناه دخل الجنَّة بموقفٍ،
والذي دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمالٍ فاستعصمَ دخل الجنَّة بموقفٍ،
فإياكَ أن تحقرَ موقفاً فربما الجنَّة فيه، هذا الرَّب الكريم،
وقد تكون الجنَّةُ بجبرِ خاطرٍ، أو مسحِ دمعةٍ، أو رغيف خبزٍ لمسكين!

63

فهوَ منه بريءٌ!

في كتابِ إحياءِ علومِ الدِّين للغزاليِّ:

مرضَ قيسُ بن سعدِ بن عبادة، فاستبطأَ إخوانه!

فقيلَ له: إنهم يستحون مما لكَ عليهم من الدَّين!

فقالَ: أخزى اللهُ مالاً يمنعُ الإخوان من الزِّيارة!

ثم أمرَ منادياً فنادى:

من كان لقيس بن سعدٍ حقٌّ عندَه فهو منه بريء!

فانكسرتْ عتبته بالعشيِّ لكثرة من زاره وعادَه!

حاجةُ النّاسِ إلى النّاس مُرَّة فحلُّها بأدبِ العطاء،

لا تُعطِ متفضِّلاً فإنَّ للناسِ كراماتٌ قبل أن تكون لهم حاجاتٌ،

ولا تمنحْ متغطرِساً فإنَّ إراقة ماء وجه إنسانٍ كإراقة دمِه،

وإذا أحسنتَ إلى إنسانٍ فأشِحْ وجهكَ عنه حتى لا ترى حياءَه عارياً،

كلُّ عطاءٍ مقرونٍ بالمنِّ والأذى ليس للهِ فيه حاجة!

64
بلى لأحْلِبنًّها لكم!

روى ابنُ سعدٍ في الطَّبقاتِ الكُبرى:
كان أبو بكرٍ الصِّديق يحلبُ لأهل الحيِّ أغنامهم،
فلما بُويعَ بالخلافة، قالتْ جاريةٌ من الحيِّ: الآن لا يحلبُ لنا!
فسمعهَا أبو بكرٍ فقال: لأحلبنَّها لكم،
وإنيِّ لأرجو ألَّا يُغيِّرني ما دخلتُ فيه عن خُلقٍ كنتُ فيه!
فكان في مدَّةِ خلافتِه يحلبُ لهم!
قد يُغيِّرُ المنصبُ عاداتكَ ولكن من العيب أن يُغيِّرَ أخلاقكَ،
وقد يُغيِّرُ المالُ حياتكَ ولكن من العيبِ أن يُغيِّرَ أصلكَ،
ثم مهما تقلَّدت من مناصبٍ فهي أدنى من الخلافة،
وها هو أبو بكر يحلبُ أغنام مساكين الحيِّ، فتواضعْ،
أنا شخصيًا أؤمنُ أن المالَ والمنصبَ لا يُغيِّران النَّاس،
إنهما يكشفانهم على حقيقتهم فقط!

65
لَا تَفْتِنِّي!

في كتابِ حِليةِ الأولياءِ للأصبهانيِّ:

دعا عمرُ بن الخطَّاب سعيدَ بن عامرٍ وقال له:

إنِّي أريدُ أن أستعملَكَ على أرضٍ كذا وكذا،

فقالَ له سعيدُ: لا تفتِنِّي يا أميرَ المؤمنين!

فقالَ له عمرُ: واللهِ لا أدعُك، قلَّدْتُموها في عُنقي وتتركوني؟!

المناصبُ العامَّة تكليفٌ لا تشريف، وخدمةُ النَّاس مسؤوليةٌ لا أُبهَّة،

ومنِ ابتلاهُ الله بالمنصبِ والمسؤوليَّةِ فقد امتحَنَه فلا يرسب،

ومن عافاهُ الله منها فقد رحِمَه فلا يَسْعَ إليها!

ولكن لا يَصحُّ أن يرفضَ الكُفُؤُ المنصبَ لِوَرَعِه،

فلو تورَّعَ كلُّ الأفاضلِ لتولّى أمورَ النّاسِ الأراذل،

ألم ترَ أنَّ يوسف عليه السّلام قال: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾!

66

هكذا أُمِرْنا أن نفعلَ بعلمائنا!

في سيَرِ أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ،
ركبَ زيدُ بن ثابتٍ دابَّته، فأمسكَ ابن عبَّاسٍ بركَابها،
فقال له زيد: لا تفعلْ هذا يا ابنَ عمِّ رسولِ اللّه ﷺ!
فقال له ابن عبَّاس: هكذا أُمِرْنا أن نفعلَ بعلمائنا!
فأخذَ زيدُ بن ثابتٍ يدَ ابن عبَّاسٍ وقبَّلها،
وقال: هكذا أُمِرْنا أن نفعلَ بأهل بيتِ نبيّنا ﷺ!
إذا صفتِ القلوبُ ظهرتْ في النَّاس مكارمُ الأخلاق،
وإذا تلوَّثتِ القلوبُ ظهرتْ في النّاس النَّذالة!
وإنّ من صفاء القلوب إنزالُ النّاس منازلها،
المسؤول الأمين يُحترم، والعالم الرّبانيُّ يُبجَّلُ، والمُتَنَفّذُ النَّبيل يُقدَّر،
لا يرى الفَضْلَ في النّاس إلا صاحبُ الفَضْلِ،
ولا يَنتقِصُ من أصحابِ الفضلِ إلَّا ناقصٌ،
لهذا فإنَّ الكثيرَ من مواقفِ النَّاس تِجاهَ الآخرين لا تُخبِرك بحقائقِ الآخرين،
وإنَّما تُخبِرك بحقيقتهم هُم!

67

هُوَ واللهِ خُيْر!

روى البخاريُّ في صحيحِه:
جاءَ عمرُ بن الخطَّاب إلى أبي بكرٍ الصدِّيقِ وقالَ له:
إنَّ القتلَ اسْتحَرَّ يومَ اليمامةِ بالقُرَّاء،
وإنِّي أخشى أن يذهبَ كثيرٌ من القرآن،
إلَّا أن تجْمعُوه، وإنِّي لأرى أن تجمعَ القرآن!
فقال أبو بكر: كيف أفعلُ شيئاً لم يفعلْهُ رسولُ الله ﷺ،
فقال له عمر: هُوَ واللهِ خَيرٌ!
وما زال عمر يُراجِعُه حتَّى شرحَ الله صدرَ أبي بكرٍ!
كُلُّنا نملكُ نفسَ العينِ ولكنَّنَا لا نملكُ نفسَ النّظرةِ،
وهذا موقفٌ رأى فيه عمرُ ما لم يَرَهُ أبو بكر،
ومن قبلُ رأى أبو بكرٍ في قِتالِ المرتدِّينَ ما لم يرهُ عمر،
والعاقلُ من يسمعُ صوتَ العقلِ وإن جاءَ من غيرِه،
ويتَّبعُ سبيلَ الحِكمَةِ والصَّوابِ وإن دلّهُ عليه سِوَاهُ،
أحياناً نحن نحتاجُ أن نرى الأمرَ بعيونِ الآخرين!

68

هاجَرَ بِهِ أبُوهُ!

روى البخاريُّ في صحيحه من حديثِ نافعٍ قال:
فرضَ عمرُ بن الخطَّاب للمهاجرين الأوَّلِين أربعةَ آلافٍ،
وفرضَ لابنه عبد الله ثلاثةُ آلافٍ وخمسمئة!
فقيل له: لِمَ نقصتَه؟
فقال: إنَّه هاجرَ به أبوه، وليس كمن هاجرَ بنفسه!
المحافظةُ على المالِ العامِّ من أرقى العباداتِ لأنَّه حفظُ مالِ النَّاسِ جميعاً،
وتبذيرُ المالِ العَامِّ خيانةٌ لكلِّ النَّاس لأنَّه تبذيرُ مالِ كلِّ النَّاس!
كم من المناقصاتِ يُلعَبُ بها لتَرسُوَ على قريبٍ،
وكم من الوظائفِ تتقولبُ لتكونَ على مِقياسِ مَن جاء من طرفِ فلانٍ،
وكم من طُرقٍ أُنشئتْ خلافاً للمواصفات لأنَّ هناك واسطات،
مشكلةُ النّاسِ أنَّهم يتورَّعون عن المالِ الخاصِّ ويستهينون بالمالِ العامِّ،
الذي يَغُشُّ في المواصفات قد يَجِدُ حُرمةً في أن يَمُدَّ يدَه لجَيبِ إنسانٍ،
مع أن هذا سرقةُ شخصٍ واحدٍ، وغِشُّ المواصفاتِ سرقةُ كلِّ المواطنين!

69
لا أُكلِّمُكَ!

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صَحيحَيْهما:
رأى عبدُ اللهِ بن مغفَّلٍ رجلاً يحذفُ بالحجر، فقالَ له:
نهى النبيُّ ﷺ عن الحذفِ وقال: إنَّه لا يُصادُ به صيد،
ولا يُنكأُ به عدوٌّ، ولكنَّها قد تكسِر السنَّ، وتفقأُ العين!
ثم رآه بعد ذلك يحذفُ، فقال له: أحدِّثُكَ أنَّ النّبيَّ ﷺ،
قد نهى عن الحذْفِ، وأنتَ تحذفُ، لا أكلِّمُك كذا وكذا!
هذا هو الفرقُ بيننا وبين الصَّحابة:
أنَّهم كانوا لا يتَقبَّلون أن يعلمَ المَرءُ شيئاً دون أن يعملَ به،
أمَّا نحن، فالعلمُ علمُ العلماءِ، والعملُ عملُ الجُهَّال!
مشكلتُنا ليست في الجانب النَّظريِّ وإنَّما في الجانب التَّطبيقيِّ،
المسجونُ في قضيَّةِ سرقةٍ يحفظُ آياتٍ وأحاديثَ عن الأمانةِ أكثر من إمام المسجد،
والزّوج سيِّءُ الخُلُق يمكنه أن يُعطي محاضرةً عن احترامِ الزَّوجة!
لهذا إنَّ المسألة لا تتعلّقُ بماذا علِمنا، وإنَّما المسألة كلُّها ما عمِلنا بما علِمنا؟!

70

فعَصَمَها اللّه بالوَرَع!

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صَحِيحَيْهِما عن حادثةِ الإفْكِ:
قالتْ عائشة: سأَلَ النّبيُّ ﷺ زينبَ بنت جحشٍ عن أمري،
فقال: يا زينب، ما علِمْتِ؟ ما رأيتِ؟
فقالتْ: يا رسول اللّه، أحمي سمعي وبصري، واللّهِ ما علمتُ إلا خيراً!
وهي التي كانت تُساميني فعصمها اللّهُ بالورع!
زينب بنت جحشٍ ليست ضَرَّةً عائشة فقط،
وإنَّما هي المرأة التي بينها وبينها المنافسة عند النّبيُّ ﷺ،
ومع هذا تقولُ قولة حقٍّ، وتشهدُ شهادة حقٍّ،
لم تستغل الموقف لتغدرَ، ولم تتسلَّقْ على أكتاف النَّاس لِتَصِلَ،
لا أحدَ يطلبُ منك أن تُحِبَّ كلَّ النَّاس، مع أنَّ هذا شيء جميلٌ!
ولكنَّ المطلوبَ منكَ أن تعدِلَ حتَّى إذا كرهتَ!

71
لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً!

روى البخاريُّ ومسلم في صَحِيحَيْهِما من حديث حذيفةَ بن اليَمَان قال:

جاءَ أهلُ نجرانَ إلى النّبيِّ ﷺ،

فقالوا: يا رسولَ الله، ابعثْ إلينا رجلاً أميناً!

فقال: لأبْعَثَنَّ إليكم رجلاً أميناً، حقَّ أمينٍ، حقَّ أمينٍ!

فاستشرفَ لها النّاسُ، فبعثَ النّبيُّ ﷺ أبا عبيدة!

وضَعْ ألفَ خطِّ تحتَ جملةِ: فاستشرفَ لها النّاس!

إنَّ أكبرَ حاجةٍ في النّاسِ هيَ حاجتُهُم إلى التّقدير،

الإنسان مستعدٌّ أن يفعلَ الشَّيءَ دونَ مقابلٍ لمئةِ عام،

ولكنْ يزعِجُه أن يفعلَ الشّيءَ دون تقديرٍ ولو ليوم واحدٍ،

فحاولِ دائماً أن تبدي الامتنانَ لأيِّ إنسانٍ يُسدي إليكَ معروفاً،

تعبُ الزَّوجة ساعاتٍ في المطبخ يُذهبُه أن تُشيد بطَهْوِهَا أمامَ أولادها،

وكَدُّ الزَّوجِ في وظيفَتِه يُهوّنُه أن تُبدي امتنَانَكِ، وتُقدِّري جُهدَه،

لا شيءَ يقتُلُ الدَّافعيَّة في النّاس أكثر من غيابِ التَّقديرِ،

نحن الرَّابحون حين نُبدِي امتنَانَنَا لأنَّ هذا يدفعُ الآخرين للاستمرارِ في تقديمِ اللُّطف!

72

سَبَقَكَ أبو بَكْرٍ!

روى الإمـامُ أحمـدُ فـي المُسـنَد مـن حديـثِ عمـر بـن الخطّـاب قـال:

مرَّ النّبيُّ ﷺ على عبدِ اللهِ بن مسعودٍ وهو يقرأُ القرآن،

وأنا معه وأبو بكر، فقامَ النّبيُّ ﷺ يستمعُ لقراءته،

ثمَّ قـال: مـن سَـرَّهُ أن يقـرأ القـرآن غضّـا كمـا أُنـزِلَ فلْيَقْـرَأهُ مـن ابـن أم عبـد!

فأصبحتُ، فمضيتُ إلى ابنِ مسعودٍ لأبشرّه،

فقالَ لي: قد سبَقكَ أبو بكر!

احملِ البِشَاراتِ، وكُنْ رسولَ خيرٍ إلى النَّاس،

كلمةٌ حلوةٌ قيلت في غِيابِ إنسانٍ أخبره بها،

إشادةٌ تمَّتْ من وراءِ ظهره اجعله يراها،

ألِّفْ بين القلوب، وأشِعِ الحُبَّ، وانثُرِ المودَّة!

وإيَّاكَ أن تنقلَ سُوءاً ولو كنتَ صادقاً،

لا تمشِ بالنَّميمةِ بين النّاس، فلا يدخلُ الجنّة نمَّامٌ،

كان الأوائلُ يُسمُّونَ النَّمَّامين برُسلِ إبليس!

73
اِجْمَعُوا لَهُ!

روى الإمامُ أحمدُ في المُسنَدِ من حديثِ ربيعةَ الأسلميِّ قال:
أتيتُ النّبيَّ ﷺ وأنا كئيبٌ! فقال لي: ما لكَ في ربيعة؟
فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، أتيتُ قوماً كِراماً، فزوّجوني،
ولم يسألوني بيّنةً، وليس عندي المَهْرُ!
فقال النّبيُّ ﷺ: اجمعُوا له وزنَ نُواةٍ من ذهبٍ!
إعانةُ الفقيرِ على الزّواجِ من أعظم أبوابِ البرِّ،
لأنَّ فيه إعفافُ شابٍ وفتاةٍ، وإنشاءُ أُسرَةٍ، ومحافظةٌ على الفطرة،
وهي من الحسناتِ الجاريةِ التي تستمرُّ قُروناً طويلةً!
فكلُّ ولدٍ صالحٍ سيأتي من هذا الزّواج لكَ سهمٌ فيه ولو بعد ألفِ جيلٍ،
تخيَّلْ كم سجدةً ستكونُ في ميزانِك وأنتَ لم تسجدْهَا،
كم تسبيحةً، وكم صفحةً من القرآنِ، وكم صدقةً،
حتَّى في إعانةِ الابنِ على الزّواجِ صدقةٌ، وفي تخفيفِ مَهْرِ البنتِ صدقةٌ!

74
أصَابتْنِي دعوةُ سعدٍ!

روى البخاريُّ ومسلم في صَحِيحَيْهِما:

شكا أهلُ الكوفةِ سعداً إلى عمر بن الخطَّاب، فأرسلَ يسألُ عنه،

فقال رجل: إنَّ سعداً لا يسير بالسَّريَّة، ولا يقسمُ بالسَّويَّة، ولا يعدلُ في القضيَّة!

فقال سعد: اللهمَّ إن كان عبدُك هذا كاذباً، فأطِلْ عُمُرَه،

وأطِلْ فقرَه، وعرِّضه للفتن!

فعُمرّ الرّجلُ حتَّى سقطَ حاجبَاهُ على عَينَيه، وافتقرَ،

وكان يتعرَّضُ للجواري في الطُّرقات،

فإذا سُئلَ قال: شيخٌ مفتونٌ أصابتني دعوةُ سعدٍ!

اتَّقِ دعوة المظلوم فإنَّه ليس بينها وبين الله حجابٌ،

فربَّما انتهى الموقفُ، وظنَنْتَ أنَّك كسبتَ الجولةَ،

فإذا للحكايةِ بقيَّةٌ في دعواتِ السُّجود، وأكُفِّ الدُّعاء المبلَّلَةِ بالدَّمعِ،

وقد بلغَ من عدلِ الله أنَّه يستجيبُ دعاءَ الكافر المظلوم على المسلم الظَّالم!

وفي البيانِ والتَّبيين للجاحظ: اتَّقوا مجانيقَ الضُّعفاء، أي دَعَواتُ المظلومين!

75
أنا أخبِرُك بِهَا!

روى الإمامُ أحمدُ في المُسنَدِ من حديث طَلْحَة قال:
مرَّ بي عمرُ بن الخطَّاب وأنا مهمومٌ، فقال: ما بكَ؟
قلتُ: سمعتُ النّبيَّ ﷺ يقول: إنِّي لأعلمُ كلمةً،
لا يقولُها الرَّجلُ عند موته، إلَّا كانت نوراً في صحيفته!
فقال لي عمر: أنا أخبركَ بها، هي الكلمةُ التي أرادَ بها عمَّهُ،
أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أن محمَّداً رسول الله!
فكأنَّما كشفَ عنّي غطاءً!
اُنظُرْ لِما أهمَّ طلحة، وهذا هو دأبُ الصَّحابة كلهم،
كانوا يعيشون في الدُّنيا ولكن همَّهُم النَّجاةُ منها والفوزَ بالآخرة!
فكُنْ عُلْويًا، ارتقِ بهمِّكَ، واصعَدْ بِبُغْيَتكَ.
أصلِحْ دُنياكَ، وتميَّزْ، ولكن لا تنسَ أنَّها زائلة،
وأنَّ لحظةَ نزعِ الرُّوحِ هي لحظةُ إعلان نتيجة الامتحان،
من كان الله أكبر شيء في قلبه ثبَّتَه ليقولها،
ومن كان قلبه وعاءً للدُّنيا خرجَ منها صِفْرَ اليدين كما جاء!

نحن غارقُون في نِعَمِ الله ولا
ينقصُنا المزيدُ منها، نحَن ينقصُنَا
المزيدُ من الأدبِ مع الله!

76
يَا مَولَى الزُّبير!

روى البخاريُّ من حديثِ عبدِ الله بن الزُّبير قال:
دَعَانِي الزُّبيرُ، فجعلَ يوصيني بدَيْنِه، ويقول: يا بُنيَّ،
إن عجزتَ عن شيءٍ منه، فاستعِنْ عليه مولاي!
فواللهِ ما دريتُ ما أراد حتى قلتُ: يا أبتِ من مولاكَ؟!
فقال: الله!
يقولُ عبدُ اللهِ: فواللهِ ما وقعتُ في كربةٍ من قضاءِ دَيْنِهِ،
إلا قلتُ: يا مولى الزُّبيرُ، اقضِ عنه دَيْنَهُ، فيَقْضيه!
وأنت أيضاً لك مولى فاستعِنْ به على قضاءِ حوائجِكَ،
زُرْ الطَّبيبَ عندَ مَرضِك ولكن استعِنْ بالشَّافي،
وليَكُن لكَ عملٌ ووظيفةٌ ولكن تعلَّقْ بالرَّزَّاق،
اتخِذْ زوجةً، واعمَلْ لتكوِّن أُسرة، ولا تنسَ من الوهَّاب،
النّاسُ ليسوا إلا أسباباً في قدر الله، فلا تتعلّقْ بالأسباب وتنسى ربَّ الأسباب!

77

ما النجَّاة؟!

روى التّرمذيُّ من حديثِ عقبة بن عامر الجهنيّ قال:

قلتُ يا رسول الله: ما النَّجاةُ؟

فقالَ لي: أمسِكْ عليكَ لسانكَ، ولْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابكِ على خطيئتِك!

أمسِكْ عليكَ لسانك فإنَّه حادٌّ والضَّربةُ منه تُدمي،

كم من عِرضٍ استبيحَ بكلمةٍ قالها عابثٌ،

وكم من كرامةٍ سُفكتْ بكلمةٍ قالها قاسٍ،

وكم من نوم طار من عين صاحبه بكلمةٍ قالها لاهٍ،

لا تنقل الكلامَ السَّيِّء بين النَّاس وإن كان حقّاً فهذه هي النَّميمة،

ولا تجعل عيوبَ النّاسِ فاكهةَ المجلسِ وإن كان صِدقاً فهذه هي الغِيبة،

أحمقُ النَّاسِ من انشغلَ بعيوبِ النّاس عن عيوبه،

والذي يُحاول إصلاحَ عيوبِه لن يجدَ وقتاً لينظرَ في عيوبِ النَّاس!

78
لا يا بنتَ الصِّدِّيق!

روى التِّرمذيُّ من حديث عائشة أنَّها قالتْ:
قلتُ: يا رسولَ الله، قولُ الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾
أهو الذي يزني، ويشربُ الخمر، ويسرق؟
فقال: لا يا بنت الصِّدِّيق، ولكنَّه الرَّجلُ يصومُ ويصلِّي ويتصدَّق،
ويخاف ألَّا يتقبَّلُ الله منه!
أخلِصْ نيَّتكَ، وسَلِ الله أن يتقبَّلَ منكِ، فكم من عاملةٍ ناصبة!
كم من صلاةٍ كُوِّرتْ ثمَّ أُلقيتْ في وجهِ صاحبها،
وكم من صيام ليس للإنسانِ منه إلَّا الجوع والعطش،
وكم من حجٍّ ليس فيه إلا تكلفةُ النَّفقةِ وتعبُ السَّفر،
وكم من صدقةٍ أفسدتَها السُّمعة، وأتلفَهَا الرِّياءُ،
ما أكثَرَ العامِلين وما أقلَّ الصَّادقين، وما أكثَرَ السَّائرين وما أقلَّ الواصلين،
فلا تأمَنْ، وكُنْ دائماً على وجَلٍ، فإنَّها من علاماتِ القَبول!

79
يا بُنيَّ فأنفِقْ!

روى الإمامُ أحمدُ في المُسنَدِ من حديثِ عائشة قالتْ:
دخلَ عليَّ عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ، فقال: يا أُمَّاه،
قد خِفتُ أن يُهلِكني كثرةُ مالي، أنا أكثرُ قريشٍ مالاً!
فقلتُ: يا بُنيَّ فأنفِقْ!
تُخبركَ أُمكَ عائشة سراً عظيماً: الصَّدقةُ من جنسِ النِّعمة!
صاحبُ المالِ عِبَادَتُه المُثلى الصَّدقةُ والإنفاقُ لا صيامُ التَّطوُّعِ وهو خَيرٌ!
والقاضي عبادتُه المُثلى هيَ العدلُ لا صلاةُ الضُّحى وهي خيرٌ،
والمقاولُ عبادتُه المُثلى عدمُ الغِشِّ لا قيامُ اللَّيل وهو خيرٌ،
والتَّاجرُ عبادتُه المُثلى الصِّدق لا العمرةُ بعد العمرةِ وهي خيرٌ،
اُنظرْ إلى النِّعمة التي حَبَاكَ الله إيَّاها فإنَّ زكاتَها من جِنسِها!

80
لا يضُرُّهم ألَّا يعرفُهُم عُمر!

في كتابِ التأريخ للطبريِّ:

لمَّا أتمَّ اللّه فتحَ نَهَاوَندٍ، جاءَ السَّائبُ بن الأقرعِ إلى عمر بن الخطَّاب،

وقال: أبشِرْ بالفتح يا أميرَ المؤمنين!

فقال له عمر: النُّعمانُ بَعثَك؟ وكان النُّعمان بن مُقرِّن قائدَه على الجيش،

فقال السَّائب: احتسِبِ النُّعمانَ يا أميرَ المؤمنين!

فبكى عمر واسترجعَ، وقال له: ومنْ ويحَكَ؟

فقال: فلان، وفلان، وعدَّ أناساً، وقال: وكثيرٌ لا تعرِفُهم!

فقالَ له عمر وهو يبكي: لا يَضُرُّهم ألَّا يعرفهم عمر، ولكنَّ اللّه يعرفُهم!

ليس شرطاً أن تكونَ معروفاً في الأرض المهمُّ أن تكونَ معروفاً في السَّماء،

الشُّهرة مَقتَلَةٌ لأنَّها حاملةٌ على الرِّياء إلَّا مَن رحم اللّه،

فكُن عبداً للّهِ إن شاء أظهركَ وإن شاء أخفاك،

فلا تبتهجْ للإعلان، ولا تبتئسْ للإطفاء،

حسبُك من الأمر أن تعلمَ أنَّ اللّه يرى وإن عميَ النّاس!

81
مكانَكَ حتَّى أَستبرِئَ لكَ الغَارَ!

في كتابِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ لابنِ هشام:

في طريقِ الهجرةِ كان أبو بكرٍ يمشِي أمامَ النَّبيِّ ﷺ ساعةً، ويمشِي خلفَه ساعةً!

فسألَه عن ذلك، فقالَ: أذكرُ الطَّلبَ فأمشِي خلفَكَ، وأذكرُ الرَّصدَ فأمشِي أمامَكَ!

فقالَ له النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: لو كانَ شيءٌ أحببتَ أنْ تُقتلَ دونِي؟

فقالَ: أي والذي بعثَك بالحقِّ!

فلمَّا انتهيَا إلى الغارِ قالَ له مكانكَ يا رسولَ اللهِ حتى أستبرئَ لكَ الغارَ!

أمَّا أنا فلستُ أدري من أيِّ أقوالِ أبي بكرٍ أَعجَبُ:

من: مكانكَ حتى أستبرئَ لكَ الغارَ!

أَمْ من: فشربَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم حتَّى رضيتُ!

أَمْ من: وهلْ أنا ومالِي إلا لكَ يا رسول الله؟!

أَمْ من: ما أطيبكَ حيًّا وميتاً يا رسول الله، واللهِ لن تموت مرّتين!

أبو بكرٍ كان في منزلةٍ وحده: أدنَى من الأنبياءِ قليلاً وأعلى من النّاسِ كثيراً!

82
وكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ!

في كتابِ فتحِ البارِي شَرحِ صحيحِ البُخاريِّ لابنِ حَجَرٍ:
عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ قالتْ: لم أكُنْ أُحسِنُ الخُبزَ،
وكان يخبزُ لي جاراتٌ من الأنصارِ، وكُنَّ نسوةَ صِدْقٍ!
إذا صنعَ أحدٌ معكَ معروفاً فلا تنسَه،
فقد قالتِ العربُ: الحُّر يُكبِّلُه الإحسانُ!
وإذا صنعتَ معروفاً مع أحدٍ فلا تذكرْهُ،
فقد قالتِ العربُ: المَنُّ ممحاةُ الإحسانِ!
وسمعَ ابنُ سيرينَ رجلاً يقولُ لآخر: أحسنتُ إليكَ، وفعلتُ، وفعلتُ!
فقالَ له ابنُ سيرين: اُسْكُتْ، لا خيرَ في المعرُوفِ إذا أُحصيَ!

83

لِمَكَانِ ابنتِه!

روى الشَّيخانِ في صحيحيهما:

عن عليٍّ بن أبي طالبٍ قالَ: كنتُ رجُلاً مذَّاءً،

فأمرتُ رجلاً أنْ يسألَ النَّبيَّ ﷺ، لمكانِ ابنتِه!

مِنَ الأدبِ عدمُ ذِكْرِ أيِّ شيءٍ يتعلَّقُ بالجِمَاعِ أمامَ أقاربِ الزَّوجةِ،

ولو كانَ هذا الذِّكر من بابِ الفقه!

بل إنَّ الأدبَ ألَّا يُذكرَ هذا الأمرُ أمامَ أحدٍ،

إلَّا لغرَضٍ طبيٍّ، أو لأمرٍ في الفقهِ والفتوَى!

هذا شيءٌ يجب ألَّا يخرجَ خارجَ بابِ غرفةِ النَّوم،

لا يُخرِجُه الزَّوجُ، ولا تُخرِجُه الزَّوجَةُ من بابِ أولى،

فلا هو يُروَى من بابِ البطولاتِ،

ولا يجوزُ أن يكونَ مائدةً للمجالسِ والشِّكاياتِ!

84
إلَّا مكَانُ رسولِ اللهِ ﷺ على فخذي!

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيهما مطوَّلاً حديثِ نزولِ آيةِ التَّيمُّم:

أنَّه قد ضاعَ عِقدٌ لعائشةَ، فاحتبسَ النَّبيُّ ﷺ الجيشَ علَّها تجده،

ولم يكن مع النَّاسِ ماءٌ للوضوءِ فلامَ النَّاسُ أبا بكرٍ لفعلِ ابنته!

تقولُ عائشةُ: فدخلَ أبو بكرٍ ورسولُ الله ﷺ واضعاً رأسَه على فخذي قد نامَ!

فقالَ: حبستِ رسولَ الله ﷺ والنَّاسَ وليس معهم ماء؟!

وجعلَ يطعنُ بيدِه في خاصرتي،

ولا يمنعنِي من التَّحرُّكِ إلَّا مكانُ رسول الله ﷺ على فخذِي!

احتملتْ عائشةُ الألمَ ولم تتحرَّكْ كي لا يستيقظَ النَّبيُّ ﷺ،

راعِيه في نومِه وفي طعامِه فإنَّ هذا من الحُبِّ، وقدِّميه على نفسك،

تُؤثِّرُ هذه المواقفُ في الرِّجالِ وإن لَم يُعبِّروا!

ورَاعِها في نومِها، وفي تعبِها، وفي تقلُّبِ مزاجِها، فإنَّ هذا من الحُبِّ،

وقدِّمها على نفسكَ، المرأةُ لا تُمتلَكُ إلا بالحُبِّ!

85
أَنفِقِي عَلَيهِم!

روى الإمـامُ أحمـدُ فـي المسـندِ عـن زينـبَ زوجـةِ عبـدِ اللّهِ بـن مسـعودٍ:

وكانـتْ امـرأةً لهـا صَنعـة، فكانـت تُنفِـقُ عليـه وعلـى أولادهـا مـن صنعتِهـا،

فقالتْ له: لقد شغَلْتَنِي أنتَ وأولادُكَ عن الصَّدقةِ!

فقالَ لها: واللّهِ ما أحبُّ أن تفعلِي إنْ لمْ يكنْ لكِ في ذلكَ أجر!

فأتتِ النَّبيَّ ﷺ فقالتْ: يا رسولَ اللّه، إنِّي امرأةٌ ذاتُ صنعة، أبيعُ منها، وليسّ لـي ولا لولـدِي نفقـةٌ غيرَهَـا، وقـد شـغلُونِي عن الصَّدقةِ،

فما أستطيعُ أن أتصدَّقَ بشيءٍ، فهلْ لي من أجرٍ فيما أنفقتُ؟

فقـالَ لهـا: أنفقِـي عليهـم، فـإنَّ لـكِ فـي ذلـكَ أجـرَ مـا أنفقـتِ عليهـم!

النَّفقةُ واجبُ الزَّوجِ، ومالُ الزَّوجةِ لها، لا خلافَ في هذا!

ولكنَّ البيوتَ التي فيها لكلِّ واحدٍ جَيبٌ بيوتٌ لا تُطاق!

تحابَّا حتى يكون أحدكُما للآخر أثمنَ من مالِ الدُّنيا،

وإذا أنفقـتِ مـن راتبـكِ علـى البيـتِ فإنَّـكِ تضعينَهـا موضـعَ الصَّـدقـة،

والأفضـلُ أن تفعلِـي، أنـتِ تخرجيـنَ إلـى العمـلِ علـى حسـابِ البيـتِ والـزَّوجِ!

86

فذكَرْتُ غيرَتَه!

روى البخاريُّ في صحيحه من حديثِ أبي هريرةَ قالَ:
بينما نحن جلوسٌ عند النَّبيِّ ﷺ إذْ قالَ:
بينمَا أنا نائمٌ رأيتُنِي في الجنَّةِ،
فإذا امرأةٌ تتوضَّأُ إلى جانبِ القصرِ، فقلتُ: لمنْ هذا القصرُ؟
فقالُوا: لعمرَ بن الخطَّابِ!
فذكرتُ غيرتَه فولّيتُ مدبراً!
فبكَى عمرُ وقالَ: بأبِي أنتَ وأمِّي يا رسولَ اللهِ أعليكَ أغارُ!
الغيرةُ على العِرضِ مما يُعرَفُ به الرِّجالُ،
هي غيرةُ النَّبيل الذي يُقيمُ الدُّنيا لأجلِ شعرةٍ في رأسِ امرأتهِ،
ولكنَّها الغيرةُ التي فِي موضِعِها، والشَّهامةُ التي في مكانِها،
هي غيرةٌ يُحبُّها اللهُ وتستلذُّها النِّساءُ،
لا غيرةَ الشَّكِّ والوسوسةِ والاتِّهامِ فهذه لا تُطاقُ معها الحياة!

87

فَلَا حاجَةَ لَكُم!

كان الأخنس بن شَريف قبل أن يُسلم حليفاً لبني زُهرة،
وخرج معهم لنجدةِ عِيرِ أبِي سُفيان القادمة من الشَّام،
فوصلَهُم خبرُ نَجَاةِ القافلةِ من المسلمين،
فأجمعتْ قُريشٌ على الحربِ وقصدتْ بدراً،
فأشار الأخنس على بني زُهرة بالرجوع وقال:
لا حاجةَ لكم في المسير قد نجَّى الله عيرَكم التي مع أبي سُفيان،
فعادوا جميعاً، ولم يُقتل من بني زُهرةَ أَحدٌ ببدرٍ!
إنَّ الله تعالى يُدافع عن هذا الدِّين بطرقٍ لا تخطر ببالكَ،
انُظُرْ كيف ألقى في قلبِ إنسانٍ رأياً فأملاهُ على قومه فأطاعوه،
فحيَّدَ الله تعالى به قِسماً كبيراً من جيشِ قريشٍ،
فلا تشغَلْ نفسك في ترتيباتِ المعركةِ كثيراً،
انشَغِلْ فقط أن تكون في صفِّ الحقِّ!

88
مُغضبٌ في ابنِ عمّكَ!

روى الإمـامُ أحمـدُ فـي المسـنِد، أنَّ عمـر بـن الخطّـاب وقـفَ خطيبـاً وقـال:

إنِّي أعتذرُ إليكم من خالدٍ بن الوليد،

أمرتُهُ أن يحبسَ هذا المال على المُهاجرين،

فأعطاهُ ذا البأسِ، وذا الشَّرفِ، وذا اللِّسان!

فنزعتُهُ، وأثبَتُّ أبا عبيدة بن الجَّراح مكانه.

فقام أبو عمرو بن حفصٍ وهو قريبٌ لخالدٍ، فقال:

واللهِ ما عدلتَ يا عمر، لقد نزعتَ عاملاً استعملَهُ رسول الله ﷺ،

فقـال لـه عمـر: إنّـكَ قريـبُ القرابـة، حديـثُ السّـن، مغضَـبٌ فـي ابـن عمّـك!

النّاسُ لا تهون عليهم أرحامهم وقراباتهم فَافْهَم هذا جيداً،

والـدُ زوجتِـكَ لـو علِمَ أنَّ معـكَ الحقَّ فـي الخِـلافِ فـلا تتَمَـادَ فـي ذمِّهـا أمامـه،

فلن تهونَ عنده ابنَتُه ولو كانت مخطِئَةً،

الأمُّ ستحبُّ ولدها دائماً، والأخ لن تهونَ عليه أُخته،

بيِّنْ حقكَ ولكن انتبه جيداً إلى مشاعرِ النَّاس!

89
فَضَّلْتَ علَيَّ أُسامة!

روى التِّرمذيُّ في سُننِه:

لمَّا فرضَ عمر بن الخطَّاب الأُعطيات للنَّاس من بيت المال،

أعطى لأسامةَ بن زيدٍ خمسة آلافِ درهمٍ،

وأعطى ابنَه عبدَ اللهِ بن عمر ألفين،

فقال عبدُ اللهِ لأبيه: فضَّلتَ عليَّ أُسامة وقد شهدتُ ما لم يشهد!

فقال له عمرُ: إنَّ أسامةَ كان أحبّ إلى النَّبيِّ ﷺ منك،

وأبوه كان أحبّ إلى النّبيِّ ﷺ من أبيك!

وأنتَ فانظُرْ أين كان هوى النَّبيِّ ﷺ فاجعلهُ هواك،

ما علِمْتَ أنَّه أحبَّه وأوصى به فأْتِ منه ما استطعتَ،

وما علمتَ أنَّه كرِهَهُ ونهى عنه فانْتَهِ عنه ما استطعت،

إنَّ المحِبَّ لا يبلغُ كمالَ الحُبِّ حتَّى يجعلَ هواهُ كهَوى حبيبِهِ!

90
أتَملِكُ يدكَ؟!

فـي السِّلسلةِ الصَّحيحـةِ للألبانـيِّ: عن أسـود بن أصـرم المحاربيِّ، قال:

قلتُ يا رسول الله: أَوصِني! فقالَ: أتَملِكُ يدكَ؟!

فقلتُ: فما أملِكُ إذا لم أملك يدي؟!

فقال: أتَملِكُ لسانكَ؟! فقلتُ: فما أملِكُ إذا لم أملك لساني؟!

فقال: لا تبسِطْ يدكَ إلَّا إلى خيرٍ، ولا تقُلْ بلسَانكَ إلَّا معروفاً!

عينُكَ ترى ما تريدُ أنتَ أن تراه فاغضُضْ بصركَ،

ويدك تمتدُّ إلى ما تريدُ أنتَ أن تفعله فلا تمُدَّها إلى حرام،

ولسـانُك لا يقـولُ إلَّا مـا تريـدُ أنـتَ أن تقولـه فإيَّـاك وأعـراض النَّـاس،

الجوارح مجرَّد أدواتٍ كعدَّة الحرفيِّين بالضبط،

هـل سـمعتَ يومـاً نجَّـاراً ألقـى اللَّوم علـى المنشـار بأنَّـه قطـع خشـبةً بنفسـه!

أحياناً يفعلُ النّاسُ مع النَّاسِ ما
يتمنُّونَ أن يفعلَه معهم أحد!

91

إنَّكَ مؤمنٌ وهو كافِرٌ!

روى مسلمٌ في صحيحه إنّ النَّبيَّ ﷺ قال لأكثم بن الجون:
يا أكثم بن الجون: رأيتُ عمرو بن لُحَيٍّ يجرُّ قُصْبَه في النَّار،
ما رأيتُ رجلاً أشبه برجلٍ منكَ به!
فقال أكثم: عسى أن يضُرَّني شبَهُهُ؟
فقال له: لا، إنّكَ مؤمن وهو كافر!
وعمرو بن لُحَيٍّ هو الذي أدخلَ الأصنامَ إلى جزيرة العرب!
النَّاسُ كلُّهم أبناء آدم عليه السَّلام وقد يُشْبِهُ المسلمُ الكافرَ،
المهمُّ ألَّا تتشابه القلوب فلا يتمايزان إلَّا بالاسم،
والأهمُّ ألا تتشابه التَّصرُّفات فلا نعرفُ مَن المسلم ومَن الكافر،
والأكثر أهميَّةً من كلِّ هذا أن لا يُقلِّدُهُم في أمور دينهم،
بعض المسلمين يُزيِّنُ شجرة للميلاد،
يقرأُ: لم يلِدْ ولم يُولَد، ثم يحتفلُ مع الذين قالوا اتَّخذَ اللهُ ولداً!

92
أُشهِدُكَ أنِّي تركتُها لَه!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ:
إنّ امرؤُ القيس بن عبَّاس خاصم ربيعة بن عيدان،
عند النَّبيِّ ﷺ في أرض له، ولم تكُن له بينَّة!
فقال له النّبيُّ ﷺ: بيّنَتُكَ وإلَّا فيَمينُه!
فقال: يا رسول الله، إن حلفَ ذهبَ بأرضي!
فقال له النَّبيُّ ﷺ: من حلفَ على يمينٍ كاذبة،
ليقتطع بها مالاً، لقِيَ الله وهو عليه غضبان!
فقال امرؤُ القيس: يا رسول الله، ما لمن تركها وهو يعلم أنَّها حقٌّ؟
فقال له النّبيُّ ﷺ: الجنَّة! فقال: فأُشهدكَ أنِّي قد تركتها له!
في بعض المواقف التَّنازل عن الحقِّ خيرٌ من خوض الصِّراعات،
ولكن يجب أن يُعلم أنَّ هذا الدِّين ليس دينَ ذِلَّة ولا جُبن،
والمرءُ يُقدِّرُ الأمور ويرى أسلَمَها وأقرَبَها على الله،
فإن شاء أن يهبَ لله فأجرُه على الله،
وإن شاء أن يخوضَ حرباً لأجل حقِّه فهذا هو الأصلُ!

93
فإنَّها أفضلُ الهجرة!

جاءت أمُّ أنسٍ إلى النَّبيِّ ﷺ وقالت له:
يا رسول اللّه، أوصِني!
فقال لها: اُهْجُرِي المعاصي فإنَّها أفضل الهجرة،
وحافظي على الفرائض فإنَّها أفضل الجهاد،
وأكثري من ذكر اللّه، فإنَّكِ لا تأتي اللّه بشيءٍ أحبُّ إليه من ذكره!

إن فاتتْكَ هجرةُ الصَّحابة في زمن النُّبوة،
فما زالتْ هجرة الأتقياء متاحةٌ في كلِّ الأزمان!
أُهجُرِ المعاصي فذاك كضربِ أكبادِ الإبِلِ سعياً وراء الحق،
وابتعِدْ عن مواطن الفجور فهذا النَّأْيُ قُربى مَن اللّه،
واجعَلْ بينَك وبين الشَّهواتِ سدّاً ولا تمتحن نفسك،
لا تُلقِ نفسك في مواطن الشَّهوات معتمداً على قوَّة إيمانك،
المرءُ لا يسقطُ مرَّةً واحدة ولكنَّه يألفُ شيئاً فشيئاً!

94

إنَّ ابنَ أخِي رَجلٌ رَامٍ!

لمَّا كانت غزوة أُحُدٍ جاء رافع بن خُديجٍ إلى النَّبيّ ﷺ،
يريدُ أن يخرج معه، وكان ما زال فتىً،
فاستصغره النّبيُّ ﷺ، وقال: هذا غُلامٌ صغير،
وهَمَّ بِرَدِّه، فقال عمُّه للنَّبيّ ﷺ: إنَّ ابن أخي رجلٌ رامٍ!
فأذِنَ له النّبيُّ ﷺ بالخروج إلى غزوة أُحد!
دُلَّ على الكفاءات فإنَّ هذا من النَّصيحة،
والنُّصحُ في الأمور العامَّة أعظمُ أجراً منه في الأمور الخاصَّة،
لأنَّ نفعه يطال النَّاس جميعاً بعكس النَّصيحة الخاصَّة، وفي كلٍّ خير!
وإيَّاكَ أن تُزكِّي قريباً بشيءٍ ليس فيه فإنَّها الخيانة،
وإنَّك فوقَ أنَّكَ حرمتَ صاحب الكفاءة الحقيقيِّ،
فإنَّك جعلتَ في المنصب من سيتضررُ النَّاس من توليه له،
ودفعُ الضَّررِ عن الجماعة مُقدَّمٌ على جلبِ المصلحة للفرد!

95
أن أتخِذَ سيفاً من خشبٍ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديث أهبان بن صيفيّ قال:

أتاني عليٌّ بن أبي طالبٍ، فقام على الباب فقال: أثَمَّ أبو مسلم؟

فقلتُ: نعم،

فقال: يا أبا مسلمٍ ما يمنعكَ أن تأخذَ نصيبَك من هذا الأمر وتكون معي؟

فقلتُ: يمنعُنِي مِن ذلكَ عهدٌ عهدَهُ إليَّ خليلي وابن عمِّكَ،
أن إذا كانت الفتنة أن أتخِذَ سيفاً من خشب!
وقد اتَّخذتُه، وهو ذاك مُعلَّق!
لا نخوضُ فيما جرى بين الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين،
وهي فتنة قد عصمَ الله أيديَنَا منها فلا نسعى إليها بألسنَتِنا،
وإنَّما نتعلَّمُ منها الدُّروس والعِبر فالحكمة ضالَّة المؤمن،
وأنَّه لا خير في اقتتالِ المسلمين فيما بينَهم،
وأنَّ دم المسلم أعظم حرمة عند الله من الكعبة المشرفة،
وأنَّ المسلم ما يزال في بحبوحةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دماً حراماً، فإذا ما أعمل المسلمون السَّيف بينهم فحاوِلْ أن تُصلِح،
فإن عجزتَ فليسعك بيتُك فالقاعد في الفتنة خير من الماشي!

96

فإنَّ البركةَ في البناتِ!

في كتابِ أُسدِ الغابة في معرفة الصَّحابة لابنِ الأثير:
دخلَ أوسُ بن ساعدة على النَّبيِّ ﷺ فرأى في وجهِه الكراهية،
فقالَ له: يا ابن ساعدة، ما هذه الكراهيةُ التي أراها في وجهكَ؟
فقالَ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ لي بناتٍ وأنا أدعو عليهنَّ بالموت!
فقالَ له: يا ابن ساعدة، لا تدعُ، فإنَّ البركة في البنات!
هُنَّ المُجمِّلات عند النِّعمة، والمُنعِّماتِ عند المصيبة!
والممرِّضات عند الشِّدة، ثُقلُهُنَّ على الأرضِ، ورزقُهنَّ على اللهِ عزَّ وجلّ!
واللهِ إنَّ كلَّ الخير في البنات،
ظُرفٌ، ولُطفٌ، وحنانٌ، ودفءٌ، وعُدَّةٌ للزّمان،
وإنَّ المرءَ لا يعرفُ في أيِّ أولاده يضع اللهُ الخير،
ولكن اُنظُر في العقوق ما حولك وأخبرني،
كم عاقًّا ذَكَراً تعرف وكم عاقَّة أُنثى تعرف،
من النَّادر أن تجِد العقوق في البنات!

97
أَلا تأخذُ من شَعرِكَ؟!

في كتاب الإصابة في تمييز الصَّحابة لابن حجر العسقلانيِّ:
إنَّ ابن محيريزٍ قال:
رأيتُ أبا محذورة صاحبَ رسولِ اللّهِ ﷺ وله شَعر،
فقلتُ له: يا عمُّ، ألا تأخذ من شعرك؟
فقال: ما كنت لآخذ شعراً مسحَ عليه رسولُ اللّهِ ﷺ،
ودعا فيه بالبركةِ!
وأنتَ، إن فاتكَ أن يمسحَ بيده على رأسكَ، فقد مسح بسُنَّته على قلبك!
فما أمركَ به فافعله، وما نهاكَ عنه فانْتَهِ،
فإنَّ الموعدَ الحوض، هناك سنشربُ من يده الشَّريفةَ بمقدارِ اتِّباعنَا له!

98
يقضِي أشْغَالَها وهو خليفة!

في كتابِ الكاملِ في التّاريخ لابنِ الأثيرِ:

كان عمر بن الخطَّاب يتعهّدُ عجوزاً عمياءَ في المدينةِ فيقومُ بأمرها،

فكان إذا جاءَها وجد غيرَه قد سبقه إليها، فرصَدَه، فإذا هو أبو بكرٍ،

كان يأتيها ويقضِي أشغالها سرًّا وهو خليفة!

اِجعَلْ بينكَ وبين اللهِ خبيئة لا يعلمها أحدٌ،

فليس هناك باب أرجَى للدخول منه على الله كالخبايا!

كفالةُ يتيم تُسَرُّها كما أنَّكَ تكتمُ أسرار دولة،

وعلبةُ دواء لمريض كل شهرٍ تخفيها كما تخفي كنزاً،

كلُّ ما لم يطَّلعُ عليه النَّاس سلِمَ من الرِّياء،

وكلُّ ما سلِمَ من الرِّياء فقد قُبلَ بإذن الله!

99
واللهِ لا نزَلتَ ولا أركَبُ!

في كتابِ الكاملِ في التَّاريخ لابنِ الأثيرِ:
خرجَ أبو بكرٍ الصِّديق ليودِّعَ جيشَ أسامة المتَّجِه إلى الشّام،
وهو ماشٍ، وأسامة راكب، فقال له أسامة:
يا خليفةَ رسولِ الله، لتركبنَّ أو لأنزلنَّ!
فقالَ له أبو بكر: واللهِ لا نزلتَ ولا أركبُ!
وما عليَّ أن أُغبِّرَ قدمي ساعةً في سبيلِ الله!
إن لم يُجلسوكَ في صدرِ المجلس فليستْ نهاية الدُّنيا،
صغيرٌ كلُّ من يحتاجُ إلى كرسيٍّ كبيرٍ ليكبر!
وإن لم يُقعدوكَ على رأس المائدةِ فليست سُبَّة،
وضيعٌ كلُّ من يحتاجُ إلى الأشياء ليكسبَ عزَّه!
قيمتكَ الحقيقية في نفسك فاجلِسْ حيث كان،
ركبوا جميعاً ومشى أبو بكر فذكر لنا التَّاريخُ اسم الذي مشى،
هو أبو بكرٍ الذي لم يحتجْ إلى ظهرِ دابةٍ ليرتفعَ!

100
أن يأكُلُوا معهم!

في كتابِ الأدبِ المفردِ للبخاريِّ:

قال أبو محذورة: كنتُ جالساً عند عمر بن الخطاب،

إذ جاءَ صفوان بن أُمية بجفنةٍ/ وعاءٍ كبيرٍ فيها لحم،

فوضعوها بين يدي عمر، فدعا ناساً مساكين،

وعبيداً من أرقّاءِ الناس حوله، فأكلُوا معه،

ثم قال: قبَّح اللهُ قوماً يرغبُون عن أرقَّائهم أن يأكلوا معهم!

نحن نحتاجُ أن نأكلَ مع خادمة المنزل أكثر من حاجتها هي لتأكلَ معنا،

علينا أن نتذكَّر دوماً أن الأدوار كان بالإمكان أن تكون معكوسة،

وإن كنتَ المدير فما الذي يضرُّكَ لو جالستَ وآكلتَ موظفيك،

أنتَ أعلى منهم مرتبةً وظيفيَّةً ولكنَّكَ مثلهم إنسانيًّا،

اكسِرْ هذه النَّفسَ قليلاً فإن خطرَ تعاظمها يضرّكَ أكثر مما يضرُّ النَّاسَ!

101
فاستغفِرْ لي!

كان عمرُ بن الخطَّابِ يتحرَّى أُويسَ بن عامرٍ كلَّما جاءَه وفدٌ من اليمن،

حتَّى عثرَ عليه أخيراً، وقالَ له: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

يأتي عليكم أُويسٌ بن عامرٍ مع أمدادِ أهلِ اليمن،

من مرادٍ ثمّ من قرنٍ، كان به برصٌ فبَرُأَ منه إلَّا موضعُ درهم،

له والدةٌ هو بها بارٌّ، لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه،

فإن استطعتَ أن يستغفر لكَ فافعل!

فاستغفِرْ لي ... فاستغفرَ له أويس،

ثم قال له عمر: أين تريدُ؟ فقال: الكوفة!

فقالَ له: ألا أكتبُ لكَ إلى عاملها؟

فقال: أكون في غبراء النَّاس أحبُّ إليَّ!

لا تحكمْ على النّاسِ بالمظاهرِ، ولا المناصبِ، ولا المهن،

ما أدراك أن عاملَ النَّظافةِ خيرٌ من ألفٍ مثلي ومثلك عند الله،

وما أدراك أنَّ الثريَّ الذي تحسده تلعنُه الأرضُ التي يمشي عليها،

ليس كل الفقراءِ أولياء، ولا كلُّ الأثرياءِ أشقياء،

وإنَّما المقصد أن نعرفَ أنَّ للهِ معاييرَ غيرَ معاييرِ النَّاس!

102

ما يُبكيكَ؟!

أخرج البَيْهَقيُّ في السُّننِ الكبرى:

لمَّا أُتِيَ عمرُ بن الخطَّاب بكنوزِ كسرى، بكى!

فقال له عبدُ الرَّحمن بن عوف: ما يُبكيكَ يا أمير المؤمنين؟

إنَّ هذا ليوم شُكرٍ، وسرورٍ، وفرحٍ!

فقالَ له عمر: إنَّ هذا لم يُعطِه اللهُ قوماً، إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء!

اُنظرْ إلى خلافاتِ النّاسِ اليوم تجدُها كلَّها على المالِ والدُّنيا،

الأرحامُ مقطوعةٌ على المالِ والميراثِ والأراضي،

وخلافاتُ التُّجارِ ليست على العقيدةِ وإنَّما على الصَّفقاتِ،

والوِشاياتُ والواسِطَات على الوظائفِ والتَّرَقياتِ،

شجعانٌ جداً نحن إذا ما كان الميدان هو الدُّنيا،

جبناءٌ جداً إذا ما كان الميدان هو الآخرة،

المناقصةُ يبتدرُ إليها ألفُ مقاولٍ، والثُّغورُ لا يُشمِّرُ إليها ألفُ مجاهدٍ!

103
فأحببتُ أن أكسِرَها!

في سيرِ أعلامِ النُّبلاءِ للإمام الذَّهبيِّ:

قال عروةُ بن الزُّبير: رأيتُ عمر بن الخطاب وعلى عاتقِه قربةَ ماءٍ، فقلتُ: يا أمير المؤمنين: لا ينبغِي لكَ هذا!

فقال: لمَّا أتاني الوفودُ سامعين مطيعين، دخلتْ نفسِي نخوة، فأحببتُ أن أكسرها!

ومضى بالقربةِ إلى حُجرةِ امرأةٍ من الأنصار، فأفرغَها في إنائها!

إذا رأيتَ في نفسك ذرَّةَ عُجبٍ فتداركِ الأمر على الفور،
نظِّفْ حمامات مسجدِ الحيِّ فإنَّ هذا مُجرَّب!
زُرِ المرضى أصحاب العاهات فإنَّ هذا يُربِّي،
عليكَ بالجنائز والمقابر بين فترةٍ وأخرى فإنَّ هذا يُحجِّم!
أشرسُ أعدائك ليس هو أقوى منافسيك،
أشرسُ أعدائكَ هذه النّفسُ التي بين جنبيكَ!

104

فذكَرْتُ الزُّبيرَ وغيرَتَه!

روى الشَّيخانِ من حديثِ أسماء بنتِ أبِي بكرٍ قالتْ:

كنتُ أنقلُ النَّوى من أرضِ الزُّبيرِ، وهي مني على ثُلثَي فرسخٍ،

فجئتُ يوماً والنَّوى على رأسِي،

فلقيتُ النَّبيَّ ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصارِ، فدعانِي ليحملنِي خلفَه،

فذكرتُ الزُّبيرَ وغيرتَه، وكان أغيرَ النَّاسِ!

لم تركبْ أسماءُ خلفَ النّبيّ ﷺ وهو أطهرُ النَّاسِ،

وراعتْ مشاعرَ زوجِهَا وطبعَه حتى في حضرةِ سيِّدِ الأخلاقِ!

حفاظُكِ على نفسكِ واجبكِ بغضِّ النَّظرِ من كان هو الآخر،

ومراعاتُكِ لخاطرِ زوجكِ وطبعِه له علاقة بكِ وبه لا بالنَّاسِ،

ولا تتضايقِي من غيرتِه، ولا تتأففي من شهامتِه،

باللهِ عليكِ أخبرينِي ماذا يبقَى من الرَّجلِ إن نُزعتْ منه غيرتُه؟!

105
أقِمْ على أُمِّكَ!

انتدبَ النّبيُّ ﷺ المسلمين للخروج إلى بدرٍ،
فجاء إياسٌ بن ثعلبة ملبِّياً النِّداء،
وكانت أُمُّه يومَذاك مريضةٌ في مرضها الذي ماتتْ فيه،
فقالَ له النّبيُّ ﷺ: أقِمْ على أُمِّكَ!
فأقام يُمَرِّضُ أمَّه ويسهرُ على خدمتها،
وتُوفِّيَت أمَّه مقدم النَّبيِّ ﷺ من بدر،
فصلَّى عليها، وقسَمَ لإياسٍ بن ثعلبة من الغنيمة!
ليس كلُّ الجهاد سيفٌ وتِرسٌ وبندقية وإن كان هذا أشرفَهُ،
في اصطحاب الوالدين إلى الطَّبيبِ جهادٌ فاحتسبه،
وفي تحصيل لقمة الأولاد وملبسهم جهادٌ فلا تحتقره،
وفي السَّعي على الأرملة والمسكين جهادٌ فلا تُفرِّط فيه،
كلُّ خيرٍ يُبتغى فيه وجه الله، فهو جهادٌ في سبيل الله!



الإنسانُ ينسَى أيَّامَه الصَّعبةَ ولكنَّه
يتذكَّرُ دائماً من وقفَ معه فيها!



106
مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من كِبْرٍ!

روى الإمامُ أحمدُ من حديث أبي سلمة بن عبدِ الرَّحمن بن عوفٍ قالَ:

التقَى عبدُ اللهِ بن عمرو بن العاص، وعبدُ اللهِ بن عمر بن الخطَّاب،

فمضى ابنُ العاص، وبقيَ ابنُ عمر يبكي، فقال رجلٌ: ما يُبكيك؟

فقال، إنَّ عبدَ اللهِ بن عمرو أخبرني أنه سمع النّبيَّ ﷺ يقول:

من كان في قلبه مثقالُ حبّةٍ من خردلٍ من كِبْرٍ،

أكبَّهُ الله على وجهِهِ في النَّار!

لا تحتقرِ العاصي فليس بينك وبينَه إلا السّتر،

ولا تَحتَقرِ الفقيرَ فلستَ تَرزقُ نفسَك ولكنَّه كرمُ الله،

ولا تتكبَّر بشهادتَك فهِي بدون أخلاقٍ ليست إلا ورقةً تُعَلَّقُ على الجدار،

ولا تغترَّ بمنصبك فقد كان لغيرك أوَّلاً وسيكون لغيركَ بعدها،

إنَّ الذي خرج من مخرجِ البولِ مرَّتين عيبٌ عليه أن يتكبَّرَ،

وإنَّ الذي جاء من ترابٍ وسيعود إليه حُمقٌ منه أن يتفاخرَ!

107

إنِّي رجلٌ لا يَنْمَى لي مال!

في كتابِ أُسد الغابة في معرفة الصَّحابةِ لابن الأثير:

يقولُ بدر بن عبد الله المُزنيُّ:

أتيتُ النّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إنِّي رجلٌ لا يَنْمَى لي مال!

فقالَ لي: يا بدر بن عبدِ الله، قُلْ إذا أصبحتَ:

بسم الله على نفسي، بسم الله على أهلي ومالي،

اللهمَّ رَضِّنِي بما قضيتَ لي، وعافني فيما أبقيتَ،

حتى لا أُحبَّ تعجيلَ ما أخّرتَ، ولا تأخيرَ ما عجَّلتَ!

فكنتُ أقولها، فأثمرَ اللهُ مالي، وقضى عنِّي دَيْني، وأغناني وعيالي!

إن كنتَ تبحثُ عن وصفةٍ للغنى فها هي بين يديك،

ولكن تعامل مع الله باليقين ولا تتعامل معه كأنَّك تُجَرِّبُه،

إنَّ الله لا يريدُ من الدُّعاء لسانَك وإنَّما يريدُ قلبك!

108
ليسَ له حاجةٌ في الدُّنيا!

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيهما:
آخَى رسولُ اللّه ﷺ بين سلمانَ وأبي الدَّرداءِ،
فزارَ سلمانُ أبا الدَّرداءِ، فرأى أمَّ الدَّرداءِ مُبتذلة!
فقالَ لها: ما شأنكِ؟
فقالتْ: أخوكَ أبو الدَّرداءِ يصومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيلَ،
وليسَ له حاجةٌ في الدُّنيا!
فوعظَه سلمانُ، وأمرَه أن يُعطي اللّهَ حقَّه، وأهلَه حقَّهم!
هذه الحياةُ لا تحلُو إلا بالموازنةِ، ووضع كلِّ أمرٍ في مكانه،
التَّفرُّغُ للعملِ ونسيانِ الأهلِ حُمْقٌ، والتَّفرُّغُ للأهلِ وتركُ العملِ حُمْقٌ!
أنْ يكونَ لكَ هوايةٌ لا يعني أن تهملَ زوجتكَ،
واهتمامُكَ بزوجتكَ لا يعني أن تتركَ الدُّنيا وتجلسَ قُبالتهَا!
وأنتِ إيّاكِ أن تُنسيكِ مشاغلُ البيتِ والأولادِ أنَّ لكِ زوجاً،
نحن نحتاجُ إلى أن نُقدِّمَ الحُبَّ والاهتمامِ كحاجتِنَا لأخذهِمَا!

109
أَعَثَرَاتُ عُمر تتبَعُ؟!

في كتابِ حليةِ الأولياءِ للأصفهانيِّ، قالَ الإمامُ الأوزاعيُّ:
خرجَ عمر بن الخطاب في سوادِ اللَّيلِ، فرآه طلحة،
فذهبَ عمرُ فدخلَ بيتاً، ثم بيتاً آخر،
فلمَّا أصبحَ طلحةُ ذهبَ إلى ذلك البيتِ فإذا بعجوزٍ عمياءَ مُقعدة،
فقالَ لها: ما بال هذا الرَّجل يأتيكِ!
فقالتْ: إنه يتعاهدني من كذا وكذا، ويصلحُ شأني، ويُخرجُ عنِّي الأذى!
فقالَ طلحة: ثكلتكَ أمُّكَ يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟!
لا تتبعْ عثرات أحدٍ ولو علمتَ أنه يرتكبُ معصيةً،
الأصلُ أن تسترَ المعصيةَ إذا وصلتكَ من غير سعيٍّ،
لا أن تسعى أنتَ لها لتكشفَ ستر اللهِ عن النَّاسِ!

110
أن تُزَانِي حَلِيلَةَ جارِكَ!

روى البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ عبدِ اللهِ بن مسعودٍ قالَ:
سألتُ النّبيَّ ﷺ: أيُّ الذّنبِ أعظمُ عند الله؟
فقالَ: أن تجعلَ للهِ ندًّا وهو خلقكَ!
قلتُ: ذلك ذنبٌ عظيم، ثمّ أيٌّ؟
فقال: أن تقتلَ ولدكَ مخافةَ أن يَطعمَ معكَ!
قلتُ: ثم أيٌّ؟
فقال: أن تُزانِي حَلِيلَة جَارِكَ!
وإنَّما تُضاعَفُ إثمُ الفاحِشَةَ هذه لأنَّها مقرونَةٌ بالغدر!
ولأنَّها من بابِ إتيانِ النّاس مَن مَأْمَنِهِم!
وعليه قِسْ جميعَ الأمورِ، فكلَّما عَظُمَ حقُّ الشَّخص عليك،
كان إثمُ الغدرِ فيه أكبرُ من غيرِه!

111

اِحْملنِي معكَ!

في كتابِ الزُّهد لابنِ أبي الدُّنيا، قالَ الحسنُ البصريُّ:

خرجَ عمر بن الخطاب في يوم حارٍّ واضعاً رداءه على رأسه، فمرَّ به غلامٌ على حمارٍ، فقال له عمرُ: يا غلام، اِحملنِي معكَ!

فوثبَ الغلامُ عن الحمارِ، وقال: اِركَبْ يا أمير المؤمنين.

فقال له عمر: تريدُ أن تحملني على المكان الوطيء، وتركبُ أنتَ على المكان الخشن، لا، ولكن اركبْ أنتَ وأكون أنا خلفكَ!

فدخلَ المدينةَ وهو خلفه، والناسُ ينظرون إليه!

لا تكُنْ أنانيًا تريدُ دائماً لنفسكَ الحصّةَ الأكبر!

ولا تكن استغلاليًا تريدُ دائماً لنفسكَ العملَ الأسهل!

ولا تكُن طمّاعاً تريدُ لنفسك أفضل ما في الميراث وأجوده،

ما عليكَ إن قدَّمتَ النّاس على نفسك فإنَّ خُلق الإيثار يُحبُّه الله،

أقبحُ العيونِ هي عين النَّفسِ العوراء التي لا ترى إلا ذاتهَا!

112

أينَ ابنُ عمِّك؟!

روى الشَّيخانِ من حديثِ سَهْلِ بن سعدٍ قالَ:
جاءَ النَّبيُّ ﷺ بيتَ فاطمةَ فلم يجِدْ عليًّا في البيتِ،
فقالَ لها: أينَ ابنُ عمِّك؟
فقالتْ: كان بيني وبينَه شيءٌ فغاضَبنِي، وخرجَ ولم يَقِلْ عندي!
فقالَ النَّبيُّ ﷺ لرجلٍ: اُنظُرْ أينَ هو!
فجاءَ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، هو راقدٌ في المسجدِ!
فجاءَه النَّبيُّ ﷺ، فوجدهَ نائماً، والتُّرابُ على خدِّه،
فجعلَ يَمسحُ له التُّرابَ ويقولُ له: قُمْ أبا ترابٍ، قُمْ أبا تراب!
مشكلاتُ البيوتِ تبقَى في البيوتِ!
ولولا مجيءُ النَّبيِّ ﷺ لزيارةِ فاطمة ما علِمَ بالأمرِ!
بل إنَّه علمَ الأمرَ بالجُملةِ لا بالتَّفصيلِ: كان بيني وبينَه شيءٌ،
وحتَّى اللحظة لا يعلمُ أحدٌ، حتَّى رسول الله ﷺ، بما حدثَ بين عليٍّ وفاطمة،
لا تنشرُوا غسيلَكُم أمامَ النَّاسِ ولو كانوا أهاليكم،
ما بينكما مهما كبرَ يبقَى صغيراً، فإذا جاوزكُمَا صارَ كبيراً!

113
لا تستَعمِلُوا البَرَاء!

كان البراءُ بن مالكٍ شُجاعاً لا يحفَلُ بالموتِ،
مِقداماً لا يهابُ الخطر، ولا يحسبُ العواقب،
وكان عمر بن الخطَّاب يكتبُ لقادةِ جُيُوشه قائلاً:
لا تستعملوا البراء على جيشٍ من جيوش المسلمين،
فإنَّه مهلكةٌ من المهالِك، يقدُمُ بهم!
نصيحةُ أمير المؤمنين رفقةٌ بالمسلمين وليس استنقاصاً من البراء،
فقد جعل الله تعالى شجاعته هذه سبباً في النَّصرِ يوم اليمامة،
فمن يطيلُ الخُطبةَ يُستحسن ألَّا يخطبَ رأفةً بالنَّاس،
ومن كان يطيلُ الصَّلاة يُفضَّل أن يُصلي غيرُه رأفةً بالمصلِّين،
وكذلك في المناصبِ والإداراتِ نختارُ الكفُؤَ الرَّحيم،
ونُقدِّمه على الكفُؤِ الشَّديد،
لا انتقاصاً منه، ولا تقليلاً من كفاءته، ولكن رحمةً بالنّاس!

114
اِعْزِلِ الأذَى!

روى مسلمٌ في صحيحه من حديثَ أبي بَرْزَة قال:

قلتُ يا رسولَ اللهِ: علّمني شيئاً أنتفِعُ به!

فقالَ: اِعزِلِ الأَذَى عن طريقِ المسلمين!

فإذا كانَ عزلُ الأذى عن طريقِ الأَقدامِ فيه أجرٌ كبيرٌ،

فكيف بعزلِ الأذى عن طريقِ القلوبِ؟!

كيف بجبرِ الخواطرِ، ومسحِ الدُّموعِ، ومراعاةِ الكراماتِ؟!

كيف بعلبةِ دواءٍ لمسكين، وثيابِ عيدٍ ليتيم، ومبلغٍ لأرملة؟!

كيف بجمعِ المُحبِّين، والإصلاحِ بين المتخاصمين، وصلةِ المتقاطِعِين؟!

إنَّ من أعظمِ عباداتِ اللهِ هي ما كانت لأجل وجهِهِ في النّاس!

115

اللَّيل لهُمْ يستريحُونَ فيه!

في الطَّبقاتِ الكبرى لابنِ سعدٍ، قال عبدُ اللهِ الرُّوميِّ:
كان عثمانُ بن عفان يتولى وضوءَه في اللَّيلِ بنفسه،
فقيلَ له: لو أمرتَ بعض الخدمِ فكفوكَ!
فقالَ: لا، الليلُ لهم يستريحونَ فيه!
إن كان لكم عاملةٌ منزليَّةٌ فارحمُوها،
ما بينكم وبينها عقدُ عملٍ لا عقد عبوديَّةٍ وتمليكٍ!
وإن كان لكم موظَّفُون فلا تعتدُوا على إجازاتِهم واستراحاتِهم،
والنّاسُ لديهم عائلاتٌ وحياةٌ اجتماعيَّةٌ وليسوا آلاتٍ!
ارحمُوا الزَّوجاتِ والأولادِ من كثرة الطلبات،
وارْحمنَ الأزواج من كثرة المشتريات،
ارحموا الخاطبَ فما جاءَ إلا طالب عفَّةٍ، والبناتُ لسنَ للبيعِ!
ارحموا المتخرِّجين الجُدُدَ فمن أين سيأتون بالخبرة،
إذا كنَّا جميعاً لن نوظِّفهم إلا إذا كان عندهم خبرة؟!

116
يُدخِلُ الخيطَ في الإبرةِ!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثير:
أنَّ الصَّحابيَّ الجليلَ حبيب بن فُديكٍ كان صغيراً لا يُبصِرُ،
فخرجَ به أبوه إلى النَّبيِّ ﷺ وعيناه مبيضَّتان،
فسأله النَّبيُّ ﷺ: ما أصابكَ؟
فقالَ: وقعتُ على بيضِ حيَّةٍ فأُصيبَ بصري،
فنفثَ النَّبيُّ ﷺ في عينيه فأبصر!
عمَّرَ حبيبُ بن فُديكٍ وكان في الثَّمانين من عمره يُدخلُ الخيطَ في الإبرةِ من أوَّلِ مرَّة!
نبيٌّ مباركٌ حيثما حلَّ حلَّت البَركة،
ومِنْ قبل، مُذ كان رضيعاً، حلَّتِ البركةُ في ديارِ بني سعدٍ حين حلَّ،
حتى كان بعضُهم يوصِي رعيانَه أن يرعُوا حيث يرعى غنمُ حليمة،
ظنُّوا السِّرَّ في العشبِ وما علموا أنَّ سيِّد العالمينَ قد حلَّ!

117
مَنْ سيِّدكم؟

في كتابِ أُسدِ الغابة في معرفة الصّحابة لابن الأثير:
قال النّبيُّ ﷺ يوماً لبني سلمة: مَنْ سيِّدكم يا بني سَلَمة؟
فقالوا: الجَدُّ بن قيسٍ على بُخلٍ فيه!
فقال لهم: وأيُّ داءٍ أدوى من البُخل؟!
بل سيِّدُكم الأبيضُ الجعد بِشرُ بن البراء!
البخل داءٌ عُضالٌ ليس له دواء،
مشكلة هذا المرض أنَّه لا يتأذى منه صاحبه وإنَّما من يعيشون معه،
هو يحملُ المرض، وهم يُعانون من الأعراض،
فإن جاءكَ خاطبٌ بخيلٌ فلا تزوِّجه وإن كان صالحاً،
فإنَّما صلاحُه لنفسه أمَّا بُخله فعلى ابنتِك وأولادِها بعد ذلك،
وإنَّ من خيانة الأمانة أنْ تجعلَ مصير البنتِ عند بخيلٍ!

118
وكان وقّافاً عندَ كتابِ الله!

روى البخاريُّ في صحيحه من حديثِ ابن عباسٍ قالَ:
قدِمَ عُيَيْنَة بن حِصنٍ على ابن أخيه الحُرِّ بن قيسٍ ونزل عنده،
وكان الحُرُّ بن قيسٍ من الذين يُدنِيهم عمرُ بن الخطَّاب في مجلسه،
فقال عُيينة للحُرِّ: إنَّ لكَ وجهاً عند عمر فاستأذِنْ لي عليه!
فاستأذنَ له، فأذِنَ له عمر، فدخل وقال له:
يا ابن الخطَّابِ، واللهِ ما تُعطينا الجزلَ، ولا تحكم بيننا بالعدلِ!
فغضبَ منه عمر، وهمَّ أن يوقع به،
فقال الحُرُّ: يا أميرَ المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيّه ﷺ:
﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾، وهذا من الجاهلين!
فعفا عنه عمر حين تلاها عليه الحُرُّ، وكان وقّافاً عند كتاب الله!

وكذلكَ أنتَ، كُن وقّافاً عند كتاب اللهِ وحدوده،
لا تأخذكَ العزَّةُ بالإثم، ولا تسمحْ للشيطانِ أن ينفُخَك!
قِفْ عند الآيةِ فإنَّ فيها حُكماً، وعند الحديثِ فإنَّ فيه زجراً،
وعند النَّصيحة فإنَّ فيها إرشاداً، وتذكَّر دائماً: ما أهلكَ إبليسُ إلا الكِبر!

119

لا يُعرَفُ من بينِ عَبِيدِه!

في كتابِ التّواضعِ لابنِ أبي الدُّنيا:

قالَ سعدُ التَّميميِّ: كان عبدُ الرَّحمنِ بن عوفٍ من تواضعِ لباسه،

لا يُعرَفُ من بين عبيده!

طبعاً لا حُرمة في اللِّباس الحَسنِ بل هو مطلوبٌ،

وإنَّ اللّه تعالى يُحِبُّ أن يرى أثرَ نعمته على عبده،

ولكن ثمّة أُناس تصغرُ الدُّنيا في أعينهم حتى يزدرونها،

هؤلاءِ لن تفهمَ مشاعرَهم حتى تكون قلوبهم في صدركَ!

اِلبسْ ثوباً حسناً فلا بأسَ عليك، وتأنَّقْ فهذا مندوبٌ،

ولكن احذرْ أمرين:

لا تلبِسْ لتتكبَرَ على النَّاسِ بلباسك،

ولا تكن عبداً «للماركات»، الجميلُ ليس بالضَّرورةِ «ماركة»!

الكثيرُ من المالِ يُدفع لا للجَمالِ ولا للسِّترِ وإنِّما لشعارِ «الماركات»!

120
ولا تخرِقْ على أحدٍ ستراً!

أخرجَ الطبرانيُّ في الأوسطِ، وأبو نُعيم في الحِلية:
جاءَ حرملةُ بن زيدٍ إلى النَّبيِّ ﷺ وجلسَ بين يديه وقالَ:
يا رسولَ اللهِ، الإيمانُ ها هُنا، وأشارَ إلى لسانه،
والنِّفاقُ ها هُنا، وأشارَ إلى صدره، ولا نذكرُ اللهَ إلَّا قليلاً!
فسكتَ عنه النَّبيُّ ﷺ، فجعلَ حرملةُ يردِّدُ قولَه،
فقالَ النَّبيُّ ﷺ: اللهمَّ اجعَلْ له لساناً صادقاً، وقلباً شاكراً،
وارزقْهُ حُبِّي، وحبَّ من أحبَّني، وصيِّرْ أمرَه إلى خيرٍ!
فقالَ حرملةُ: إنَّ لي إخواناً منافقين، وكنتُ رأساً فيهم، أأدلك عليهم؟
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: من جاءَنا كما جئتَنا استغفرنَا له كما استغفرنَا لكَ،
ومن أصرَّ على ذلك فاللهُ أولَى به، ولا تخرِقْ على أحدٍ ستراً!
المعصيةُ التي رأيتَ أحداً عليها اكتمْهَا كأنَّها معصيتكَ أنتَ،
والحديثُ الذي يصللكَ عن الأعراضِ أوقفْهُ عندكَ كأنَّك تحمِي عرضكَ،
ومشكلاتُ البيوتِ التي تطَّلعُ عليها اُكتمْهَا كأنَّها مشكلةُ بيتكَ،
حتى ما لم يكُن عيباً فلا تكشفه إنْ كان يؤذي صاحبَه،
النَّاسُ يتعايشُونَ مع احتياجاتِهم ولكنَّهم يكرهُونَ أن يطَّلعَ عليها النَّاسُ!

كلمةٌ حلوةٌ في حياة إنسانٍ أهمُّ
من ألفِ كلمةِ رثاءٍ عند موته!

121
صدَقتَ، هوَ أخُوكَ!

روى أبو داود وابنُ ماجة من حديثِ بشر بن حنظلة أنَّه قال:

خرجنا مع وائل ابنِ حجرٍ نريدُ رسولَ الله ﷺ،

فمررنا بعدوٍّ لوائل وأهل بيته، وكانوا يطلبونَهم،

فقالوا: فيكم وائل؟ فقلنا: لا!

فقالوا: إنَّ هذا وائل!

فحلفتُ لهم أنه أخي ابن أمي وأبي، فتركوه!

فلما قدمنا على النَّبيِّ ﷺ حدَّثناهُ بما كان منَّا،

فقال لي: صدَقتَ، هو أخوك، أبوكما آدم، وأمُّكُما حوَّاء!

المعاريض مندوحةٌ عن الكذب!

هناك كلامٌ يحملُ معنَيَينِ يمكنُ للأذكياء استخدام واحدٍ وهم يريدون آخر،

كان أبو بكرٍ الصِّديق في طريق الهجرة إذا سُئل عن النّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم،

قال: هذا هاد يَهدِيني الطَّريق!

هم يفهمون أنَّه دليلٌ، وهو يقصدُ به النُّبوة!

122

أُمُّكَ حيَّة؟!

روى البخاريُّ في الأدبِ المفردِ من حديثِ عطاءِ بن يسارٍ قال:
جاء رجلٌ إلى ابن عباسٍ فقال: إنِّي خطبتُ امرأةً فأبتْ أن تَنكِحَني،
وخطبَها غَيري فأحبَّتْ أن تنكِحَهُ، فغِرْتُ، فقَتَلْتُهَا، هل لي من توبة؟
فقالَ له ابن عباسٍ: أمُّكَ حيّة؟! فقالَ: لا!
فقالَ له: تُبْ إلى اللهِ، وتقرَّبْ إليه ما استطعتَ!
فقلتُ لابن عبَّاسٍ: رأيتُك سألته عن أمِّه؟
فقال: لا أعلمُ عملاً أقرب إلى الله من برِّ الوالدة!
دلَّكَ ابنُ عبَّاسٍ على بابِ الجنَّة فادخُلْهُ،
وأرشدَكَ إلى طريق رضوانِ اللهِ فاسلُكْهَا،
ضَعْ أمُّكَ تاجاً على رأسِك فهذا فعل الأصيل،
ومن رأيتَهُ عاقّاً فلا تأمنه على نفسك،
من ليس فيه خير لأبوَيْهِ ليس فيه خيرٌ للنَّاس!

123
لمْ أَعْرِفكَ!

في حِلية الأولياء للأصبهانيِّ:
قالَ ثابتٌ البنَانِيُّ: كان سلمانُ الفارسيُّ أميراً على المدائن،
وجاءَ رجلٌ من الشَّام معه حِملُ تين،
فرأى سلمان وعليه عباءةٌ مرقعةٌ فحسبَه حمَّالاً!
فقالَ له: خُذ احمِلْ عنّي هذا!
فحملَ سلمان، فرآه الناس، فقالوا للرَّجلِ: هذا الأمير!
فقالَ له الرّجلُ: لم أعرفكَ!
فقالَ له سلمان: لا بأس، أحملُ لكَ حتى تبلغَ منزلك!
امشِ في حوائج النّاس فهذا من أرقى العبادات،
اشترِ لعجائز الحيِّ أغراضهُنَّ من السُّوق فهذا نُبلٌ،
واعبُرْ بعاجز الطَّريقَ فهذه شهامةٌ،
واسعَ في الصُّلحِ بين أخوين فهذا من مكارمِ الأخلاق،
في الحياةِ لا تجعَلْ كلَّ خطاكَ لنفسكَ، امشِ شيئاً للّهِ!

124
أدفَعُ به الكِبرَ!

في كتابِ الزُّهدِ للإمامِ أحمد، قالَ عبدُ اللهِ بن حنظلة:
مرَّ عبدُ الله بن سَلامٍ في السُّوقِ وعلى رأسه حزمةُ حطبٍ!
فقيلَ له: ما هذا يا أبًا يوسف؟ فقالَ: أدفعُ به الكِبر!
إذا رأى النّاسُ شخصاً مغروراً قالوا: هذا يحتاجُ تكسيرَ رأسٍ!
وينسون أنَّه لا شيءَ أكثر غروراً من النُّفوس التي بين أجنابهم،
وأنَّه لا شيءَ في الدُّنيا يستحقُّ تكسيرَ رأسٍ سواها!
كلُّ مشاكل الدُّنيا هي بسبب أن النُّفوسِ لم تُكَسرّ رؤوسها،
الحسدُ، والطمعُ، والغرورُ، والظُّلمُ كله بسبب نفسٍ طاغية،
ترى نفسَها محور الكون ولها الحقُّ في كل شيءٍ!

125
بلْ أنتَ سَهْلٌ!

روى البخاريُّ، وأحمدُ، وأبو داود، من حديثِ سعيدِ بن المُسيّبِ قالَ:

كان اسمُ جدِّي حَزَناً، فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: ما اسمُكَ؟

فقالَ: حَزَن!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: لا، بلْ أنتَ سهلٌ!

فقالَ: لا أُغيِّرُ اسماً سمَّانِي به أبي!

يقولُ سعيد: فما زالتِ الحزونةُ فينا لرفضِ جدِّي تسميةَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم!

لا خيرَ في مخالفةِ شيءٍ من هذا الدِّين،
أنتَ ترى جزءاً ضئيلاً من المشهدِ هو زاويتكَ أنتَ،
واللهُ يرى بحكمتِه وعلمِه المشهدَ من كلِّ زواياه!
أنتَ لا ترى من الزِّنَى إلَّا شهوةَ ساعة،
ولا ترى من شربِ الخمرِ إلَّا نشوةَ ساعة،
ولا ترى من الرِّبى إلا ربحاً سهلاً ومغنماً بارداً،
ولكنَّ اللهَ تعالى يُشرِّعُ لصلاحِ النَّاسِ والمجتمعِ لا لشهوتِكَ ولذَّتكَ!

126
من يأْخُذْهَا منِّي؟!

في كتاب أُسد الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابن الأثير:
استعملَ عمر بن الخطَّاب بِشرْ بن عاصمٍ على صدقاتِ هَوَازِن،
فأبى أن يخرجَ إليهم، فلَقِيَهُ عمر وقال له:
ما خلَّفك، أما ترى أنَّ عليكَ سمعاً وطاعة؟!
فقال: بلى، ولكنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:
من ولِيَ من أمور المسلمينِ شيئاً أُتَيَ به يوم القيامة،
حتَّى يقِفَ على جسر جهنَّم، فإن كان محسِناً نجا،
وإن كان مُسِيئاً انخرَقَ به الجسر فهوى فيها سبعين خريفاً!
فتركه عمر ومضى عنه مهموماً كئيباً حزيناً،
فلقِيَهُ أبو ذرٍّ وقال له: ما لي أراك كئيباً حزيناً؟
فقال له عمر: وما لي لا أكونَ وقد حدَّثني بشر بن عاصم بكذا!
ثم قال عمر: من يَأْخُذُها منِّي بما فيها، يعني الخلافة؟!
ولاية أمور النَّاس تكليفٌ لا تشريفٌ، وخدمةٌ لا مفخرةٌ،
من أصغر مديرٍ إلى أكبر رئيسٍ كلُّها ولاية،
فإن جعلَ الله أمور النَّاس عندك فأطِعِ الله فيهم تنجو،
وإلا فألقِ الأمر من كتفيكَ وانجُ بنفسك من الآن!

127
إنِّي نذَرتُ في الجاهليَّةِ!

أخرج أبو نُعيم في الحِلية من حديث بشير الثَّقفيِّ:

قالَ أتيتُ رسول اللهِ ﷺ فقلتُ:

يا رسول الله، إني نَذَرتُ في الجاهليَّة أن لا آكل لحوم الإبل،

ولا أشربُ الخمر!

فقال لي: أمَّا لحومَ الإبلِ فكُلْها، وأمَّا الخمرُ فلا تشرَبْ!

كلُّ نذرٍ يُحرِّمُ حلالاً ذمَّةُ اللهِ منه بريئة،

وكلُّ نذرٍ وِفْقَ شرعِ الله دينٌ يجب أن يُؤدَّى،

وبين الحلال والحرام نذور ما أنزل الله بها من سلطان،

كالذي ينذر أن يطيل شعره، أو أن يمشي من مدينة إلى مدينة على قدميه،

نذرٌ ليس للهِ فيه حاجة، ولا للنَّاس نفع!

فإذا نذرتَ فليكُن صياماً، أو قياماً، أو صدقاتٍ، وإلَّا فدع هذا عنك!

128

مَعَ نسَاءِ المسَاكينِ!

في كتابِ التَّواضعِ لابنِ أبي الدُّنيا:

قالَ إبراهيمُ بن أبي عبلةَ: رأيتُ أُمَّ الدرداءِ في بيت المقدس، جالسةً مع نساء المساكين تُؤاكلهم وتُحدّثهم!

تعلَّمْنَا ونحنُ صغار في المدارسِ،

أنَّ السُّنبلةَ الممتلئةَ تنحني، والفارغةَ ترفعُ رأسَها لأعلى!

ثم كبرنا وفهمنا أنهم كانُوا يقصدون النّاسَ لا السَّنابل!

فخذها عندك قاعدة:

لا يتواضعُ إلا من كان كبيراً يملكُ ألفَ سببٍ ليغترَّ،

ولا يغترُّ إلا من كان صغيراً يملكُ ألفَ سببٍ ليتواضعَ،

عُقَدُ النَّقصِ في النّاسِ مرعبة إذا ما تمّ تعويضها على ظهورِ النَّاس!

129
فإنَّمَا هو جَنَّتُكِ ونارُكِ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ حُصين بن مِحْصنٍ قال:

أتَتْ عمَّتي النَّبيَّ ﷺ في حاجةٍ لها، فقالَ لها: ألكِ زوجٌ؟

فقالتْ: نعم.

فقالَ: فكيفَ أنتِ له؟

قالتْ: ما آلوه إلَّا على ما عجزتُ عنه.

فقالَ لها: فانظري أينَ أنتِ منه، فإنَّما هو جنَّتُكِ ونارُكِ!

أسوأُ ما ألقتْهُ النسويَّةُ المريضةُ في عقلِ المرأةِ أنها مَلكَة،

وأنَّ الرَّجَل كالعبدِ عندها، يُحقِّقُ أمانيها، ويقومُ على خدمتها دون مقابلٍ منها!

وأسوأُ ما ألقتْهُ الذُّكوريَّةُ المقيتةُ في عقلِ الرَّجلِ أنه سلطانُ زمانِه!

وأنَّ المرأةَ جاريتُه، مهمَّتُها فقط لذَّتَه وخدمتَه دونَ مقابلٍ منه!

ستُسألين عن طاعتكِ له بالمعروفِ، وحسنِ عشرتكِ، ولينكِ وأنوثتكِ،

وستُسألُ عن رحمتكَ بها، واحترامكَ لها، وحسنِ عِشرتها!

ما من حقٍّ إلا ويقابله واجبٌ، فلا تسألُوا حقوقَكُم وتنسُوا واجباتِكُم!

130
فَبِمَ تدخلُ الجنَّةَ!

أخرج الإمامُ أحمدُ في المسند من حديثِ بشير ابن الخصاصيَّة:
قالَ: أتيتُ رسول الله ﷺ أُبايعه على الإسلام،
فقال: أتشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،
وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيت، وتُؤديَ الزَّكاة، وتجاهدَ في سبيل الله؟!
فقلتُ: أمَّا إتيان الزَّكاة فما لي إلَّا عشر إبلٍ.
وأمَّا الجهاد فإنَّهُم يزعمون أنَّ من ولَّى فقد باء بغضبٍ من الله، وأخافُ إن حضرني القتال أن أجبن وأفَّر!
فقبضَ النّبيُّ ﷺ يده وقال لي: لا صدقةَ ولا جهادَ فبِمَ تدخلُ الجنَّة؟!
فبايعتُه عليهِنَّ كُلُّهنَّ!
صحيح أنَّه لن يدخل أحدٌ منَّا الجنَّة بعمله حتَّى النّبيُّ ﷺ،
كلُّنا سندخلها بإذن الله بعد أن يتغمَّدنا الله برحمته.
ولكن هل تُستجلبُ رحمةُ اللهِ تعالى بشيءٍ أحسن من العمل الصالح،
نؤدِّي له سبحانه ما فرضه علينا ونرجو منه القبول والرَّحمة،
أمَّا أن نُبارزه بالمعاصي ونرجو رحمته فهذا من الحُمق،
على أنَّه لا أحد يُملي على الله، والطائع والعاصي كلُّهم عباده!

131
نعم، صِلِي أُمك!

روى البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ أسماء بنت أبي بكرٍ قالتْ:
قدِمَتْ أمي وهي مشركة، فاستفتيتُ النّبيَّ ﷺ،
فقلتُ: أمِّي قدِمَتْ وهي راغبة، أفأصِلُها؟
فقال: نعم صِلِي أُمَّكِ!
حتَّى الشِّرك وهو أعظمُ ذنبٍ لا يُسقِطُ واجبَ البرِّ،
أنت مطالبٌ أن تَبَرَّ أبوَيكَ لا أن تُربِّيهما،
ومهما كبُرَ منهم الخطأ، تُنكره، ولكنَّ البرَّ فرضٌ،
سُئِل الحسنُ البصريُّ: أيختَصِمُ المرءُ مع والديه؟
فقال: ولا مع أحذِيَتِهِما!

132

إنَّما الأمرُ مِنْ هَا هُنا!

في كتابِ تنبيهِ الغافلين لأبي اللِّيث السَّمرقنديِّ:
لما قَدِمَ عمرُ بن الخطَّابِ إلى الشَّام تلقَّاه علماؤُها وكبراؤُها،
فقالوا: اِركَبْ هذا البرذَونَ يَرَكَ النّاسُ!
فقالَ: إنكم ترون الأمرُ من ها هُنا، وأشارَ بيده إلى الأرضِ،
إنَّما الأمرُ من ها هُنا، وأشارَ بيده إلى السّماء، خلُّوا سبيلِي!
فإن لم تُسلَّطْ عليكَ الأضواءُ فنعمَ عبادات السِّر،
وإن جهلوا فضلكَ فيكفيك أنَّ الله يعلم،
وإن لم تُعلَّقْ على صدرك النياشين فبعضُ البطولات أجرُها أن تبقى مجهولة،
وإن جهلُوا إنجازك فقدرُ بعض الإنجازاتِ ألَّا يصاحبها التَّصفيق!
أنبياءٌ كثُرٌ يا صاحبي لا أحد منّا يعرفُ أسماءَهم وهم أنبياء،
فحسبُكَ أنّ الله يعلم، وتعزَّ دوماً بنظرةٍ إلى السّماء،
واِرْبتْ على قلبكَ متمتِماً: إنَّما الأمرُ من ها هُنا!

133

فهلْ عندَكُمْ مِنْ مَتْجَرٍ؟!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
عن الحَكمِ بن أبي العاصِ أنَّه قالَ: قالَ لي عمرُ بن الخطَّابِ:
إنَّ في يدي مالاً لأيتامٍ قد كادتِ الزَّكاةُ تأتي عليه، فهلْ عندكُمْ من متجرٍ؟!
فقلتُ: نعم.
فأعطاني عشرةَ آلافٍ، فغبتُ بها ما شاءَ اللهُ، ثمَّ رجعتُ إليه،
فقالَ: ما فعلَ مالُنَا؟
قلتُ: هو ذا، قد بلغَ مئةَ ألفٍ!
خُذْها عندكَ قاعدةً: المالُ الذي لا ينمَى يفنَى!
جهِّزْ لكَ مشروعاً تجاريًا ولو بسيطاً قبل التَّقاعدِ،
وإن كان عندكَ مالٌ فائضٌ فاتَّجرْ به ولا تخزنه،
وإن اضطررتَ أن تخزِن فليكُنْ ذهباً أو عِقاراً،
فإنه يحافظُ على القيمة الشِّرائيَّةِ للمالِ بمرورِ الزَّمن،
المالُ النقديُّ في الحضارةِ الرأسماليَّةِ الحاكمةِ للعالمِ يفقدُ قيمتَه بالتَّضخُّمِ!

134
ما غيَّر لونَكَ؟!

روى ابن عبد البرِّ، وأبو نُعيم:
كان لبشير الغفاريِّ مقعدٌ عند النّبيّ ﷺ لا يكاد يُخطئه،
ففقده النّبيُّ ﷺ ثلاثاً، ثم جاءه فرآه شاحباً!
فقال له: ما غيَّر لونَكَ؟!
فقال: اشتريتُ بعيراً فشردَ، فكنتُ في طلبه، ولم أشترط فيه شرطاً،
فقال له: أما إنَّ الشَّرودَ يُردَّ، أما غيرَّ لونكَ غير هذا؟
فقال: لا!
فقال له النّبيُّ ﷺ: فكيف بيوم مقداره خمسين ألف سنة،
يوم يقومُ النَّاسُ لربِّ العالمين؟!
لا تجعلِ الدُّنيا كلَّ همِّك فكلُّنا راحلون عنها بلا مالٍ كما أتينا،
نعملُ في دنيانا، نتاجر، ننجح، نتمَيَّز ولكن لا ننسى الآخرة،
فهَوِّن عليكَ الأمور تهُنْ، ولا تحمل السُّلم بالعرضِ فتشقى،
كلُّ بلاءٍ سَلِمَ منه دينُك فلا تعدَّه في المصائب!
وكلُّ ثلمةٍ في الدِّين، ولوثة في العقيدة فأقِمْ لها مأتماً!

135
فخرجتُ مستَبْشِراً!

روى مسلمٌ في صحيحه من حديثِ أبي هريرة قال:
جئْتُ النّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله،
إنِّي كنتُ أدعو أُمي إلى الإسلام، فتأبى عليَّ!
فدعوتُها اليوم، فأسمَعَتْنِي فيكَ ما أكره، فادعُ الله لها!
فقال النّبيُّ ﷺ: اللهُمَّ اهدِ أُمَّ أبي هريرة!
فخرجتُ مستَبْشِراً بدعْوَتِهِ، فلمَّا جئتُ إليها قالت: يا أبا هريرة،
أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً رسول الله!
لا يهدأْ لكَ بالٌ وأحد أبويكَ على معصيةٍ ولكن بأدبٍ!
فإنَّ وصلهما باللهِ من أعظمِ وجوه البرِّ،
إن كان أحدهما لا يُصلي فابْقَ وراءه حتى لو وضَّأته وغسلتَ رجليه،
وإن كان على معصيةٍ فخُذ بيده ولا تتركها حتى يفرقكما الموت،
إنَّ أعظم الحُبّ هو أن تخافَ على حبيبك من النّار،
وتأمَّل قول الخليل: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ !



وإذا أحسنتَ إلى إنسانٍ فأشِحْ
وجهكَ عنه حتى لا ترى حياءَه
عارياً، كلُّ عطاءٍ مقرونٍ بالمنِّ والأذى
ليس للهِ فيه حاجة!

136

فغيَّرَ لوْنَهَ!

في الطَّبقاتِ الكُبرَى لابنِ سعدٍ، قالَ عياضُ بن خليفة:

رأيتُ عمر بن الخطاب عام الرَّمادةِ أسمر اللون وقد كان أبيضَ!

فقلتُ: مِمَّ هذا؟

فقالوا: كان يأكلُ السَّمنَ واللَّبنَ، فلمَّا جاعَ النَّاسُ حرَّمهما على نفسِه،

وحلفَ ألا يشبعَ حتى يشبعوا، فأكل الزَّيتَ، وجاعَ، فتغيَّرَ لونهُ!

تحلَّ بالمسؤوليةِ والشّهامةِ يعذرك النّاسُ ويُقدّرونك،

ربُّ البيتِ إذا جاع مع أولاده لم يتذمَّرْ منهم أحد،

والمديرُ إذا التزمَ بوقتِ الدّوام لم يُخالفه من الموظَّفين أحد،

والأمُ إذا احتشمتْ سُهلَ عليها أن تأمر ابنتَها به،

الذين تحت أيدينا لا يسمعُون ما نقول، وإنَّما ينظُرون إلى ما نفعل!

137

وكانَ كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ!

روى البخاريُّ من حديثِ حكيم بن حِزام أنَّه قال:
سألتُ النَّبيَّ ﷺ فأعطانِي، ثمَّ سألتُه فأعطانِي،
ثمَّ قالَ: يا حكيم، إنَّ هذا المالَ حُلوةٌ خَضِرة،
من أخذَه بسخاوةِ نفسٍ بورِكَ له فيه،
ومن أخذَه بإشرافِ نفسٍ لم يُباركْ له فيه،
وكان كالذي يأكلُ ولا يشبعُ، واليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى!
إذا أُعطيتَ من غير مسألةٍ فخُذْ، وكُلْ منه وتصدَّقْ،
بشرطِ ألَّا تكون هذه الأعطيةُ شرطاً في دينك ومروءتك!
وإن وُزِّعَ على النّاسِ ولم تكُن محتاجاً فلا تُزاحِم المحتاجينَ،
الأصلُ أن يتصدَّقَ الميسورُ لا أن يُزاحمَ الفقراءَ على الصَّدقاتِ!
واَعلمْ أنّ الذي جوعهُ في نفسِه، لن تُشبعه الدُّنيا كلُّها ولو وضعتْ في بطنِه!
والذي فقرُه في قلبِه لن يغنَى ولو وُضِعَ مالُ الدُّنيا كلّه في جيبِه!

138
فَفِيمَ العملُ يا رسول الله؟!

روى مسلمٌ في صحيحه من حديثِ بشير بن كعب قال:
جاء غلامان شابَّان إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقالا:
يا رسول الله، أنعملُ فيما جفّتْ به الأقلام وجرَتْ به المقادير،
أو في أمرٍ يستأنف؟!
فقال لهما: لا، بل في أمرٍ جفَّتْ به الأقلام، وجرتْ به المقادير!
قالا: فَفيمَ العملُ إذاً يا رسول الله؟ فقال: كلُّ عاملٍ مُيَسَّرٌ لعمله!

إنما عُرِفَ أهل الجنَّة وأهل النَّار يوم مسح الله تعالى ظهر آدم عليه السّلام،
فأخرج منه النَّاجين والهالكين بعلمه لما سيكون منهم،
ولكنّ علم اللهِ تعالى المسبق لا يُلزِمُكَ لا بطاعةٍ ولا بمعصية،
كلُّ واحدٍ منَّا يشعرُ في قرارة نفسه أنّه مالك أمره!
فاعمَلِ اليومَ وكأنَّك تكتبُ قدركَ بيديك!

139

صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ ودِّ أبيه؟

روى مسلمُ في صحيحه من حديثِ عبدِ اللهِ بن دينارٍ قال:
لقيَ عبدُ اللهِ بن عمر رجلاً من الأعراب فسلَّم عليه،
وحملَه على حمارٍ كان يركبُه، وأعطاه عمامةً كانت على رأسه،
فقلنا له: أصلحكَ الله، إنهم الأعراب، وهم يرضون باليسيرِ!
فقال: إنَّ أبا هذا كان ودًّا لعمر بن الخطَّاب،
وإنِّي سمعتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: إنَّ أبرَّ البِرّ صلة الرَّجلِ أهلَ ودِّ أبيه!
البرُّ لا ينتهي بموت الأبوين وإنما بموتكَ أنتَ،
زُرْ صديقهما، وأكرِمْ رفيقهما، وساعد أهل ودِّهما،
فكلُّ ما له صلة بالحبيب فهو حبيب،
وبإمكانك أن تبرَّهما حتَّى بعد موتِكَ كأن تجعلَ لهما صدقةً جاريةً!

140
فمشَى حتى بلَّغني مأمنِي!

في الطَّبقاتِ الكبرى لابنِ سعدٍ، قال سنان بن سلمة:
كُنّا غلماناً في المدينة، نلتقطُ البلحَ الذي تلقيه الرّيح،
فخرجَ إلينا عمرُ بن الخطاب، فتفرَّق الغلمانُ، وبقيتُ مكانِي،
فلمَّا نظرَ إلى ما في يدي، قلتُ: يا أمير المؤمنين، هذا ما ألقته الرّيحُ!
فقال: أرِني أنظُر إليه، فإنَّه لا يخفى عليَّ!
فنظرَ في حِجري، ثم قال: صدقتَ!
فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ترى هؤلاء الآن، لئن انطلقتَ أغاروا عليَّ،
فأخذوا ما معي! فمشَى معي حتى بلّغنِي مأمني!
وأنتَ، ما ضرَّكَ أن تمشِي في حاجاتِ النَّاسِ حتى تُبلِّغَهُم إيَّاها،
والشِّقاقُ بين الأخوين إذا استطعتَ أن تُنهيه فلا تتأخرْ،
المظلومُ الذي تستطيعُ أن تردّ مظلمتَه فلا تتهاونْ،
النَّاسُ لهم وُجهاتٌ في الحياةِ وليس كلّهم قادرٌ على أن يبلغَها،
فكُنِ العبدُ الذي يقضِي الله به حاجاتِ خلقِه!

141

ويكفِينِي؟!

روى الإمامُ أحمدُ، وابنُ ماجة، والتَّرمذيُّ من حديثِ خُريم بن أيمن:

أنَّ رجلاً أتى بالنَّبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله،

إنِّي قد كبرتُ على خِلالِ الإسلامِ، فاتَّخِذْ لي خِلَّةً تجمعُ خِلالَ الإسلام،

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: لا يزالُ لسانُكَ رطباً من ذكرِ الله عزَّ وجلَّ،

فقالَ الرَّجلُ: ويكفِينِي؟

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: نعم، ويَفْضُلُ عنكَ!

كان ابنُ عثيمينَ يقولُ: حتى تعلمَ أنَّ المسألةَ توفيقٌ من الله،

اُنظُرْ للذِّكرِ، فهو من أسهلِ العباداتِ ولا يقومُ به إلَّا من وفَّقه الله إليه!

وصدقَ ابنُ عثيمين فإنَّ الذِّكرَ غنيمةٌ باردةٌ، وعبادةٌ سهلةٌ،

سبِّحْ وأنتَ تقودُ سيارتكَ، واستغفرِي وأنتِ تنشرينَ غسيلكِ،

صلِّ على النّبيِّ ﷺ وأنتَ عند محطَّةِ الوقود، وكبِّري وأنتِ تكوينَ ثيابكِ،

اللِّسانُ عضلةٌ لا تتعب، والقلبُ يُنقِّيه الذِّكرُ من كلِّ لوثة،

ويكفينا شرفاً أننا إذا ذكَرْنا الله في أنفسِنَا ذكرَنَا سبحانَه في نفسِه!

142
صَدِّقْ رُؤياكَ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ خُزيمة بن ثابتٍ:
أنَّه رأى فيما يرى النَّائمُ أنَّه سجدَ على جبهةِ النَّبيِّ ﷺ،
فاضطجعَ له النَّبيُّ ﷺ وقالَ له: صَدِّقْ رؤياكَ!
فسجدَ على جبهةِ النَّبيِّ ﷺ!
الرؤيا تُلزِمُ صاحبَها ولا تُلزم النَّاسَ،
ولكن إن استطعتَ أن تجعلَ أحدَهُم يُصدِّقُ رؤياه فافعَلْ،
وإذا رغبَ أحدُهم في حضوركَ إلى مناسبةٍ له وما في الأمرِ بأسٌ فاذهَبْ،
وإذا تمنَّى أحدٌ أمنيةً وبيدكَ تحقيقَها وفيها أجرٌ فلا تتردَّدْ،
جبرُ الخواطرِ عبادةٌ، ومراعاةُ المشاعرِ ثوابٌ،
كانَ الأنصارُ يأتون النَّبيَّ ﷺ يسألونَه أن يُصلِّي في بيوتهم،
ليتَّخِذُوا ذلك الموضعَ مسجداً، فكان يذهبُ ويحققُّ أمانيهِم!

143

فلنْ أَرْزَأَ حَيائِي!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
قُتِلَ يوم قريظة رجلٌ يُدعى خلَّاداً،
فقيلَ لأمّه: يا أمَّ خلَّادٍ، قُتِلَ خلَّادٌ!
فجاءتْ وهي منتقبةٌ تسألُ عنه!
فقيلَ لها: قُتِلَ خلَّادٌ، وتجيئيننا منتقبةً؟!
فقالتْ: إنْ قُتِلَ خلَّادٌ فلنْ أرزأَ حيائِي!
وأنتِ لا ترزئِي حياءَكِ ولو قامتِ القيامةُ!
إنْ كان عرسٌ فلا تقولي هي فرحةُ العمرِ وتخلعِي حجابكِ،
وإنْ كان مأتمٌ فلا يُنسيكِ الحزنُ أنَّ لكِ ما يجبُ أن يُغطَّى،
في غزَّةَ كان النِّساءُ ينمنَ بأثوابِ الصَّلاةِ زمنَ الحربِ،
كُنَّ يَخشينَ إن انتشلوهُنَّ من تحتِ الانقاض شهيدات، أن يبدو منهنَّ شيءٌ،
عِفّةٌ في الحياةِ وعِفَّةٌ وفي المماتِ!

144
فليُقلِّمُوا أظَافِرَهُم!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ ربيعةَ الجُرْميِّ قالَ: انطلقتُ أنا وأبي إلى النَّبيِّ ﷺ، فأمرَ لنا بإبلٍ، ثم قالَ لأبي: مُرْ بنيكَ فليُقلِّمُوا أظافرَهُمْ، لا يعقِرُوا بها ضُروعَ مواشِيهم إذا حلبُوا!

هذا الدِّينُ ضدُّ الأذى أن يصيبَ الحيوانَ،

وهو من بابِ أولى ضدُّ الأذَى أن يصيبَ الإنسانَ،

قلِّمْ أظافرَ أفعالكَ فلا تسرِقْ ولا تبطِشْ ولا تظلمْ،

وقلِّمْ أظافرَ لسانكَ فلا تجرَحْ بكلمةٍ ولا تُؤذِ بحرفٍ!

وقلِّمْ أظافرَ عينيكَ فلا تحسدْ أحداً على ما أعطاه الله،

وتذكّرْ دوماً قولَ نبيكَ صلى الله عليه وسلم: المسلمُ من سَلِمَ المسلمون من لسانِه ويدِه!

145

أفتَانَا بهذا ابنُ عُمَر!

في كتابِ الزُّهد لعبدِ اللهِ بن المبارَك:

سُئِلَ عبدُ اللهِ بن عُمر عن شيءٍ فقالَ: لا أدري.

فاستغرَبُوا قولَه،

فقالَ لهم: أتريدون أنْ تجعلُوا ظهورَنا لكم جسُوراً في جهنَّم؟!

أن تقولُوا: أفتانَا بهذا ابنُ عُمر!

لا تُفتِ بمسألةٍ لا علمَ لكَ بها!

لا عيبَ في أن تقولَ لا أعلم، وإنَّما العيبُ أن تهرفَ بما لا تعرِف،

كان النَّبيُّ ﷺ وهو النَّبيُّ إذا سُئِلَ عن الشَّيء،

وليس عنده فيه علمٌ لا يقولُ به حتَّى يوحَى إليه!

وإنَّ الملائكَة لم تستحِ أن تقولَ: «سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»

العلمُ يا صاحبي له حدٌّ، الذي لا حدَّ له هو الجهل!

146
لا أعدِلُ بالسَّلامةِ شيئاً!

عن القاسمِ بن محمَّد أنَّ عبدَ اللهِ بن عباسٍ سُئِلَ:
رجلٌ قليلُ العملِ قليلُ الذُّنوب أعجبُ إليكَ،
أو رجلٌ كثيرُ العملِ كثيرُ الذُّنوبِ؟!
فقالَ: لا أعدِلُ بالسَّلامةِ شيئاً!
الإيمانُ الحقيقيُّ في تركِ الحرامِ أكثر منه في إتيانِ الحلال!
بمعنى أنَّ تركَ درهم من حرامٍ خيرٌ من صدقةٍ بألفِ درهم،
والتَّقوى الحقيقيَّةُ في هجرانِ المعاصي لا في فعلِ السُّننِ،
أن تُصلِّي العشاءَ وتنامَ ولا تزني ولا تغشّ ولا تغتاب،
أفضل من أن تقومَ الليل كلَّه وتزني وتغشُّ وتغتاب!
على أنَّه يستقيمُ الجمعُ بين تركِ الحرامِ وإتيانِ الحلالِ،
وبين قيامِ الليلِ وتركِ الزِّنى والغشِّ والغيبة،
هذا هو الأصلُ أساساً، وإنَّما الأمثلةُ كانتْ للتَّوضيحِ!

147

حسناتُنَا قد عُجِّلتْ إلينا!

في كتابِ الزُّهدِ لعبدِ اللهِ بن المبارَكِ:
إنَّ عبدَ الرَّحمنِ بن عوفٍ أُتِيَ بطعامٍ وكانَ صائماً،
فقالَ: قُتِلَ مصعبُ بن عميرٍ، وهو خيرٌ منِّي، وكُفِّنَ في بُردتِهِ،
إنْ غُطِّيَ رأسُه بدتْ رجلاه، وإنْ غُطَّتْ رجلاه بدا رأسُه!
وقُتِلَ حمزةُ وهو خيرٌ منِّي، ثم بُسِطَ لنا من الدُّنيا ما بُسِطَ،
وقد خشينَا أن تكونَ حسناتُنَا قد عُجِّلتْ إلينا! ثم جعلَ يبكي حتى تركَ الطَّعامَ!
كانُوا يعرفون أنَّ الدُّنيا ليستْ دارَ جزاءٍ أساساً،
لهذا كان يُفزعُهُم أن تُفتحَ عليهم!
فإن مُنعتَ فلا يعني أنَّ اللهَ تعالى يُبغضكَ،
كان حبيبُكَ ﷺ يربطُ حجراً على بطنِهِ من الجوعِ!
وإن أُعطيتَ فلا يعني أنَّ اللهَ يُحبُّكَ،
أُعطيَ قارون كنوزاً لا يمكنُ لكَ أن تتخيَّلها!
يُّحبكَ اللهُ إذا وهبكَ الصبرَ مع المنعِ، والشُّكرَ مع العطاءِ!

148
إنَّ هذا سيُبلِّغُنَا المقِيلَ!

في كتابِ الزُّهدِ لعبدِ اللهِ بن المبارَكِ:
جاءَ عُمَرُ بن الخطَّابِ إلى الشَّامِ، فلقيَه أمراءُ الأجنادِ،
فقالَ عمرُ: أين أخِي أبو عبيدة بن الجرَّاحِ؟
فقالُوا: يأتيكَ الآن... فجاءَ أبو عبيدة بهيئةٍ رثَّةٍ،
ولمَّا انصرفَ النَّاسُ، أتى عمرُ أبا عبيدةَ في بيتِه،
فلم يرَ في بيتِه إلا سيفَه، وترْسَه، وناقتَه!
فقالَ له عمرُ: لو اتَّخذتَ متاعاً؟!
فقالَ له أبو عبيدة: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ هذا سيُبلِّغنا المقيلَ!
لا بأسَ أن يكونَ لكَ بيتٌ جميلٌ،
ولكن لا تنسَ أنَّها دارُ عبورٍ، وأنَّنا سنمضِي إلى القبورِ،
ولا بأسَ أن يكون لك سيارةٌ جميلةٌ، وثيابٌ أنيقةٌ، ووظيفةٌ مرموقةٌ،
ولكن لا تنسَ أنَّ المرءَ لا يأخذُ معه إلا عمَلَه،
هي قاعدة واحدة: تملَّكْ ولكن لا تتعلَّقْ!

149

لِمَ فعلتَ هذا؟

روى البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ أنسِ بن مالكِ أنه قال:
خدمتُ النَّبيَّ ﷺ عشرَ سنين،
وليسَ كلُّ أمري كما يشتهِي صاحبِي يكون،
ما قالَ لي: أُفٍّ! ولا قالَ لي: لِمَ فعلتَ هذا؟!
كثرةُ اللَّومِ والعتابِ تقتلُ روحَ المبادرةِ في النَّاسِ،
تجعلُهُم آلاتٍ جامدة، تؤدِّي العملَ بلا روحٍ،
وكثرةُ النَّقدِ تقتلُ الدَّافعيَّةَ في النَّاسِ،
تجعلُهُم لا يرغبون في أداءِ شيءٍ لأنَّه لن يُعجبَ!
إذا كنتَ ستنتقدُ موظَّفيكَ عند الخطأ فلا بأس،
ولكن سَلْ نفسكَ أوَّلاً: هل أشدّتُ بهم حين أحسنُوا؟!
وإذا كنتَ ستنتقدُ زوجتكَ عند الطَّعامِ المالحِ فلا بأس،
ولكن سَلْ نفسكَ أوَّلاً: هل أشدتُ بطبخِهَا حين أجادتْ؟!
كُنْ كالنَّحلةِ لا ترى من الدُّنيا إلَّا الوردَ والرَّحيقَ،
ولا تكُنْ كالذُّبابةِ لا ترى من الدُّنيا إلَّا الأوساخَ!

150

لا يَغُرَّنكُم صلاةُ امرئٍ!

في كتابِ الزُّهدِ لعبدِ اللهِ بن المبارَك:

قالَ عمرُ بن الخطَّابِ: لا يغرَّنكُم صلاةُ امرئٍ ولا صيامُه!

ولكن انظُرُوا من إذا حدَّثَ صدقَ،

وإذا ائتُمِنَ أدَّى، وإذا أشفَى وَرَعَ!

الإيمانُ إن لم يخرجْ معكَ من المسجدِ إلى الحياةِ فهو إيمانٌ ناقصٌ!

إيمانكَ الحقيقيُّ في دكَّانكَ حين لا تغشُّ، ولا تحلفُ كذباً لتبيعَ!

مع جاركَ حين يأمنُ أذاكَ، وزميلِ العملِ حين يأمنُ وشايتكَ!

مع أبويكَ بِرًّا، ومع إخوتكَ وَصْلاً، ومع رَحِمكَ أمناً!

إيمانُكَ الحقيقيُّ في تعاملكَ بأخلاقٍ مع البسطاءِ،

مع الخادمةِ، والبائعِ المتجوِّلِ، وعاملِ النَّظافةِ، وبوَّابِ العمارةِ،

إيمانكَ الحقيقيَّ يظهرُ حين تُعامِلُ الذين ليسَ لهم إلا اللهُ!

أحياناً نحن نحتاجُ أن نرى
الأمرَ بعيونِ الآخرين!

151
كأنَّه مجنُونٌ!

في كتابِ الزُّهدِ لابنِ أبي شَيبة:
قالَ أبو سلمةَ: لم يكن أصحابُ النَّبيِّ ﷺ مُتماوتين،
وكانوا يتناشدونَ الشِّعرَ في مجالسهم، ويذكرون أمرَ جاهليَّتِهم،
فإذا أُريدَ أحدُهم على شيءٍ من دِينه،
دارتْ حماليقُ عينيهِ عليه كأنَّه مجنونٌ!
إذا ما تعلَّقَ الأمرُ بالدُّنيا فكُنْ سَمْحاً!
ضاحِكْ ومازِحْ، تبارَ في الشِّعرِ وتجاذبْ أطرافَ الحديثِ،
اخرُجْ في نُزهةٍ، واذهبْ إلى المطاعمِ والأسواقِ،
الحياةُ في المباحِ جميلةٌ جداً!
أمَّا إذا تعلَّقَ الأمرُ بالدِّينِ فكُنْ كالصَّخرةِ،
لا تتنازلْ عن شيءٍ من دِينكَ ولو لم تُعجبِ النَّاسَ!

152

إنَّكَ تحولُ بينَ المَرْءِ وقلبِهِ!

في كتابِ الزُّهدِ للإمامِ أحمدَ بن حنبلٍ:
سمعَ عمرُ بن الخطَّابِ رجلاً يقولُ: اللهُمَّ إنَّكَ تحولُ بين المرءِ وقلبِه،
فحُلْ بيني وبين معاصيكَ أن أعملَ بشيءٍ منها،
فقالَ له عمرُ: رحمكَ الله، ودعَا له بالخيرِ!
هذه القلوبُ بين إصبعين من أصابعِ الرَّحمنِ فسَلْهُ صلاحَ قلبِكَ،
إن كانتْ لك معصيةٌ، فضَعْ يدكَ على قلبكَ وقُلْ:
يا الله إنَّ هذا القلبَ لن يستقيمَ إلا بأمركَ فأعنِّي عليه!
وإذا وجدتَ في نفسكَ حسداً واستشرافاً لرزقِ غيركَ،
فضعْ يدكَ على قلبكَ وقُلْ: يا الله، هذا القلب يمدُّ عينيهِ،
فاقصُرْ نظرَه على ما قسمتَ له!
سَلِ الله دوماً أن يُعافيكَ في قلبكَ فإنَّ الجوارحَ تبعُ له،
وإنَّ النّاسَ لا يُؤْتَوْنَ إلا من قِبَلِ قلوبِهِم!

153
فأُصِيبَ فضْلاً عن المسلمين!

في كتابِ الزُّهدِ للإمامِ أحمدَ بن حنبلٍ:
قَدِمَ على عمرَ بن الخطَّابِ مسكٌ وعنبرٌ من البحرين،
فقالَ: وَددتُ أنِّي وجدتُ امرأةً حسنةَ الوزنِ،
تزنُ في هذا الطِّيبِ حتى أقسمَه بين المسلمين!
فقالتْ له زوجتُه عاتكةُ بنتُ زيدٍ: أنا جيِّدةُ الوزنِ، فهلمَّ أزِنُ لكَ!
فقالَ: أنتِ لا!
فقالتْ: ولِمَ؟
فقالَ: أخشَى أن يبقَى منه شيءٌ على أصابعكِ،
فتمسحينَ بها عنقكِ، فأصيبَ فضلاً عن المسلمين!
الطريقُ لكلِّ النَّاسِ فلا يجوزُ أن توسِّعَ بيتكَ على حسابِها،
والقِرطاسيَّةُ في الشَّركةِ والمكتبِ للعملِ فلا يجوزُ احضارُها إلى البيتِ،
ومَكِناتُ التَّصويرِ في الدَّوائرِ الرَّسميَّةِ للعملِ فلا يجوز تصوير أوراقٍ خاصَّةٍ،
هذا ليس تنطُّعاً، هذا هو دينُنَا، خشِيَ الفاروقُ من شمَّةِ عِطْرٍ!

154
إذَا طَابَتِ المكسبَةُ زكَتِ النَّفقةُ!

في كتابِ الزُّهدِ للإمامِ أحمدَ بن حنبلٍ:
لمَّا مرضَ عبدُ الله بنَ عامرٍ مرضَه الذي توفِّيَ فيه،
أرسلَ إلى أصحابِ النَّبيِّ ﷺ وفيهم عبدُ اللهِ بن عُمر،
فقالَ لهم: قد نزلَ بي الموتُ فما ظنُّكم بِي؟
فقالُوا: كنتَ تعطي السَّائلَ، وتصِلُ الرَّحمَ، وحفرتَ الآبارَ بالفلواتِ،
وبنيتَ الحوضَ بعرفة، فما نشُكُّ أنَّكَ من أهلِ النَّجاةِ!
وابنُ عُمر ساكتٌ، فقالَ له ابنُ عامرٍ: ما لكَ لا تتكلَّمُ يا أبا عبدِ الرَّحمنِ؟!
فقالَ ابنُ عُمر: إذا طابتِ المكسبةُ زكتِ النَّفقةُ، وستقْدُمُ فتعلَمُ!
إنَّ اللهَ تعالى يحِبُّ الصَّدقةَ، ويُثيبُ عليها ويُخلِفُها،
ولكنَّه سبحانه طيِّبٌ لا يقبلُ إلا طيِّباً!
المالُ من الغشِّ والسَّرقةِ والرِّبا والاحتيالِ والحَلِفِ الكاذبِ،
لا يُقبلُ معه لا حجٌّ ولا صدقةٌ ولا حتى عمارةُ المساجدِ،
قبلَ أن تنظُرَ أين تُنفِق، اُنظُرْ من أين تكسِب!

155
فيكونُ كالبَعِيرِ!

في كتابِ الزُّهدِ لهَنَّادِ بن السَّرِيِّ:

دخلَ سلمانُ الفارسيُّ على صديقٍ له يعوده من مرضٍ نزلَ به، فقالَ:

إنَّ اللهَ يبتلِي عبدَه المؤمنَ بالبلاءِ ثم يُعافيه،

فيكونُ كفَّارةً لما مضَى، مُستَعْتَباً فيما بقِيَ!

وإنَّ اللهَ يبتلِي عبدَه الفاجرَ بالبلاء ثم يُعافيه،

فيكونُ كالبعيرِ ربطَه أهلُه ثم أطلقُوه،

لا يدري فيما ربطُوه حين ربطُوه، ولا فيما أطلقُوه حين أطلقُوه!

أحياناً يأتي المرضُ كرسالةٍ من اللهِ لعبده مفادها: عُدْ إليَّ!

نحن في الرَّخاءِ ننسَى، وتقسُو قلوبُنا،

فيأتي المرضُ ليقولَ للمؤمنِ: أرأيتَ ما أضعفكَ؟!

فيفهمَ الدَّرسَ، ويُصحِّحَ الخُطى، ويحمدَ اللهَ أنَّه ما خلّاه لنفسِه!

أمَّا الفاجرُ فلا يرَى في المرضِ غير طبيبٍ وعُلبة دواءٍ!

وما إن يشفَى حتى يستأنفَ ذاك الطغيانَ الذي كان فيه!

156

وجعلَ الهَمَّ في السُّخطِ!

في كتابِ الزُّهدِ لهَنَّادِ بن السَّريِّ:

قـــال عبدُ اللهِ بـــن مسعـــود: مـــن اليقيـــنِ ألَّا تُرضِـــي النَّـــاسَ بسخـــطِ اللهِ،

ولا تلومنَّ أحداً على ما لم يُؤتِكَ اللهُ،

فإنَّ رزقَ اللهِ لا يسوقه حرصُ حريصٍ، ولا يردُّه كراهةُ كارهٍ،

وإنَّ اللهَ جعَلَ الفرحَ في اليقينِ والرضى، وجعلَ الهمَّ في الشّكِّ والسُّخطِ!

المتسخِّطُ على نصيبه من الرِّزقِ سيعيشُ تعيساً ويموتُ تعيساً،

والمتسخِّطُ على حظِّه من المنصبِ سيعيشُ وضيعاً ويموتُ وضيعاً،

يكفي المتسخِّطُ على قضاءِ الله عقاباً أنَّه لا يستمتعُ بما في يديه،

ويحترقُ غيظاً بما في أيدي النّاس،

خُذْها عندكَ قاعدة: لا سعادةَ إلا لقانعٍ!

157
هيَ التي تَرَكتْهُ!

في كتاب الزُّهد لهنَّادِ بن السَّريِّ:
قيلَ لعبدِ اللّهِ بنِ عُمر: تُوفيَ زيدُ بن حارثةَ الأنصاريِّ!
فقالَ: رحمَه اللّه، وغفرَ له!
فقيلَ له: وإنَّه قد تركَ مئةَ ألف درهمٍ!
فقالَ: لم يتركْهَا، هي التي تركتْهُ!
من مفارقاتِ الحياةِ العجيبةِ أنَّكَ حين تموتُ،
لا تأخذَ معكَ إلا ما أعطيتَ!
ولو تركتَ خلفكَ مالَ قارونٍ فليسَ لكَ منه إلا ثمن الكفنِ!
عندما نامَ السُّلطانُ سليمانُ القانونيُّ على فراشِ الموتِ أوصى قائلاً:
حين أموتُ أخرجُوا يديَّ من التَّابوتِ ليعلمَ النَّاسُ،
أنَّه حتى السُّلطانُ يخرجُ من الدُّنيا فارغَ اليدين!

158

ذاكَ صَريحُ الإيمَانِ!

روى مسلمٌ في صحيحه من حديثِ أبي هُريرة:

قالُوا: يا رسولَ اللهِ، إنّا نجِدُ في أنفسنَا شيئاً،

ما نحبُّ أن تتكلَّمَ به، وإنَّ لنا ما طلعتْ عليه الشَّمسُ!

فقال: أوَ قدْ وجدتُمْ ذلكَ؟!

قالُوا: نعم!

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: ذاكَ صريحُ الإيمانِ!

يرى المؤمنُ الظُّلمَ، فيقولُ له الشَّيطانُ: أينَ اللهُ؟ لماذا لا ينتقمُ؟!

لو أنفذَ اللهُ تعالى انتقامَه عند كلِّ ظلمٍ لانتفَى مبدأُ امتحانِ الدُّنيا!

ولو ربحَ الحقُّ كلَّ جولةٍ لامتلأتْ صفوفُه بُعبَّادِ النَّتائجِ!

ثمَّ وكأنَّ الدُّنيا نهايةَ المطافِ وليس هناكَ آخرة!

فأينَ أبو جهلٍ الآن وأين آلُ ياسرٍ؟ وأين فرعونُ وأينَ الماشطة؟!

إنَّ للربِّ الحكيمِ توقيته في الحوادثِ، فإذا فهمتَ فالزَمْ، وإن لم تفهَمْ فسلِّمْ!

159

فاحفَظْ عنِّي ثلاثَ خِصالٍ!

في كتابِ الزُّهدِ لهَنَّادِ بن السَّريِّ:

قالَ العبَّاسُ بن عبدِ المطَّلبِ لابنه عبدِ اللهِ لمَّا أدناه عُمر بن الخطَّاب منه:

يا بُنيَّ، إنِّي أرى أميرَ المؤمنين يُقرِّبكَ ويستشيرك،

فاحفظْ عني ثلاثَ خصالٍ: لا يُجرِّبنَّ عليكَ كذبةً،

ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا تُفشينَّ له سِرّاً!

لخَّصَ لكَ العباسُ آدابَ المجالسِ فاحفظْهَا جيِّداً،

لا تكذبْ، فإنَّ الكذَّاب لن يصدِّقَه النَّاسُ وإن قالَ الحقيقةَ بعدَها!

ولا تغتبْ، فمن يتناولُ النَّاسَ في غيابهم لن يأمنَه الحاضرُون إذا غابُوا،

ولا تفشِ سِرًّا، فإنَّ أسرارَ النَّاسِ للناسِ وإن تركُوها عندنا،

ائْتَمنَ أعرابيٌّ أعرابياً على سرٍّ، ثمَّ قالَ له: هل حفظتَ؟

فقالَ له: بل نسيتُ!

160

زوجُكِ!

فِي كتابِ الزُّهدِ لهَنَّادِ بن السَّريِّ:

جاءتِ امرأةٌ إلى عائشةَ فقالتْ لها: من أعظمُ النّاسِ عليَّ حقاً؟

فقالتْ لها عائشةُ: زوجُكِ!

فقالتِ المرأةُ: فمن أعظمُ النَّاسِ عليهِ حقاً؟

فقالتْ لها عائشةُ: أُمُّه!

ساعديه على برِّ أُمِّه، وإيّاكِ أن تُخيِّريه بينكِ وبينها،

فإن اختارها فقد خسرتِ رجلاً فاضِلاً وإنَّكِ تستحقِّين العزاءَ!

وإن اختاركِ فقد ربحتِ رجلاً عاقًّا وإنكِ تستحقين الشّفقة!

فالذي لا يحفظُ معروفَ أمِّه، عليكِ أن تخافِي منه،

لا أن تنتشِي بانتصاركِ فيه، وتأنسِي برفقته!

الذي ينسَى إحسانَ أمِّه معه سينسَى إحسانكِ أيضاً،

هذا على افتراض أنَّه يوجدُ إحسانٌ لامرأةٍ تحثُّ على العقوقِ!

161
كذَبْتَ واللهِ!

في كتابِ الزُّهدِ لأبي داود:
أُتيَ عُمرُ بن الخطَّابِ بشابٍّ قد سرقَ،
فقالَ الشَّابُّ: واللهِ ما سرقتُ قبلها قط!
فقالَ له عمرُ: كذبتَ واللهِ، ما كان اللهُ ليُسْلِمَ عبداً عند أوَّلِ ذنبٍ!
اللهُ أرحمُ من أن يكشفَ غطاءَ السِّترِ من أوَّلِ مرَّةٍ،
بل إنّه سبحانه لا يرفعُ السِّتْرَ عن الذَّنبِ ولو تكرَّرَ ألفَ مرَّةٍ،
بشرطِ أن يبقَى العبدُ منكسراً، متأدِّباً، مُتذلِّلاً!
اللهُ تعالى لا يكشفُ سترَه عن عبده إلا عندما،
يغترُّ العبدُ بقوَّتِه، ويبارزُ اللهَ بذنبِه مبارزةَ المُصِرِّ!
وانظُرِ الآن في ذنوبِكَ، واتحدَّاك أن يكون اللهُ تعالى،
قد رفعَ عنكَ سترَ ذنبٍ صاحبَه انكسارُ قلبِكَ!
ما يكشفه اللهُ للنَّاسِ من ذنوبنا هو ما كان مقروناً بالجُرأة!

162
حُبُّكَ للشَّيءِ يُعْمِي ويُصِمُّ!

في كتابِ الزُّهدِ لأبي داود:

قالَ أبو الدَّرداءِ: حُّبكَ للشيءِ يُعمِي ويُصِمُّ!

في الحُبِّ تعامَ ولكن لا تكُنْ أعمَى!

من لا يتغافلُ عن الزَّللِ، ويغضُّ الطَّرْفَ عن الخطأ، هو قاضٍ لا عاشق!

ولكنَّه عمَى الرَّائي، وإشاحة نظرَ المُشاهِدِ!

لا عمى المغفَّلِ الذي يغدو أُلعوبة، ولا عمى السَّاذجِ الذي يُصبح أُضحوكة!

ثِقْ أوَّلاً، والثِّقةُ منبعُها الأحداثُ والتَّجارِب،

ثم بعدها لا تقبلْ في حبيبكَ قولةَ قائلٍ،

ولكن لا تُلقِ قلبكَ كُلَّه عند أوَّلِ خُطوةٍ،

ثمَّ تكملُ بقيَّة العمرِ كثورِ الحراثةِ يمشي على السِّكةِ المرسومةِ له!

163
يدْخُلُ معكَ لا معِي!

في العِقْدِ الفريدِ لابنِ عبدِ ربِّه:
قالَ رجلٌ لأبي بكرٍ: واللهِ لأسُبَّنَّكَ سبًّا يدخلُ القبرَ معكَ!
فقالَ له أبو بكرٍ: يدخلُ معكَ لا معِي!
الغيبةُ إنَّما تُكتبُ في صحيفتكَ لا في صحيفةِ الذين اغتبتهم،
والشّتمَّ إنَّما يُكتبُ في صحيفتكَ لا في صحيفة الذين شتمتهم،
أنتَ في هذه الحياة كمن يستعدُّ لسفرٍ طويلٍ،
تمشي وعلى ظهركَ كيسٌ تجمعُ فيه زاداً هو العمل،
وعندما تُوضع فيه قبركَ يبدأ السَّفرُ ويُفتَحُ الكيسُ،
فإن وجدتَ زاداً طيّباً فنعمَ ما جمعتَ وستكون رحلةً ممتعةً،
وإن وجدتَ زاداً خبيثاً فبئسَ ما جمعتَ وستكون رحلةً شاقَّةً!

164

دَعْ للصُّلْحِ موضِعاً!

أخـرجَ البيهقـيُّ فـي شُـعبِ الإيمـانِ، وابـنُ عسـاكر فـي تاريـخِ دمشـق:

شتمَ رجلٌ أبا ذرٍّ صاحبَ رسولِ اللهِ ﷺ،
فقالَ له أبو ذرٍّ: يا هذا، لا تُغرِقْ في شتمنا، ودَعْ للصُّلحِ موضعاً،
فإنَّا لا نكافئُ من عصى اللهَ فينا، بأكثر من أن نُطيعَ اللهَ فيه!
إذا خاصمتَ فلا تفجُرْ واترُكْ للصُّلحِ موضعاً،
لا تحرِقْ كُلَّ جسورَ الوصلِ فقد تحتاجُ أحدَها يوماً،
ولا تُخرِّبْ كلَّ الطُّرق، غالباً ما يعودُ النّاس أدراجهم،
حتى الخلاف له أدبٌ ومن لا يعرفه لا يُؤتمَنُ في الوصال،
في لحظاتِ الوفاقِ كلُّ النّاسِ نبلاء،
ولكن إذا ما وقعَ الخصامُ عُرِفَ النّبيلُ من الخبيثِ!

165
وقعتَ في الشُّغل!

في العِقْدِ الفريدِ لابنِ عبد ربّه:
قالَ رجلٌ لعمرو بن العاصِ: واللهِ لأتفرَّغَنَّ لكَ،
فقال له عمرو: لقد وقعتَ في الشُّغل!
إنَّ اللهَ إذا أرادَ بعبدٍ شرًّا أنساه نفسَه وأشغله بالنَّاسِ،
وإذا أرادَ بعبدٍ خيراً ذكَّرَه شأن نفسِه وأنساه شؤونَ النّاس،
من اشتغل بعيوبه لن يجدَ وقتاً ليتابع عيوبَ النّاس،
ولستُ أدري أيّ لذةٍ يجدها الفارغون حين يدسُّون أنوفهم في حياةِ النّاس،
يريدون أن يعرفوا مصدرَ كلّ مالٍ، وسببَ كلّ طلاقٍ!
ولمَ لم تُنجبْ فلانة، ولمَ استقالَ فلان؟!
فضولٌ وحشريَّة حتى صارُوا لا يعيشون في حياتهم بقدرِ ما يعيشُون في حياةِ النَّاسِ!

لا أحدَ يطلبُ منك أن تُحِبَّ كلَّ النَّاس،
مع أنَّ هذا شيء جميلٌ! ولكنَّ المطلوبَ منكَ
أن تعدِلَ حتَّى إذا كرهتَ!

166

هل للرَّجُلِ حَاجَة؟!

في كتابِ إحياءِ علومِ الدّين للغزاليِّ:

سبَّ رجلٌ عبدَ اللهِ بن عبّاس!

فقالَ ابنُ عبّاسٍ لمولاه عكرمة: يا عكرمة هل للرَّجلِ حاجة فنقضيها؟

فنكَّسَ الرَّجل رأسَه واستحى مما رأى من حِلم ابن عباسٍ عليه!

اَخترْ خصومَكَ كما تختارُ أصدقاءَكَ!

لا تخُضْ كلَّ معركةٍ تُناديكَ،

ولا تشتركْ في كل جدالٍ يدور،

يستحيلُ أن تدخلَ مخاضةً من طينٍ وتخرج منها نظيفاً!

الانسحاب أحياناً ترفُّعٌ وليس هروباً، فترفَّعْ!

167
أنتَ حُرٌّ!

في البيانِ والتَّبين للجاحظِ، والمستطرف للأبشيهيِّ:
قال أبو ذرٍّ لغلامِه: لِمَ أرسلتَ الشَّاةَ على علفِ الفرس؟
فقال: أردتُ أن أغيظكَ!
فقالَ له: لأجمعنَّ مع الغيظِ أجراً، أنتَ حرٌّ لوجهِ اللهِ!
النّاسُ يرمون الحجرَ في البئر ليكتشفُوا عمقها،
فأرِهِمْ عمقَ بئركَ ولا تفُرْ غضباً عن أوَّلِ رميةٍ،
إنَّهم يستلذُّون برؤيتكَ محترقاً وغاضباً وفاقداً لأعصابكَ،
ثِقْ إنَّ برودك سيقتلُهم، وهدوءَك سيشعلُهم،
وتذكَّرْ دائماً أن كل فعلٍ يبقى تافهاً ما لم نتفاعلْ معه!

168
نَحْرِي دونَ نحْرِكَ!

أخرجَ الإمامُ أحمدُ في المسند، من حديثِ أنس بن مالك:
إنَّ أبا طلحة كان يرمي بين يدي النَّبيِّ ﷺ يوم أُحد،
والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم خلفه يتترَّسُ به، وكان رامياً،
وكان إذا رمى، رفع النَّبيُّ ﷺ رأسَه ينظرُ أين يقعَ سهمه،
ويرفعُ أبو طلحة صدرَه يحميه به ويقول:
بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ الله، لا يُصيبكَ سهمٌ، نحرِي دون نحرِكَ!

أرأيتَ بأيِّ شيءٍ كانوا يفدونه؟!
بنحورِهم، وأرواحِهم، ودمائِهم، وأموالِهم، وأهاليهم،
فإيَّاكَ أن تقبلَ فيهم مقولةَ ضالٍ، وشتيمةَ فاسقٍ،
هذا الدِّينُ وصلَ إلينا على طبَقٍ من أشلائِهم ودمائِهم!

169

ويُؤْثِرُونَ على أنفسِهم!

أخرجَ البيهقيُّ في شعبِ الإيمانِ، عن عبدِ اللهِ بن عمر قالَ:
أُهديَ لرجلٍ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ رأسُ شاة،
فقال: إنَّ أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منَّا!
فبعثَ به إليه، فلم يزلْ يبعثُ به الواحدُ إلى الآخر حتى تداوَله سبعة!
وهكذا حتى رجعَ الرأسُ إلى الأول!
ونزلتْ: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»!
كانوا يُعطُون وهم في حاجةٍ، ونحن نأخذُ ونحن في غنى،
من المُعيبِ المُشَاهَدِ أنَّه إذا وزّعَ محسنٌ ولو أرغفة خبزٍ على الفقراء،
قام ميسورٌ جشِعٌ يُطالب بحصتِّه منها،
بدل أن يكون اليدَ العُليا وهو قادرٌ على ذلك،
يريدُ أن يُزاحمَ المساكين في الصَّدقاتِ التي تُعطى إليهم،
للأسف إنَّ الجوعَ الحقيقيَّ في النّفس لا في المَعِدة!

170
أَعْطُوه إيّاه!

أخرجَ البيهقيُّ في شُعبِ الإيمان، قالَ نافعٌ مولى عبدِ اللهِ بن عمر:

مرضَ ابنُ عمر فاشتهى عنباً،

فأرسلتْ امرأتُه صفيَّةُ بدرهمٍ واشترت عنقوداً،

فتبعَ سائلٌ حاملَ العنقودِ حتى أتى البيت، وقالَ: الأجر يرحمكم الله!

فقال ابن عمر: أعطوه إيّاه!

هناك أشخاصٌ يُدهشونك في نُبلهم، حدَّثني صديقٌ مرَّة فقال:

ذهبتُ إلى مقابلة عمل، فوجدتُ زميلَ دراسةٍ قد تقدَّم لها أيضاً،

فدخلَ قبلي، ودخلتُ بعده، فقالتْ لي اللَّجنةُ التي تُجري المقابلة:

أتدري ما قالَ فلان الذي دخلَ قبلكَ عنك؟

قلتُ لهم: ما قال؟

فقالُوا: قالَ لنا عنك: أنصحُكم أن تقبلُوه فهو أكفأ منِّي!

171
هذا خيرٌ من قُرصِكِ!

روى الإمامُ مالكٌ في الموطأ:

إنَّ مسكيناً طرقَ بابَ عائشة وهي صائمة،

وليس في بيتها إلا رغيف، فقالتْ لمولاتها: أعطيه إيّاه!

فقالتْ: ليس لكِ ما تفطرين عليه!

فقالتْ لها عائشة: أعطيه إيّاه!

فلما كان المساءُ أُهديَ لعائشة كتفُ شاة، فدعتْ مولاتها،

وقالتْ لها: كُلي من هذا، هذا خيرٌ من قُرصِكِ!

أن يحسبَ الإنسان بعض الأمور بالعقلِ هو الأصل،

والحياةُ تحتاجُ إلى تدبيرٍ وكياسةٍ فهي دار أسباب،

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يكره أن يتصدَّقَ الرَّجلُ بكلّ ماله،

ولكن في الحياة أُناسٌ لهم قلوبٌ لا تُشبه قلوبَ النَّاس،

يُؤمنون بما في يد الله فعلاً وقولاً أكثر مما يؤمنون بما في أيديهم،

فاللهُمَّ أصلِحْ قلوبنا، وسخِّ نفوسنا، وقِنا الشُّحَّ!

172
كنتُ أُرِيدُه لنفسِي!

روى الإمامُ البخاريُّ في صحيحه:
لما طُعِنَ عمرُ بن الخطَّاب، قال لابنه عبد الله بن عمر:
اذهبْ إلى أم المؤمنين عائشة، فقلْ: يقرأُ عمرُ عليكِ السّلام،
ثم سلْها أن أُدفَنَ مع صاحبيَّ!
فقالتْ عائشة: كنتُ أريدُه لنفسي، فلأوثرَنَّه اليومَ على نفسي!
فلَّما جاءَ قال له: ما لديكَ؟
فقالَ عبد الله: أذِنَتْ يا أمير المؤمنين!
فقالَ عمر: ما كان شيءٌ أهم إليَّ من ذلك المضجعِ، فإذا متُّ فاحملوني،
ثمَ سلّمُوا، ثمّ قُولوا: يستأذِن عمر، فإن أذِنتْ لي فادفنوني،
وإلا فردُّوني إلى مقابرِ المسلمين!
لا تأخُذْ شيئاً بسيفِ الحياء فإنّه سرقة مغلّفة،
ولا تُحرجْ أحداً ليعطيكَ ما يعزُّ عليه لأنَّ البعض يخجل أن يرفض،
فإن كان إيثارُ عائشة عجباً، فورعُ عمر أشدّ عجباً!
طلبَ أن يستأذنوا منها وهو ميت،
خشية أن تكون قد أذنتْ له على خجل منه وهو حيّ،
وكُنْ عزيز نفسٍ، فلو كان شيئاً للدُّنيا ما طلبَه عُمر!

173
هلْ أنَا ومَالي إلَّا لكَ؟

روى الإمامُ أحمدُ في المنسد، من حديث أبي هريرة:
قال النَّبيُّ ﷺ: ما نفعنِي مالٌ قط ما نفعنِي مال أبي بكر!
فبكى أبو بكرٍ وقال: هل أنا ومالي إلا لكَ يا رسولَ الله!
نقلَ ابنُ رجبٍ في اللَّطائف قولَ بكرٍ المزنيّ:
ما سبقكم أبو بكرِ بكثرة صيامٍ، ولا صلاة، ولكن بشيءٍ وقرَ في صدره!
ولستُ أؤيّدُ هذه المقولة مع أيمانِي أنَّ قلبَ أبي بكرٍ لا يُشبه قلوب النّاس!
بل سبقنَا أبو بكر بكثرٍ من العمل!
أفنَى ماله في سبيلِ هذا الدِّين، وضُرِبَ حتى كاد يهلكَ،
فدى النَّبيَّ ﷺ يوم الهجرة، وثبتَ وثبَّتَ الناسَ يوم وفاته،
قاتلَ المرتدِّين، وعاهدَ الله ألَّا ينقصَ الدِّينُ وهو حيٌّ،
أبو بكر لم يسبقنا بقلبه فقط، أبو بكر لا يُشبِهُه من النّاسِ أحد!

174
ولا تأخُذْ منه الدِّرهَم!

روى ابنُ عساكر في تاريخِ دمشقٍ:
اشتهَى عبدُ اللهِ بن عمر يوماً سَمكةً وكان قد شُفيَ من مرضٍ،
فجيءَ بها، فشُويتْ، ووضِعتْ بين يديه على رغيفٍ،
فقامَ سائل بالباب، فقالَ ابنُ عمر لغلامه: لفَّها برغيفِها وادفعها إليه!
فأبى الغلامُ ذلك، فأمره ابنُ عمر مرَّةً أخرى!
فعادَ الغلام ووضعها بين يديه وقال له: كُلْ هنيئاً فقد أعطيتُه درهماً وأخذتها.
فقال له ابنُ عمر: لُفَّها وادفعْهَا إليه، ولا تأخذْ منه الدِّرهم!
حين تبلغُ من الإيثارِ مبلغهم، ويصيرُ قلبكَ كقلوبهم،
ستصبحُ أشهى لقمةٍ عندكَ هي التي تُطعمها لغيرك،
وأجمل هديةٍ عندكَ هي التي تشتريها لغيركَ،
وأجمل فرحةٍ عندكَ هي التي تُدخلُهَا على غيركَ،
ثمة لذَّة مضاعفةً في تقديمِ الأشياءِ أكثر من الحصولِ عليها!

175
لو كنت ذكَّرتِني لفَعَلتُ!

في كتابِ صفةِ الصَّفوةِ لابنِ الجوزيِّ:
بعثَ عبدُ الله بن الزُّبير لعائشة مئةً وثمانينَ ألفَ درهمٍ،
وهي يومئذٍ صائمة، فجعلتْ تقسمُه بين النَّاس،
فأمستْ وما عندها درهمٌ، وقالتْ لجاريتها: هلُمِّي فِطري!
فجاءتْها بخبزٍ وزيت، وقالت لها:
أما استطعتِ مما قسمتِ اليوم أن تشتري لنا بدرهمٍ لحماً نفطرُ عليه؟!
فقالتْ لها: لا تُعنِّفيني، لو كنت ذكَّرتِني لفعلتُ!
لتفهمَ ما كانت عليه عائشة انْظُرْ لأمكَ في البيت،
تدَّعي الشِّبعَ لتشبعَ أنتَ، وتُخفي التَّعبَ لتستريحَ أنتَ،
تُقدِّمُ رسومَ جامعتكَ على ثمنِ دوائِها، وتجعلُ سعادتكَ قبل سعادتها،
أمُّكَ هي أمُّكَ وحدكَ، عائشةُ كانت أمَّ كلِّ المؤمنين!

176

إنَّ هذا الغُلام لأسخى مني!

في كتابِ إحياءِ علوم الدِّين للغزاليِّ:

خرجَ عبدُ اللهِ بن جعفرَ إلى أرضٍ له في ناحيةٍ من المدينة، فنزلَ على نخيلِ قوم، وفيه غلام أسود يعمل، وقد أُتيَ بغدائه، فدنا كلبٌ من الغلام فرمى إليه قُرصاً فأكله، ثم رمَى له الثَّاني والثَّالث، وعبدُ اللهِ بن جعفر ينظرُ إليه، ثم قالَ له: يا غلام، كم قوتُكَ كلَّ يومٍ؟ فقالَ: ما رأيتَ!

فقالَ: فلِمَ آثرتَ هذا الكلب؟

فقال: ما هي بأرضِ كلابٍ، وإنَّه جاء من مسافةٍ، فكرهتُ أن أشبعَ ويجوعُ!

فقالَ عبدُ اللهِ: أُلامُ على السَّخاء، إنَّ هذا الغلام لأسخى مني!

ثمَّ اشترى الأرضَ، وما فيها، والغلامَ، وأعتقَه، ووهبَ له ذلك كلَّه!

لا يرى النُّبلَ في المواقف إلا من كان نبيلاً!

البخيلُ يرى مواطن الكرمِ تبذيراً، والجبانُ يرى مواطنَ الشَّجاعة تهوُّراً،

إن السِّرَّ ليس في المشهدِ الذي يُرى وإنَّما في العينِ التي ترى!

177
فنجعَلُ لهمُ اللُّعبةَ منَ العِهْنِ!

روى البخاريُّ ومسلمٌ من حديث الرّبيعِ بنت معوّذٍ قالت:

لما كان يوم عاشوراء، أرسل النّبيُّ ﷺ إلى قرى الأنصارِ حول المدينة فقال:

من كان صائماً فليُتمَّ صومَه، ومن كان مفطراً فليُتمَّ بقيَّة يومه!

فكُنَّا بعد نصومُه، ونُصوِّمُ صبياننا الصِّغار، ونذهبُ بهم إلى المساجد،

فنجعلُ لهم اللعبة من العهنِ/ الصوف،

فإذا بكى أحدُهم أعطيناه إيّاه، حتى يكون الإفطارُ!

العباداتُ كالإملاءِ والخطِّ والرِّياضيَّات تمرينٌ وتدريب،

وكما تحمِلُ أولادَكَ على مهاراتِ المدرسةِ وهذا فيه خيرُهُم لا شكّ،

كذلك عليك أن تحمِلَهم على العبادات وتدرِّبَهم عليها بحُبٍّ ومكافأة،

ما يتعلَّمه المرءُ في صغره يختلطُ بفِكرِه ولحمِهِ وعظمِهِ،

أمَّا قولُ الجُهلاء: دعوهم فما زالوا صغاراً على العبادات،

هم أنفسهم لا يقولون دعوهم فما زالوا صغاراً على المدرسة!

178
ما منعكَ أن تتكلَّم؟!

روى البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ عبدِ اللهِ بن عمر بن الخطَّاب قال:

قال النّبيُّ ﷺ: مثلُ المؤمنِ مثلُ شجرةٍ لا تطرحُ ورقها!
فوقع النّاسُ في شجرِ البادية، ووقع في قلبي أنَّها النَّخلة،
فاستَحْيَيْتُ أن أتكلمَ، فقال النّبيُّ ﷺ: هيَ النَّخلة!
فذكرتُ ذلك لعُمر فقال: يا بُنَيَّ، ما مَنعَكَ أن تتكلَّم؟!
فواللهِ لأَن تكونَ قلتَ ذلك أحبُّ إليَّ من أن يكونَ لي كذا وكذا!
وقولُ عُمَر إنَّما هو مما فُطِر عليه الإنسان من حبِّ الخَيرِ لأولاده،
الإنسانُ فِطرةٌ ولا أحدَ يستطيعُ أن يَخرُجَ من قفصِ بشريَّتِهِ،
لا تتوقَّعوا من الإيمان أن يُلغِي النّزعات الإنسانيَّة،
هدفُ الإيمانِ ليس أن يُحوِّلَنا إلى آلاتٍ دينيّة،
وإنَّما أن يجعلَنا بشراً خيِّرين نحكُمُ غرائزنا ونَزَعاتنا ولا تحكُمُنا!

المنتقِبة تُحِبُّ، وحافظُ القرآنِ يشتَهي، والفقيهُ يرغبُ في المال،

ولكن الفرق بين أهلِ الإيمان وغيرهم أنهم يستجيبون لغرائزهم وفقَ رضى الله!

179

سِرٌّ لرسولِ اللهِ ﷺ!

روى الإمامُ أحمدُ في المُسنَد من حديثِ أنس بن مالكٍ قال:
أرسلني النّبيُّ ﷺ في حاجةٍ،
فرجَعتُ إلى أهلي بعد السَّاعةِ التي كنتُ أرجعُ إليهم فيها،
فقالتْ أمي: ما حسبكَ اليومَ يا بُنيَّ؟
فقلتُ: أرسلني النّبيُّ ﷺ في حاجةٍ له،
فقالتْ: وما هي؟ فقلتُ: هو سِرٌّ لرسول الله ﷺ!
فقالتْ: فاحفظْ على رسولِ اللهِ سِرَّه!
شجّعوا أولادكم إذا رأيتمُوهُم في مواقفَ نبيلةٍ،
وافرحُوا إذا رأيتُم منهم مكارمَ الأخلاقِ،
الأصل أن نحمِلَهُم نحن على هذا ولا ننتظرُ منهم القيام به لنُثْني عليه،
وإنها لطامَّةٌ أن يزور الابنُ أو البنت بيتاً،
ثمَّ نجلسُ معهما جلسةَ تحقيقٍ ليُفْشُوا أسرار البيوت!
وإن أَفْشَوها هم ابتداءً علينا أن نزجُرَهم لأنَّ سكوتَنا رضى!

180
النُّصحُ لكُلِّ مُسلمٍ!

في كتاب فتحِ الباري على شرح البخاريِّ لابنِ حَجر:
اشترَى جريرُ بن عبد الله فرساً بأربعمِئَة درهم،
ثم قال للبَائع: أتحبُّ أن تكونَ ثمانمِئَة؟! فقال البائع: نعم.
فقال له: خُذْ ثمانمِئَةً، هذا ثمنُها وقد بايعتُ النّبيَّ ﷺ،
على النُّصحِ لكلِّ مسلم!
يا للنُّبل، أَعطى جُريرٌ ثمنَ الفرسِ الحقيقيِّ لا كما هو معروضٌ للبَيْعِ،
ومع أنَّه لو اشتراه كما هو معروضٌ لم يكن إثماً،
بيِّنِ العيبَ ولو كان في بضاعتَك،
واثْنِ على الحسناتِ ولو كانت في بضاعةِ غيرِكَ،
لا تُوهِم الخَاطِب أنَّ ابنتَك صحابيَّة،
ولا تُوهِم المخطوبة أنَّ ابنَك من المبشَّرين بالجنَّة،
واللّهِ أعرفُ عائلةً فسخَتْ خطوبةَ ابنَها لأنَّه لا يستحقُّ المخطوبَة!

أحمقُ النَّاسِ من انشغلَ بعيوبِ النَّاس
عن عيوبه، والذي يُحاول إصلاحَ عيوبِه لن
يجدَ وقتاً لينظرَ في عيوبِ النَّاس!

181
مَا لكَ عندي إلَّا سَهْمَكَ!

في كتابِ الورعِ لابنِ أبِي الدُّنيا،
بينَما عمر بن الخطَّاب يمشي ذات يومٍ في نفرٍ من أصحابه،
إذ رأى صبيَّةً يطرحها الرِّيحُ من ضعفها!
فقالَ عمرُ: يا بُؤسَ هذا! من يعرفُ هذه؟
فقالَ له ابنه عبدُ اللهِ: أما تعرفها؟ هذه إحدى بناتِكَ!
فقالَ عمرُ: وأيُّ بناتي؟ فقال له عبدُ اللهِ: ابنتي،
فقالَ له عمر: فما بلغ بها ما أرى من الضّيعة؟
فقالَ عبدُ اللهِ: إمساكُكَ ما عندكَ!
فقالَ عمرُ: إمساكي ما عندي يمنعُكَ أن تطلب لبناتك ما يطلبُ الأقوام؟!
واللهِ ما لكَ عندي إلا سهمكَ مع المسلمين!
أحبَّ ابنكَ ولكن لا تمنحه وظيفةً على حساب حقوقِ النَّاس،
الترقيةُ للأكفأ لا للأقرب، والمناقصة للشُّروط لا للدَّم،
النَّزاهة لا تعني غياب العاطفة وإنَّما عدم تحكُّمها بتصرفاتنا!

182

وَيْحكَ سَقَيْتَنِي ناراً!

في كتابِ الورعِ لابن أبي الدُّنيا:

إنَّ عمر بن الخطَّاب سقاهُ غلامَه لبناً فأنكرَهُ!

وقال له: ويْحَكَ، من أين هذا اللَّبن؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، إن ناقَتكِ انفلَتَ عليها ولدُها،

فشربَ لبنَها، فحلبتُ لكَ ناقةً من مالِ الله!

فقال له عمر: ويحَكَ، سَقيتَني ناراً!

النَّاقةُ للمسلمين، وهو منهم، ولكنَّه أبى أن يستأثِر بشَربةِ لبنٍ دونَهم!

إنَّ فكرة تحويلِ المال العامِّ إلى مالٍ خاصٍّ حرامٌ يستهين به النَّاس،

يتورَّعُ أحدُنا أن يأخذ قلماً لشخصٍ بعينه،

ولكنَّه يأخذ أقلام الوزارةِ أو الشَّركةِ مع أنَّه لا فرقَ،

نُعيدُ الكتابَ لمن استعرناه منه ونستولي على كتابِ المكتبة العامة،

ولستُ أدري ما الفرق مع أنَّ أخذَ كتابِ فردٍ هي سرقةُ شخصٍ،

وأخذُ كتابٍ من المكتبةِ العامَّة هي سرقةُ كلِّ النَّاس!

183

ويْحَكَ يا مُعَيْقِيب!

في كتاب الورع لابن أبي الدُّنيا:

كان مُعيقيب على بيتِ مالِ المسلمين على عهد عمر بن الخطَّاب،

فكنسَ بيت المالِ يوماً، فوجدَ درهماً، فأعطاه لابنِ عمر!

ثم انصرفَ إلى بيته، فإذا برسولِ عمر جاء يدعوه إليه،

فجاء مُعيقيب، فإذا عمر متغيّرٌ، والدِّرهم في يده،

فقال له: ويحكَ يا معيقيب، أوجدتَ عليَّ في نفسكَ شيئاً؟

فقال: وما ذاكَ يا أمير المؤمنين؟

فقال له: أردتَ أن تُخاصمني أمَّة محمدٍ ﷺ في هذا الدِّرهم!

المالُ العامُّ هو حقُّ جميع النَّاس والاعتداء عليه هو اعتداء على جميع النَّاس،

الاختلاس من المال العامِّ هو سرقةٌ من جيوب كلِّ المواطنين في البلد،

وتخريب الحديقة العامَّة هو ايذاء كلِّ إنسان في البلد،

وإتلاف مقاعد الجامعة، أو المواصلات العامَّة، أو مرافق المؤسسات،

هو إتلافٌ لمصالحِ كلِّ النَّاس وممتلكاتهم وكلُّ واحدٍ منهم له عندك حق!

184

هذا أهون عليك!

في كتاب تنبيه الغافلين للسَمَرقَنديِّ:

أُتيَ عمر بن الخطَّاب بزيتٍ من الشَّام في جِرار،

فجعلَ يقسِمه بين النّاس بالأقداح،

وكلَّما فرغتْ جرَّة مسح ابنه بقيتَها بيده ومسح على رأسه،

فقال له عمر: أرى شعركَ شديدَ الرَّغبة على زيتِ المسلمين،

فأخذ بيده إلى الحجَّام، وحلقَ شعره، وقال له: هذا أهون عليك!

بعض مواقف التَّربية قد تبدو قاسية ولكنَّها تبقى درساً للعمر كلِّه،

تأخَّر عمر بن عبد العزيز عن صلاةِ الجماعة وهو صبيٌّ،

لأنَّ مُربِّيتَه كانت تُرجِّلُ له شعره وهو في المدينة المنوَّرة،

فغضبَ منه أستاذُه رجاء بن حَيْوَة، وراسل أبَاه في الشَّام يُعلمه بالأمر،

فكتب إليه أن احلِقْ له شعره الذي أشغله عن صلاة الجماعة،

موقفُ حزمٍ صنعَ لنا الخليفةَ الخامسَ الذي ملأَ الدُّنيا عدلاً!

185
إلّا مِن نَفسِي!

روى البخاريُّ في صحيحه من حديثِ عبدِ الله بن هاشمٍ قال:
كُنَّا مع النّبيِّ ﷺ وهو آخذٌ بيدِ عمر بن الخطَّاب،
فقالَ له عمرُ: يا رسولَ الله، إنَّك أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلا من نفسي!
فقال له النّبيُّ ﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليكَ من نفسك!
فقال له عمر: فإنَّه الآن واللهِ أنت أحبُّ إليَّ من نفسي،
فقال له النّبيُّ ﷺ: الآن يا عمر!
يُحسَبُ لعمر بن الخطَّاب هذا التَّقدير العالي للذات،
وتقدير الذَّات شيءٌ، والأنانيَّةُ شيءٌ آخر!
كُنْ كبيراً بعينِ نفسِك قبلَ عيون النَّاس،
قدِّرْ الجُهد الذي تقومُ به، وافخَرْ بالعملِ الذي تُنجزُه،
التَّواضعُ لا يعني أن نحتقرَ أنفسَنا فهذه هي المَهانَة لا التَّواضع،
التَّواضع ألّا نتكّبر على النَّاس ولكن دون أن ننسى قيمتنا!

186
العِتابُ أهوَنُ من الفَقْدِ!

في كتابِ الزُّهدِ لأبي داود:

قالَ أبو الدَّرداءِ: معاتبةُ الأخِ أهونُ من فقدِه،

ولا تُطِعْ به واشياً فتكون مثله،

غداً يأتيه الموتُ فيكفيكَ فقدَه،

فكيفَ تبكيه في المماتِ، وفي الحياةِ تركتَ وَصْلَه؟!

من كنتَ تريدُ بقاءَه في حياتكَ فعاتبه، فإنَّ العتابَ مجلاةُ القلوبِ!

اِصفَحْ، وسامِحْ، واعفُ، ولكن قبلها عاتِبْ،

الجروحُ التي لا يتمُّ تنظيفُها لا تلتئمُ!

ومن لا تريدُ بقاءَه فإيَّاك أن تُعاتبه،

العضوُ الملتهبُ الذي لا أملَ في علاجِه يبتره الأطبَّاءُ على الفورِ!

187
لا عِلْمَ لكَ بالرَّجُلِ!

في كتابِ الفوائدِ للخُلديِّ:
قالَ عمرُ بن الخطَّاب لرجلٍ: ما تقولُ في فلان؟
فقالَ: لا بأسَ به يا أميرَ المؤمنين!
فقالَ له عمرُ: هل صحبتَه في سفرٍ؟
فقالَ: لا يا أميرَ المؤمنين!
فقالَ له عمرُ: هل جرتْ بينكَ وبينه خصومةٌ؟
فقالَ: لا يا أميرَ المؤمنين!
فقالَ له عمرُ: فهل ائتمنته على درهمٍ أو دينارٍ؟
فقالَ: لا يا أميرَ المؤمنين!
فقالَ له عمر: لا علمَ لكَ بالرَّجلِ!
قالت العربُ قديماً: يُمتَحنُ الذَّهبُ بالنَّارِ!
فما كان زائفاً ينماعُ، وما كان ذهباً يزدادُ بريقاً!
والمواقفُ امتحانُ النَّاسِ، فلا يُعميكَ بريقهم البعيد.
من لم تجرِّبْه في موقفٍ يكشِفُ الأخلاقَ فأنتَ لا تعرفه!

188
لو كنتُ أحسِنُ الشِّعرَ!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
حين أنشدَ مُتمِّمُ بن نويرة مراثيه في أخيه مالك،
قالَ له عمرُ بن الخطَّابِ: لو كنتُ أحسِنُ الشِّعرَ،
لقلتُ في أخي زيد مثلَ ما قلتَ في أخيك!
فقالَ له مُتمِّمُ: لو أنَّ أخي ماتَ شهيداً كأخيكَ يوم اليمامةِ ما حزنتُ عليه!
فقالَ له عمرُ: ما عزَّاني أحدٌ بمثلِ ما عزَّيتني به!
الفراقُ صعبٌ، ولكننا جميعاً مفارقون نهايةَ المطافِ،
والفقدُ أليمٌ، وفاقِدُ اليومِ هو مفقود الغدِ!
والفقيدُ الذي يخرجُ من هذه الدُّنيا طائعاً لا يُبكى إلا بمقدارِ اللوعةِ،
الذين يستحقُّون البكاءَ فعلاً هم الذين خرجُوا منها ببضاعةٍ مُزجاة!
فلا تأسفنَّ على مؤمنٍ تعرفُ في قرارةِ قلبكَ أنَّه نجا،
الأسفُ يا صاحبِي على الذين تعرفُ أن أسوأ أيَّامهم كان يوم موتِهم!

189

ما علامةُ اللهِ فيمنْ يريدُ؟!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:

قال زيدُ الخيرِ للنَّبيِّ ﷺ:

ما علامةُ اللهِ فيمن يريدُ اللهُ، وعلامته فيمن لا يريدُ؟

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: كيفَ أصبحتَ؟

فقالَ: أصبحتُ أحبُّ الخيرَ وأهلَه ومن يعملُ به،

فإن عملتُ منه بشيءٍ فرحتُ بثوابه، وإن فاتنِي منه شيءٌ حزنتُ عليه!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: هذه علامةُ اللهِ فيمن يريدُ،

ولم أرادكَ بالأخرى لهيَّأكَ لها، ثم لا يُبالي اللهُ في أيِّ وادٍ هلكتَ!

إذا أردتَ أن تعرفَ مقداركَ عند الله فانظُرْ بماذا أشغلكَ!

في أيِّ طريقٍ جعلَ سعيكَ، وبأيِّ شيءٍ جعلَ همّكَ!

تفقّدْ قلبكَ عند المعصيةِ، وعند الطّاعةِ،

من كسرتْه معصيتُه وأسعدتْه طاعتُه، فهو من أهلِ اللهِ،

ومن كان فيها كالذِّئبِ لا يحفلُ من أين ينهشُ فقد هانَ على اللهِ!

190
فَدَعِ النَّاسَ منه!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ سعدِ بن الأخرَمِ، قالَ:

أتيتُ النَّبيَّ ﷺ أُريدُ أن أسأله، فقيلَ لي: هو بعرفة،

فأدركته، فأخذتُ بزمام النّاقة، فصاحَ بي النَّاسُ! فقالَ لهم: دَعُوه!

فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، دُلّني على عملٍ يُقرِّبني من الجنَّةِ، ويُباعدُني من النَّارِ!

فقالَ: تعبدُ الله لا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصَّلاةَ،

وتُؤتي الزَّكاةَ، وتصومُ رمضانَ.

وتحبُّ للنّاسِ ما تُحِبُّ لنفسكَ، وما كرهتَ لنفسِكَ فدَعِ النَّاسَ منه!

الكلمةُ التي تكره أن تسمعَها من غيركَ لا تُسمِعْهَا لغيرِكَ!

والفِعلُ الذي لا تريدُه من غيرِكَ فلا تفعلْهُ مع غيركَ!

تعاملْ مع أعراضِ النَّاسِ كما تحبُّ أن يتعاملُوا مع عرضكَ،

ومع أموالهم كما تحبُّ أن يتعاملُوا مع مالك،

باختصارٍ: قدِّمْ للنَّاسِ الذي تُحبُّ أن يُؤتَى إليكَ!

191
وتجْعَلَ قبرَها في بئرِهَا!

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيهما:
إنَّ أروى بنتَ أويسٍ شكتْ سعيدَ بن زيدٍ إلى أميرِ المدينةِ، وقالتْ: إنَّه ظلمَني أرضي!
فأرسلَ إليه الأميرُ، فقالَ سعيدٌ: أترونِي ظلمتُها وقد سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ:
من ظلمَ شبراً من أرض طُوِّقه يومَ القيامةِ من سبع أرضين!
اللهُمَّ إن كانتْ كاذبةً فلا تُمتْها حتى تُعميَ بصرَها، وتجعلَ قبرَها في بئرها، فلم تمتْ حتى عميَ بصرُها، ووقعتْ في بئرها، فردمُوه عليها وكان قبرَها!
اتَّقِ دعوةَ المظلومِ فإنَّه ليس بينها وبينَ اللهِ حجابٌ، لربما قدرتَ على ضعيفٍ ومضيتَ معتقداً أنَّ الجولةَ انتهتْ، فقامَ هو في الليلِ فسجدَ وبكى وقال: اللهُمَّ إنِّي مغلوبٌ فانتصِرْ!
دعوةُ نوحٍ عليه السَّلام التي أغرقَ اللهُ تعالى لأجلها الأرضَ كلَّها!
عندما نكَّلَ الرشيدُ بالبرامكةِ، قال جعفرُ البرمكيُّ لأبيه وهما في السِّجنِ:
يا أبتِ، بعد الأمرِ والنَّهي، أصارنا الدَّهرُ إلى القيدِ والسِّجنِ!
فقالَ له: يا بُنَي، دعوةُ مظلومٍ سرتْ بليلٍ غفلنا عنها ولم يغفلِ اللهُ عنها!

192

هُمَا المَرْءَانِ يُقتدَى بهما!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ:

قالَ عمرُ بن الخطَّابِ لشيبةَ بن عثمان:

لقد هممتُ ألَّا أدعَ في الكعبةِ صفراءَ ولا بيضاءَ إلا قسمتُها بين النَّاسِ،

فقالَ له شيبةُ: ليس لكَ ذلك، وقد سبقكَ صاحباكَ، ولم يفعَلا!

فقالَ له عمرُ: هما المَرْءَان يُقتدى بهما!

في دينِ اللهِ كُنْ وقَّافاً!

لا يوجدُ دينٌ يحترِمُ العقلَ كما يحترمُه الإسلامُ،

ولكنَّ حدَّ العقلِ ينتهي عند شرعِ اللهِ!

الشَّرعُ قبلَ الرَّأي، والنَّصُّ قبل وُجهةِ النَّظرِ!

ولن يستقيمَ إيمانُ عبدٍ حتى يستقرَّ في قلبِه،

أنَّه لا خيرَ في شيءٍ حرَّمَه اللهُ، ولا شرَّ في شيءٍ أباحَه!

193
لا تَضُرُّ ولا تنفَعُ!

روى التِّرمذيُّ من حديثِ عابسِ بن ربيعةَ قالَ:
رأيتُ عمرَ بن الخطَّابِ يُقبِّلُ الحجرَ الأسودَ ويُخاطبُه:
أعلمُ أنَّكَ حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفَعُ،
ولولا أنِّي رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يُقبِّلكَ، لم أُقبِّلكَ!
نحن نُعظِّمُ ما عظَّمه اللّٰه تعالى ورسولُه ﷺ،
ولكن تعظيمَ هذه الأشياءِ تقديراً وتوقيراً واحتراماً شيءٌ،
والاعتقادُ أنَّها تضرُّ أو تنفعُ من دون اللّٰهِ شيءٌ آخر،
فالأولَى من تمامِ الإيمانِ، والثَّانيةِ من نواقضِه!
الكعبةُ قِبلتُنَا ومهجتُنَا ومهوَى قلوبِناَ، ولكنَّها لا تحمِي!
وزيارةُ النَّبيِّ ﷺ أُمنيتُنَا ولكنَّ قبرَه لا يرزقُ!

194

نِعْمَ المَرْءُ كان!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:

يقولُ سعدُ بن هشامِ بن عامرٍ: سألتُ ابنَ عبَّاسٍ عن وِتْرِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم،

فقالَ: ائْتِ عائشةَ، فإنَّها أعلمُ النَّاس بوترِ النَّبيِّ ﷺ،

فدخلتُ أنا وحكيمُ بن أفلحٍ على عائشة، فقالتْ: من معكَ يا حكيم؟

فقالَ حكيمٌ: معي سعدُ بن هشام!

فقالتْ: هشامُ بن عامرٍ الذي قُتِلَ يومَ أُحدٍ؟

فقالَ: نعم!

فقالتْ: نِعْمَ المَرْءُ كان عامراً!

مدحُ الميِّتِ أمامَ قريبِه الحيِّ يُثلجُ صدرَه، فطيِّبُوا الخواطرَ!

وذمُّ الميِّتِ أمام قريبِه الحيِّ يكسرُ القلبَ، فلا تنبشُوا القبورَ!

أبو جهلٍ فرعونُ هذه الأمَّة، ولكنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لأصحابه:

يأتيكُم عكرمةُ بن أبي جهلٍ مؤمناً مهاجراً فلا تسبُّوا أباه،

فإنَّ سبَّ الميِّتِ يُؤذي الحيَّ، ولا يبلغُ الميِّتَ!

195
ما علَّمْتَه!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
قالَ عبَّادُ بن شُرحبيل: أصابنَا عامُ مجاعةٍ، فأتيتُ المدينةَ، ودخلتُ بستاناً، فأخذتُ سُنبلاً فأكلتُه، ثم حملتُ معي في كسائِي!
فجاءَ صاحبُ البستانِ فضربني، وأخذَ ثوبِي!
فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فأخبرتُهُ بذلك!
فقالَ له: ما علَّمتَه إذ كان جاهلاً، ولا أطعمتَه إذ كان جائعاً!
أفضلُ وقتٍ لتعليمِ النَّاسِ الصَّواب هو عندما يرتكبُون الخطأَ!
العاقلُ يجنحُ للتَّعليم، والمتَهوِّرُ يجنحُ للعِقابِ!
أفضلُ وقتٍ لتعليمِ الولدِ النِّظافةِ هو عندما يكسِرُ قواعدَها،
وأفضلُ وقتٍ لتعليمِه احترامَ أختِه وحمايتها عندما يتشاجرُ معها،
وعليه قِسْ كلَّ أمورِ الحياة!
الغايةُ من التَّربيةِ هي ترسيخُ المفاهيمِ والقيم لا إلحاقُ الأذى!

المرأةُ لا تُمتلَكُ إلا بالحُبِّ

196
سَلِ اللهَ العَافِيَةَ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ العبَّاسِ بن عبدِ المطَّلبِ:

قالَ: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ علِّمني شيئاً أدعُو به!

فقالَ: سَلِ اللهَ العافيَةَ!

ثمَّ أتيتُه مرَّةً أخرى فقلتُ: يا رسولَ اللهِ علِّمني شيئاً أدعُو به!

فقالَ: يا عبَّاسُ، يا عمَّ رسولِ اللهِ، سَلِ اللهَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرة!

إذا سألتَ اللهَ شيئاً فسَلْه إيَّاه مقروناً بالعافيةِ،

المالُ مع المرضِ لا يهنأُ به صاحبُه!

والزَّواجُ مع كثرةِ الخلافِ جحيمٌ لا يُطاق،

والأولادُ مع غيابِ التَّوفيقِ شقاءٌ لا مثيلَ له،

والعملُ مع كثرةِ المناكفات يتلفُ الأعصابَ،

لا شيءَ يجعلنَا نتلذَّذُ بالنِّعمِ إلا العافية، فاللهُمَّ عافيتكَ!

197

كيفَ تصْنَعُونَ بقولِ رسُولِ اللهِ؟!

في السِّيرةِ لابنِ هشام:

جعلَ النَّبيُّ ﷺ يوم أُحدٍ على الجبلِ خمسين من الرُّماةِ،

وجعلَ عليهم عبدَ اللهِ بن جُبيرٍ أميراً، وقالَ لهم:

لا تبرحُوا مَكَانَكُم، وإن رأيتُم الطَّيرَ تخطفُنَا!

فلمَّا انهزمَ المشركون نزلُوا من عندِه ليأخذُوا الغنيمةَ!

فقالَ لهم عبدُ اللهِ بن جُبيرٍ:

كيف تصنعون بقولِ رسولِ اللهِ ﷺ؟!

فمضُوا وتركُوه، فأتاه المشركونَ ومن بقيَ معه، فقتلوهُم!

سبحان من يُؤدِّبُ عبادَه بالهزيمةِ، ويُنقِّي صفوفَ دينِه بالانكسَارِ!

لو انتصرَ المسلمونَ في غزوةِ أُحدٍ بعد مخالفةِ أمرِ النَّبيِّ ﷺ،

لانفرطتْ عُرى هذا الدِّينِ، ومضى كلٌّ برأيه إلى يومِ القيامة،

ولكنَّ هزيمةَ أُحدٍ علَّمتنا أنَّ أبوابَ اللهِ لا تُفتحُ إلا بطاعتهِ!

198
ألا تَأتِي ندْعُو اللّهَ؟!

فـي كتـابِ السِّـيرةِ النَّبويَّـةِ لابـنِ اسـحاقَ مـن كلامِ سـعدِ بـن أبـي وقَّـاص:

قالَ لي عبدُ اللهِ بن جحشٍ يوم أُحدٍ: ألا تأتِي ندعُو اللّهَ؟!

فقلتُ: اللهُمَّ إذا لقيتُ العَدوَّ فلقِّنـي رجلاً شـديداً بأسُـه، فأقتلُـه فيـكَ وآخذُ سلبَه!

فقالَ عبدُ اللهِ: اللهمَّ آمين!

ثمَّ قالَ: اللهُمَّ إذا لقيتُ العَدوَّ فلقِّني رجلاً شديداً بأسُه،

أقاتله فيكَ فيقتلنِي، ويجدعُ أنفي وأذني،

فإذا لقيتُكَ، قلتَ لي: يا عبدَ اللهِ، فيمَ جُدِعَ أنفُكَ وأُذناكَ؟

فأقولُ: فيكَ وفي رسولكَ، فتقولُ لي: صدقتَ!

وكانـتْ دعـوةُ عبـدِ اللهِ خيـراً مـن دعوتـي، رأيتُـه شـهيداً وقـد جُـدِعَ أنفُـه وأذناه!

لا تتعاملْ مع الدُّعاءِ على أنَّه آخرُ الحلولِ وأضعفُها!

لا تقِفْ بحسرةٍ عند الأبوابِ المغلقةِ،

إنَّ للأبوابِ ربًا لديه كلّ المفاتيحِ، ولكنَّه ربٌّ لا يُجرَّب،

ادعُ بيقيـنٍ ثـمّ تأمَّـلِ الدَّهشـة، كلُّ دعـاءِ اسـتجَابَه اللّه كان اليقيـنُ سـابقُه!

199

فإنَّه أندَى صَوْتاً منكَ!

روى التَّرمذيُّ من حديثِ عبدِ اللهِ بن زيدٍ:

وهـو الـذي رأى الأذانَ فـي منامِـه حيـن لـم يعرِفُـوا كيـف يدعـون إلـى الصَّـلاةِ:

قالَ: لمَّا أصبحتُ أتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرتُه بالرُّؤيا،

فقالَ: هذه رؤيا حقٍّ، فقُمْ مع بلال، فإنَّه أندى صوتاً منكَ،

فألقِ عليه ما قيلَ لكَ، وليناد به!

هذا الدِّينُ يضعُ الرَّجلَ المناسِبَ في المكانِ المناسِبِ،

خالدٌ للسَّيفِ، وحسَّانٌ للشِّعر، ومعاذٌ للفقهِ، وأُبَيٌّ للقرآنِ!

مقتلنا اليومَ ليس قلَّة الطَّاقاتِ، نحن منجمٌ للهمَم،

وإنَّما مقتلنا في عدمِ توظيفِ هذه الطَّاقاتِ لتُبدعَ في مجالاتِهَا،

لهذا أنتَ حين تأتي من طرفِ فلانٍ وتكون أصغر من المنصِبِ،

أنتَ لا تسرقُ منصباً ليس لكَ فقط، أنت تهدمُ أمَّةً!

200
إذَا أتاكُمْ كريمَ قومٍ فأكرِمُوه!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
لمَّا جاءَ وفدُ اليمنِ إلى النَّبيِّ ﷺ، كان عنده جلوسٌ أكثرُهم من اليَمن،
فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: يطلعُ عليكم من هذه الثَّنيَّةِ خيرُ ذي يَمَنٍ!
فتمنَّى الجلوسُ جميعاً لو كان الطَّالعُ من أهلِ بيتِه،
فإذا بجرير بن عبدِ اللهِ قد طلعَ حتى سلَّمَ على النَّبيِّ ﷺ،
فبسطَ له رداءَه، وقالَ له: على ذا يا جريرُ فاقعُدْ!
فلما انصرفَ جريرٌ، قالوا: يا رسولَ اللهِ رأينا منكَ مع جريرٍ ما لم نرَ من قبلُ!
فقالَ: نعم، هذا كريمُ قومِه، فإذا أتاكمُ كريمُ قوم فأكرِمُوه!
النَّاسُ من حيثُ الكرامةِ الإنسانيَّةِ والحقوقِ سَواءٌ،
وإكرامُ كريمِ القومِ لا يعني أبداً امتهانَ غيره واحتقارَه،
وإنَّما يعني تكلُّفَ وبذلَ معاملةٍ لا تُبذلُ عادةً لغيره!
بمعنى أنَّكَ أحياناً يكفيكَ أن تقضيَ حاجة إنسانٍ في الطَّريقِ،
والبعضُ لمنزلتِه، أو رتبتِه، من الأدبِ أن تقضيها في بيتِه أو بيتكَ!

201

مَنْ خدعَنَا باللهِ انخدعْنَا له!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
كان عبدُ اللهِ بن عمرَ إذا أُعجبَ بشيءٍ من ماله قرَّبَه للهِ،
وكان رقيقُه قد عرفُوا منه ذلكَ،
وربما نزلَ أحدُهم المسجدَ ليراه ابنُ عمر فيعتقه!
فقالَ له أصحابُه: يا أبا عبدِ الرَّحمنِ، إنَّهم يخدعونَكَ!
فقالَ: من خدعَنَا باللهِ انخدعْنَا له!
لا تدخُلْ في نوايا النَّاسِ، فلا أحدَ يعلمُ ما في القلوبِ إلا الله تعالى!
من كان ظاهرُه الصَّلاحَ قلنا عنه صَالحٌ، ودعونَا له بالثَّباتِ!
ومن كان ظاهرُه الفسادَ قلنا عنه فاسدٌ، ودعونَا له بالتَّوبةِ!
دعْكَ من نوايا النَّاسِ، واشتغِلْ بإصلاحِ نيَّتِكَ أنتَ!
إنَّ الذي يُبحِرُ في نوايا النَّاسِ هو أوَّلُ من يغرَق!

202
ولكنِّي مُؤتمَنٌ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ عبدِ اللهِ بن مسعودٍ قالَ:

كنتُ غلاماً يافعاً أرعَى غنماً لعقبةَ بن أبي معيطٍ،

فأتى النَّبيُّ ﷺ ومعه أبو بكرٍ وقالَ: يا غلام، هل معكَ من لبنٍ؟

فقلتُ: نعم، ولكنِّي مُؤتمَنٌ!

فقال: ائِتِني بشاةٍ لم ينزُ عليها الفحلُ!

فأتيتُه، فجعلَ يمسحُ على ضرعَها، ويدعو حتى أنزلَتْ!

فاحتَلبَ، وسقى أبا بكرٍ، ثم شربَ بعدَه، ثم قالَ للضَّرعِ: اُقلُصْ!

فقلتُ له: علِّمني من هذا الكلام!

فمسحَ على رأسِي وقالَ: إنَّكَ غلامٌ مُعَلَّم!

كان ابنُ مسعودٍ على جاهليَّةٍ وقتَها ولم يرضَ أن يخونَ أمانتَه،

بعضُ الأخلاقِ لا تحتاجُ ديناً، لأنَّها مروءةٌ والمروءَةُ فِطرَة!

ولكن يستحيلُ أن تجدَ خُلقاً حسناً إلا وقد حثَّ الدِّينُ عليه،

لهذا لا تستغربْ إذا رأيتَ غيرَ المسلم على أخلاقٍ،

الغرابةُ كلَّ الغرابةِ أن ترى مسلماً بلا أخلاقٍ!

203

مَنْ يدُلُّ على رَحْلِ خَالد؟

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ عبدِ اللهِ بن أزهر قالَ:

جُرِحَ خالد بن الوليد يوم حُنينٍ،

ولقد رأيتُ النَّبيَّ ﷺ بعدما هزمَ اللهُ الكُفَّارَ، يمشي في المسلمين،

ويقولُ: منْ يدلُّ على رَحْلِ خالدِ بن الوليدِ؟!

حتى دللناه، فأتاه، ونظرَ في جُرحِه؟!

انزلْ من عليائِكَ قليلاً وتواضعْ للنَّاسِ!

إذا مرضَ عندك موظفٌ فزُرْه، فإنَّكَ بهذا تملكُ قلبَه،

وإذا فقدَ مسكينٌ عزيزاً فعزِّه، فإنَّ هذا يجبرُ خاطرَه،

وإذا تغيَّبَ عاملٌ فسلْهُ عن سببِ غيابِه، فهذا يُشعرُه بالاهتمامِ،

صحيحٌ أنَّنا نعملُ لأجلِ اللهِ لا لأجلِ النَّاسِ،

ولكن سبحانَ من جعلَ جبرَ الخواطرِ في شرعِه عبادَةً!

204
وَيَعُودُ مَرْضَانَا!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
لمَّا وليَ العبَّاسُ بن الوليدِ بن عبد الملكِ بن مروان حمصَ،
قال لإشرافِها: يا أهلَ حمصَ، ما لكم لا تذكرون أميراً من أمرائِكم،
كما تذكرون عبدَ الرَّحمنِ بن خالد بن الوليدِ؟
فقالوا: كان يُدنِي شريفنَا، ويغفرُ ذنبنَا، ويجلسُ في أفنيتنَا،
ويمشي في أسواقنَا، ويعودُ مرضانَا، ويشهدُ جنائزنَا، وينصفُ مظلومنَا!
النَّاسُ يحبُّونَ الحاكمَ الذي يعيشُ بينهم،
ويحبُّونَ الوزيرَ الذي يشعرُ بآلامهم،
ويحبُّونَ المديرَ الذي يهتمُّ لمخاوفهم،
الإنسانُ مفطورٌ على حُبِّ أهلِ الرِّياسةِ لا على منازعتِهِم،
فإن كنتَ صاحب منصبٍ وكرهَكَ النَّاسُ،
فراجعْ نفسَكَ أوَّلاً، أنتَ الذي أفسدتَ عليهم فطرتَهم!

205
من سَرَّه أن يُحبَّه اللهُ ورسُولُه!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ عبدِ الرّحمنِ بن أبي قرَّاد قالَ:

توضَّأَ النَّبيُّ ﷺ يوماً، فجعلَ النَّاسُ يتمسَّحون بوضوئِه،

فقالَ لهم: ما حملكُم على ذلك؟

فقالوا: حبُّ اللهِ ورسولِه!

فقالَ: من سرَّه أن يُحبَّه اللهُ ورسولُه فليصدُقْ حَديثَه،

وليُؤدِّ أمانتَه، وليُحسِنْ جوارَ من جاورَه!

محبَّةُ اللهِ لا تُدرَكُ بالأماني وإنَّما بالأعمال!

لا تكذِبْ، فإنَّ الكذبَ قبل أن يكون معصيةً هو من خوارمِ المُروءة،

ولا تخُنْ، فإنَّ الخيانةَ قبل أن تكون إثماً هي من أخلاق الفُجَّارِ،

ولا تُسِئْ جواراً، فإنَّ إساءَة الجوارِ قبل أن تكون معصيةً هي رذيلَة،

إذا أردتَ أن تكونَ حبيباً فكُنْ أدِيباً!

206
أخبرني بأعجب ما رأيت؟

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
إنَّ عبيدَ بن شِبرمة دخلَ على معاوية وهو يومئذٍ خليفة،
فقالَ له معاويةُ: أخبرِني بأعجب ما رأيتَ؟
فقالَ: انتهيتُ إلى قومٍ يدفنون ميِّتاً، فبكيتُ، وتمثّلتُ بهذه الأبيات:

وبينمَا المرءُ في الأحياءِ مغتَبِطٌ   إذْ صارَ ميتاً تُعَفِّيهِ الأعاصيرُ
يبكِي عليه غريبٌ ليسَ يعرفُه   وذو قرابتِه في الحيِّ مسرُورُ!

فقالَ لي رجلٌ من القومِ: أتدري من قائلُ هذه الأبيات؟
فقلتُ: لا!
فقالَ لي: هو واللّهِ صاحبُ هذا القبرِ!
في الدُّنيا حكاياتٌ أغربُ من الخيالِ الذي في الرِّوايَاتِ،
وفيها مواقفُ نُبلٍ قد تعجبُ أن يكونَ في النّاسِ أمثالها،
وفيها مواقفُ خِسَّةٍ تجعلك تستغربُ إلى أيِّ مدىً يمكنُ أن ينحطَّ المرءُ،
ولأنَّ الدُّنيا حكاياتٌ مكررَّةٌ، والنَّاسُ شخصياتٌ منسوخة،
أَكْثِرْ من قراءةِ المُلَحِ والنَّوادرِ والمواقفِ، ستجعلُكَ متهيِّئاً لكلِّ غريبٍ!

207

لو رآنِي أبُو طَالبٍ!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:

كانَ عُبيدةُ بن الحارثِ بن عبدِ المطَّلبِ من أوائلِ من أسلمَ بمكَّة،

وهو أحدُ الثَّلاثةِ الذين بارزُوا يومَ بدرٍ مع حمزةَ وعليٍّ،

فأُصيبَ، وقُطِعَتْ رجلُه، فوضعَ النَّبيُّ ﷺ رأسَه على ركبتِه يواسيه،

فقالَ له: يا رسولَ اللهِ، لو رآنِي أبو طالبٍ لعلمَ أنِّي أحقّ بقولِه منه:

ونُسلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ دونَه ونذهَلُ عن أبنائِنَا والحلائِلُ!

وعادَ مع النَّبيِّ ﷺ من بدرٍ، وتوفيَ حين وصلُوا إلى المدينة!

أبو طالب لم يُقصِّرْ في حمايةِ النَّبيِّ ﷺ،

وإن كان قد قصَّرَ في حقِّ نفسِه فدافعَ عن الحقِّ ولم يكن من أهلِه!

فخُذِ القولَ ودعِ القائلَ، فالحقُّ حقٌّ ولو جاءَ ممن لم يعملْ بهِ!

ثمّ ما منَّا من أحدٍ إلا وقولهُ أحسنُ من فعله،

ذاك أنَّ القولَ أسهل على النَّفسِ من العملِ، أقلّ كلفةً ومؤونةً!

آمَنَ شِعْرُ أميَّةَ بن أبي الصلتِ وكفرَ قلبُه!

208

والإسْلامُ واسِعُ عريضٌ!

فِي المعجَمِ الكبيرِ للطَّبرانيِّ من حديثِ عتَّابِ الضَّبيِّ قالَ:
قلتُ: يا رسولَ اللّه، إنَّ لي أباً شيخاً كبيراً وإخوةً،
فأذهبُ إليهم لعلّهم يُسلمون، فآتيكَ بهم؟
فقالَ لي: إن هم أسلمُوا فهو خيرٌ لهم،
وإن أبوا فإنَّ الإسلامَ واسِعٌ عريضٌ!
إذا هجرتَ المساجدَ فسيعمُرُها غيرُكَ!
وإذا تكاسلتَ عن القرآنِ فسيتلُوه غيرُكَ!
وإذا بخلتَ عن قضَاءِ حوائجِ النَّاسِ فسيقضِيها اللهُ بغيرِكَ!
هذا الدِّينُ باقٍ ومنتصرٌ بكَ أو بغيرِكَ،
وحدكَ الخاسرُ إذا مضتِ القافلةُ إلى اللهِ ولم تكُنْ فيهَا!

209

فعبقَ بي هذا الطيب!

في كتابِ فتحِ الباري شرح صحيح البخاريِّ لابنِ حجرٍ العسقلانيِّ:

تقولُ أمُّ عاصم امرأةُ عُتبة بن فُرْقدٍ السُّلميِّ:
كُنّا عند عُتبة ثلاثُ نسوةٍ نتبارَى في الطِّيبِ،
كلُّ واحدةٍ منَّا تريدُ أن تكون أطيبُ ريحاً من صاحبتَيْها،
وكان عُتبةُ أطيبُ ريحاً منّا، ولم يكن يمسُّ طيباً قط!
فسألتُه عن ذلك، فقالَ: أُصبتُ بالشَّرى على عهدِ النَّبيِّ ﷺ،
فشكوتُ إليه، فتفلَ في يديه، ومسحَ ظهري، فعبقَ بي هذا الطِّيبُ!

تفطرُ قلبي جُمَلُ الصَّحابةِ المتناثرةِ في الأحاديثِ عن النَّبيِّ ﷺ:
فشكوتُ له، فمسحَ على رأسِي، فأدخلني في عباءته،
فتبسَّمَ لي، فوضعَ يدَه على صدرِي، فقالَ لي: هوِّنْ عليكَ!
واللهِ ما فاتنَا من الدُّنيا إلا رؤية النَّبيِّ ﷺ،
ما تبقَّى توافهُ لا يُؤبَهُ لها، وصغائرُ لا يُلتفَتُ إليها!

210
يا عثمانُ، تجوَّزْ في الصَّلاةِ!

روى أحمدُ، وابنُ ماجة من حديثِ عثمانَ بن أبي العاصِ قالَ:
بعثني النَّبيُّ ﷺ إلى ثقيف،
وكانَ آخرُ ما أوصاني به أنَّه قالَ:
يا عثمانُ، تجوَّزْ في الصَّلاةِ، واقدُرِ النَّاسَ بأضعفِهِم،
فإنَّ فيهم الكبيرَ، والضَّعيفَ، وذا الحاجَةِ، والصَّغيرَ!
محاريبُ الإمامةِ ليست لاستعراضِ جمالِ الصَّوتِ،
ومنابرُ الخطابةِ ليست لاستعراضِ عضلاتِ البلاغة،
فإذا صلَّيتَ في النَّاسِ فخفِّفْ فهذه وصيَّةُ نبيّكَ ﷺ،
وإذا خطبتَ فاختصرْ فإنَّ قِصَرَ الخُطبةِ مَئِنَّةٌ من فقهكَ،
الكلامُ الذي لا يُقالُ في عشرِ دقائق لن يُقالَ في ساعة!
فلا تُنفِّرُوا النَّاسَ، ولا تكرِّهوهم في المسَاجِدِ!

لا تُلقِ نفسك
في مواطن الشّهوات معتمداً
على قوّة إيمانك، المرءُ لا يسقطُ مرّةً واحدة
ولكنّه يألفُ شيئاً فشيئاً!

211
إنّا لا نُعيرُهَا فارِغَةً!

في كتابِ الإشرافِ في منازلِ الأشرافِ لابنِ أبي الدُّنيا:
أرسلَ الأشعثُ بن قيسٍ إلى عديٍّ بن حاتمٍ يستعيرُ منه قُدُوراً،
فملأها، وأرسلَها مع الرِّجالِ إليه!
فأرسلَ إليه الأشعثُ يقولُ: إنَّما أردناهَا فارغةً!
فأرسلَ إليه عَديٌّ يقولُ: إنَّا لا نُعيرُها فارغةً!
لا تبذُلْ بعضَ المعروفِ إذا كنتَ قادراً عليه كلَّه،
ولا تتوقفْ عن قضاءِ حوائج النّاسِ في منتصفِ الطَّريقِ،
إنْ كنتَ قادراً على إتمامِهَا،
ثمّةَ موقفٌ واحدٌ يبقَى مع الإنسانِ طوالَ عمرِه،
يذكرُه، يشكرُه، ويُقدِّرُه، ويُحدِّثُ عنه،
عَديٌّ بن حاتمٍ لم يروِ قصَّةَ القُدور، الأشعثُ من رواهَا!

212
إنَّهُنَّ جارَاتٌ!

في كتاب الجامعِ لشُعَبِ الإيمانِ للبيهَقِيِّ:
كان عَدِيٌّ بن حاتم يفتُّ الخبزَ للنملِ،
ويقولُ: إنهنَّ جاراتٌ، ولهُنَّ حقٌّ!
كلُّ إنسانٍ تلتقيه في رحلةِ العمرِ له عليكَ حقٌّ،
القريبُ حقُّه ألَّا يُؤذى فأمِّنْه!
والصَّديقُ حقُّه أن يُعان ولا يوشَى به، فأعِنْه ولا تشِ به،
حتى الغُرباء في المطاراتِ والطُّرقاتِ لهم حقوقٌ،
أن تغُضَّ أبصاركَ عنهم، وتساعدَهُم إن احتاجُوا المساعدةَ،
ما كان اللهُ ليجعلَ للحيواناتِ حقوقاً ثم لا يجعلُ أضعافَهَا للنَّاسِ!

213

من يُبايِعُنِي على الموت؟!

روى الذَّهبيُّ في سِيَرِ أعلامِ النُّبلاءِ:

لمَّا اجترأَ الرُّومُ على المسلمين في اليرموكِ، قال عكرمةُ بن أبي جهلٍ:

قاتلتُ النَّبيَّ ﷺ في كلِّ موطنٍ، وأفِرُّ منكم اليوم!

من يُبايعنِي على الموتِ؟!

فبايعَه على الموتِ أربعمئةٌ من جيشِ المسلمين،

فقاتلَ حتى كثُرتْ فيه الجراحُ، فقالوا له: اتقِّ اللهَ، وأُرفُقْ بنفسِكَ!

فقال: كنتُ أجاهدُ بنفسِي عن اللاتِ والعُزّى، فأبذلُهَا لها،

أأبخلُ بها اليومَ عن اللهِ ورسولِه؟! فقاتلَ حتى قُتلَ شهيداً!

لا تخجلْ بدينِكَ بعد التَّوبةِ فلم تكُنْ تخجل بمعاصِيكَ،

لا تخجلْ بالتزامِكَ وقد كنتَ قبله تمشِي شامخاً،

ولا تخجلِي بحجابِكِ وقد كنتِ قبله تمشين ورأسكِ عالياً،

كلُّ ما بذلناه في معصيةٍ علينا أن نبذلَ أضعافَه في الطَّاعةِ!

214

إنِّي أتصدَّقُ بعرضِي!

في كتاب أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
كان عُلبةُ بن زيدٍ من فقراءِ الأنصار،
وحثَّ النَّبيُّ ﷺ على الصَّدقةِ، فجادَ الصَّحابةُ،
فقامَ عُلبةُ بن زيدٍ فقالَ: ليس عندي ما أتصدَّقُ به،
اللهُمَّ إنِّي أتصدَّقُ بعرضِي على من نالَه من المسلمين!
فلم يقُلِ النَّبيُّ ﷺ شيئاً، ولكنَّه في اليومِ التَّالي،
صعدَ المنبرَ، وقال: أين المتصدِّقُ بعرضِه البارحَة؟!
فقامَ عُلبةُ بن زيدٍ فقالَ: ها أنا يا رسولَ اللّه!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: إنَّ اللّه قد قبِلَ منكَ صدقتكَ!
لا تحمِلْ في قلبكَ حقداً فالقلبُ الحقودُ لا يهنأُ به صاحبُه،
وتعوَّدِ الإعراضَ فليس كلُّ ما يُقالُ يستحقُّ الرَّدَّ،
واعفُ فإنّ اللّه يُحِبُّ العافين عنِ النّاسِ،
لستَ مطالباً أن تُصاحِبَ إذا بلغَ الأذى مبلغَ الرُّوحِ، ولكن سامِحْ ثم فارِق!

215
كيفَ تجِدُ قلبَكَ؟!

في سِيَرِ أعلامِ النُّبلاءِ للإمامِ الذَّهبيِّ:
أخذ المشركون عمَّارَ بن ياسر وعذَّبُوه،
ولم يتركُوه حتى سبَّ النَّبيَّ ﷺ، وذكَرَ آلهتهُم بخيرٍ!
فلَّما أتى عمارٌ النَّبيَّ ﷺ، قالَ له: ما وراءَكَ؟
فقالَ: شرٌّ يا رسولَ اللهِ، ما تركوني حتى نلتُ منكَ وذكرتُ آلهتهم بخيرٍ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: كيفَ تجدُ قلبكَ؟
فقالَ: مطمئناً بالإيمانِ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: فإن عادُوا لكَ فعُدْ لهم!
لهذا تُكرَه الإقامةُ بين ظهرانِي المشركينَ،
لأنَّ المرءَ شاءَ أم أبى سيجدُ كلَّ يوم عقيدتَه على المحكِّ،
ستجاريهِم في مناهجِهِم مرغَماً، وستستمِعُ إلى معتقداتِهم مضطَّراً،
فإن سلمتَ ستخرجُ منها مثخناً،
وإن هلكتَ، وذُبتَ فيهم كالملحِ في الماءِ فقد خسرتَ كلَّ شيءٍ،
الْزَمْ بلادَ المسلمين ما استطعتَ لأنَّه سيأتي يومٌ عليكَ،
تتفقَّدُ فيه قلبكَ ولن تجده يُشبُه الذي أتيتَ به إليهم!

216
أَعتِقْهَا فإنَّها مؤمنَةٌ!

روى مسلمٌ في صحيحِه من حديثِ عُمر بن الحكمِ السُّلميِّ قالَ:

أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ جاريةً ترعى غنماً لي، فجئتُها، ففقدتُ شاةً، فسألتُها عنها، فقالتْ: أكلها الذِّئبُ! فأسِفْتُ عليها، وأنا من بني آدم، فلطمتُ وجهَها! وعليَّ رقبة، أفأعتِقُهَا؟

فقالَ لها النَّبيَّ ﷺ: أينَ اللهُ؟ فقالتْ: في السَّماء!

فقالَ لها: من أنا؟ فقالتْ: أنتَ رسولُ اللهِ!

فقالَ لي النَّبيُّ ﷺ: أعتِقْهَا فهي مسلمةٌ مؤمنةٌ!

مضى زمنُ العِتْقِ، ولكنَّ زمنَ الإحسانِ باقٍ إلى يوم القيامة!

إذا غضبتَ على موظَّفٍ عندكَ فعاجِلْ بتتطيبِ خاطِرِه،

وإذا جرحتِ عاملتكِ المنزلية بكلمةٍ فسارعي بترميمِ كرامتِهَا،

نحن بشرٌ وما منَّا من أحدٍ إلا ويخرجُ عن طورِه،

وكفَّارةُ هذا الإصلاحُ الفوريُّ لما أفسدَه المرءُ،

أما رأيتَ أنَّ موسَى عليه السَّلام حين هدأَ أخذَ الألواحَ التي ألقاهَا!؟

217
تُغيِّبُنِي عنه؟!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
خرجَ عمرُو بن الطُّفيلِ مع النَّبيِّ ﷺ إلى خيبرَ،
فلمَّا وصلُوا أرادَ النَّبيُّ ﷺ أن يبعثَه إلى قومِه للمددِ،
فقالَ له عمرُو: قد نشبَ القتالُ يا رسولَ اللهِ، تُغيِّبنِي عنه؟!
فقالَ له: أما ترضَى أن تكونَ رَسُولَ رسُولِ اللهِ؟!
التَّخلِّي وإلقاءُ المسؤوليةِ عن الأكتاف يقدرُ عليه كلُّ أحدٍ،
أما النُّبلاءُ فلذَّتهُم وطعمُ حياتهِم في قضاياهُم ومبادئهِم!
لا تعِشْ على الهامشِ وأُمَّتُكَ جريحة!
ولا ترضَ بالرَّاحةِ في زمنٍ لا ينجُو فيه إلا من تعِبْ،
وإذا ما نوديَ: من لهذا الدِّينِ يحملهُ؟
فقدِّمْ كتفيكَ، إنَّ نُبلَ الرِّجالِ، إنَّما من نُبلِ قضَايَاهُم!

218
فَإِنْ تـرَكَه فهوَ أَخِي!

في كتابِ الزُّهدِ لأبي داود، وكتابِ شُعَبِ الإيمانِ للبيهقيِّ:
مرَّ أبو الدَّرداءِ على رجلٍ قد أصابَ ذنباً، وكانوا يسبُّونَه!
فقالَ لهم: أرأيتُم لو وجدتمُوه في بئرٍ ألمْ تكونُوا مستخرِجِيهِ؟
قالُوا: بلى.
فقالَ: لا تسبُّوا أخاكم، واحمدُوا اللهَ الذي عافاكُم!
قالُوا: أفلا تُبغضُه؟
قالَ: إنَّما أبغضُ عملَه، فإنْ تركَه فهو أخِي!
إنَّ المعاصِي بلاءٌ كالأمراضِ العضويَّةِ تماماً،
وكما أنَّكَ لا تجلِدُ المريضَ لمرضِه، فلا تجلِدِ العاصِي لمعصيتِه،
خُذْ بيدِه إلى اللهِ، ولا تتركْه وحيداً ليسَ له إلا الشَّيطان صاحباً،
سأل شابٌّ الشيخَ محمد الغزاليِّ: ما حكمُ تاركِ الصَّلاةِ؟
فقالَ له: حكمُه أن تأخذهَ معكَ إلى المسجدِ!

219

يُبَخِّلان عليَّ ابنِي!

في سيرِ أعلامِ النُّبلاءِ للإمامِ الذَّهبيِّ:
كان قيسُ بن سعدِ بن عبادة يحملُ رايةَ الأنصارِ مع النَّبيِّ ﷺ،
فكان يستدينُ ويطعِمُ النّاسَ، ثمَّ يوفِي من مالِ أبيه،
فقالَ أبو بكرٍ وعمرُ: إن تركْنَا هذا الفتى أهلكَ مالَ أبيه!
فأمرا النّاسَ أن لا يأخذوا منه، فعَلِمَ بذلكَ سعدٌ، فأتى النّبيَّ صلى الله عليه وسلم،
وقالَ له: من يعذُرُنِي من أبي بكرٍ وعمر؟ يُبخِّلانِ عليَّ ابنِي!
من يقرأُ هذا الموقف لأوَّلِ مرَّةٍ لن يلفتَه إلا نُبل سعدِ بن عبادة،
وإنَّه واللهِ لموقفٌ يمتلئُ منه المرءُ إعجاباً، ويقفُ له إجلالاً!
ولكنّ قراءةً متأنيَّةً تُظهِرَ لكَ نُبلَ أبي بكرٍ وعمرَ،
ثمَّة خُلُقٌ رفيعٌ اسمه: الاهتمامُ بمصالحِ الآخرين!
من لا يتعبُ في جمعِ المالِ يسهلُ عليه إنفاقه،
ومن لا يتزّوجُ من كسبِ يدِهِ يهونُ عندَه الطّلاقُ،
وقد خشيا على مالِ سعدٍ وإن كان إنفاقُه في الصَّدقَةِ!

220
يُنفِقِ اللّه عليكَ!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:

قالَ قيسُ بن سَلَع: شكاني إخوتي إلى النَّبيِّ ﷺ!

فقالوا: إنَّه بذَّرَ مالَه، وتبسَّطَ فيه!

فقالَ لي: يا قيسُ، ما شأنُ إخوتكَ يشكونكَ، يزعمُون أنَّكَ تُبذِّرُ مالكَ؟!

فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، إنِّي آخذُ نصيبي من التَّمرِ،

فأنفقُه في سبيلِ اللّهِ على من صَحِبَني!

فضربَ النَّبيُّ ﷺ صدري وقالَ: أنفقْ قيسُ يُنفِقِ اللّهُ عليكَ!

فكنتُ بعد ذلكَ أكثر أهلِ بيتي مالاً!

من لم تكُنِ الفضيلةُ فيه فسيرَاها رذيلةً في غيرِه!

البخيلُ يرى الكريمَ مُبذِّراً، والجبانُ يرى الشُّجاعَ متهوِّراً!

المتفلِّتُ يرى الملتزمَ متزمّتاً، والسَّافرة ترى المنتقبةَ مُعقَّدةً!

العاقُّ يرى البارَّ ضعيفاً، والناشزُ ترى مطيعةَ زوجها بلا شخصيّةٍ!

للأسفِ إنَّ النّاسَ أحياناً يتحدَّثون عن نقصٍ هو بالإساسِ فيهم!

221
وَيُسْتَغْنَى بِهِ عن اللَّئِيمِ!

روى الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ:

لمَّا حضرتْ قيسُ بن عاصمٍ الوفاةُ، دعا بينِه فقالَ: يا بَنِيَّ احفظُوا عنِّي،

عليكُمْ بإصلاحِ المالِ، فإنَّه منبهةٌ للكريمِ، ويُستغنى به عن اللَّئيمِ!

وإياكم ومسألةَ النَّاسِ، فإنَّها آخر كسبِ المرءِ،

ولا تقيمُوا عليَّ نائحةً، فإنِّي سمعتُ النَّبيَّ ﷺ ينهَى عن النّائحةِ!

اِجْمَعِ المالَ فإنَّه يصونُ ماءَ الوجهِ عن الحاجة إلى النَّاسِ!

ولكن كُنْ دوماً مالكاً له ولا تجعلْ نفسكَ مملوكاً له!

الزُّهدُ ليس ألَّا يكونَ عندكَ مالٌ، فهذا هو الفقرُ،

الزُّهدُ أن يكونَ عندكَ مال فتضعَهُ تحت قدميكَ لا فوقَ رأسِكَ!

أبو بكرٍ كان زاهداً وهو من أكثرِ النَّاسِ مالاً،

الزُّهدُ أن يكونَ المالُ في جيبكَ لا في قلبِكَ!

222

فاكْسِرْهُ على صَخْرَةٍ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ محمَّد بن مسلمَة قالَ:

أعطانِي رسولُ اللهِ ﷺ سيفاً، وقالَ لي: قاتِلْ به المشركين،
فإذا اختلفَ المسلمون بينهم فاكسِرْه على صخرةٍ،
ثمَّ كُنْ حِلْساً من أحلاسِ بيتك!
إذا كان صراعاً بين الحقِّ والباطلِ فإيَّاكَ أن تكونَ على الحيادِ،
إنَّ الحيادَ وقتها وقوفٌ معَ الباطلِ!
أمَّا إذا اختلفَ المسلمون فيما بينهم فالشُّجاعُ وقتها،
هو الجبانُ عن الخوضِ فيها!
وإنك لو أتيتَ اللهَ تعالى بذنوبٍ تبلغُ ما بين السَّماءِ والأرض،
أهون من أن تأتيهِ بدمِ مسلمٍ واحدٍ!

223
إلا حرَّمَ اللهُ عليه الجنَّةَ!

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيهِمَا:
لمَّا مرضَ معقلُ بن يسارٍ مرضَه الذي مات فيه،
دخلَ عليه عُبيدُ اللهِ بن زيادٍ يعودُه، فقالَ له معقلُ:
إنِّي مُحدِّثُكَ حديثاً لو علمتُ لي حياة ما حدَّثتُكَ،
إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:
ما من عبدٍ يسترعيه اللهُ رعيَّةً،
يموتُ يومَ يموتُ غاشًا لرعيَّتِه، إلا حرَّمَ اللهُ عليه الجنَّةَ!
كلُّ صاحبِ مسؤوليَّةٍ هو راعٍ من رئيسِ الدَّولةِ إلى ربِّ البيتِ!
فإذا سكتَّ عن لبسِ زوجتِكَ الخادشِ للحياءِ فقد غششْتَها،
وإذا تساهلتَ في حجابِ ابنتكَ فقد غششْتَها،
وإذا غضضتَ الطَّرفَ عن تركِ ابنكَ للصَّلاةِ فقد غششْتَه،
وإذا زوَّجتَ ابنتكَ لمن يدفعُ أكثر لا لصاحبِ الخُلقِ فقد غششْتَها،
الحُبُّ الحقيقيُّ هو أن تخافَ على أحبابكَ من النَّارِ!

224
لأَصْدُقَه مَيْتاً!

في كتابِ أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
بكى النَّاسُ على رسولِ اللهِ ﷺ حين ماتَ،
وقالوا: لوددْنَا أنَّا متنا قبلَه، نخشَى أن نُفتنَ بعده!
فقالَ معنُ بن عَدِيٍّ: لكنِّي واللهِ ما أحبُّ أن أموتَ قبله،
لأصْدُقَه ميتاً كما صدقتُه حيًّا!
إن فاتكَ أن تمشي مع النَّبيِّ ﷺ في طريقِ الهجرةِ،
فقد تركَ لكَ الدِّين الذي لأجلِه كانتِ الهجرةُ، فالتزِمْ به!
وإن فاتكَ أن ترى وجهَه، فهذه سنَّتُه بين يديكَ، فاعمَلْ بها،
ليس شيئاً سهلاً أن تُؤمنَ برجلٍ لم ترَه،
وليس سهلاً أن تُصدِّقَ رجلاً لم تسمعَ منه،
ولكنَّ الله منَّ عليكَ أن تُؤمن بالنَّبيِّ ﷺ وتُصدِّقه،
فحافظْ على هذا الدّين اعتقاداً وسلوكاً فالمرءُ يوم القيامةِ مع من أحبّ

225
وقَوْمِي حبسُونِي عنهَا!

في كتابِ الإصابةِ في تمييزِ الصَّحابةِ لابنِ حجرٍ:
أسلمَ نُعيمُ بن عبدِ اللهِ النَّخام قديماً في مكَّة وكان يكتمُ إسلامه،
ولمَّا أرادَ الهجرةَ منعَه قومُه بني عديٍّ لأنَّه كان ينفقُ على أيتامِهم،
فقالوا: أقِمْ عندنا على أيِّ دينٍ شئتَ، لا يعترضنَّكَ أحدٌ!
فتأخرتْ هجرتُه إلى عام الحُديبيةِ، وجاءَ المدينةَ،
فاعتنقَه النَّبيُّ ﷺ وقبَّله وقالَ له: قومُكَ خيرٌ من قومِي!
فقالَ له: بل قومُكَ خيرٌ يا رسولَ اللهِ!
فقالَ النَّبيُّ ﷺ: قومِي أخرجُونِي وقومُكَ أقرُّوكَ!
فقالَ له نُعيمُ: قومُكَ أخرجوكَ إلى الهجرةِ، وقومِي حبسونِي عنها!
هناكَ جروحٌ سوفَ تبقَى تنزُّ إلى الأبد،
وهناكَ خذلانٌ لن يُرمِّمه أيُّ شيءٍ في الدُّنيا،
وهناكَ مرارةٌ سيبقى المرءُ يتجرَّعُها ما بقيَ حيًّا،
وإنَّ بعضَ الكلام ضمَّادٌ ككلام نُعيم بن عبدَ الله النَّخام،
فإذا فتحَ لكَ أحدٌ جرحَه فضمِّدْه له ولا ترشَّ عليه مِلْحاً!

اكسِرْ هذه النَّفسَ قليلاً
فإن خطرَ تعاظمها يضرّكَ
أكثر مما يضرُّ النَّاسَ!

226
هذا النِّكَاحُ لا السِّفَاح!

في كتابِ الإصابةِ في تمييزِ الصَّحابةِ لابن حجرٍ:
زوَّجَ هبَّارُ بن الأسودِ ابنتَه فضربَ في عرسها بالدُّفِّ،
فسمعَ النَّبيُّ ﷺ ذلكَ، فقالَ: ما هذا؟
فقالوا: زوَّجَ هبَّارٌ ابنتَه،
فقالَ: هذا النِّكاحُ لا السِّفاح!
الزَّواجُ يُشهَرُ، والزِّفافُ يُقامُ، والحفلُ يُدعَى إليه،
افرحُوا ولكن برضى اللهِ وشرعِه،
لا تبدؤُوا رحلةَ الحلالِ بحفلٍ فيه الكثيرُ من الحرامِ،
ما الدَّاعِي إلى الحفلِ المختلطِ تهونُ على الرَّجلِ امرأتَهُ فيه،
وتهونُ هي على نفسِها فترقصُ أمامَ هذا وذاك،
بل وأعجَب ما يُبرِّرُ به النّاسُ هذا الحرام قولهم: العُمرُ مرّةً!
لأنَّه مرَّة فيجبُ أن يُعاشَ برضى اللهِ فليسَ هناكَ فرصةٌ ثانيةٌ!

227

وأرَى الفِعلَ فعلَ آمنٍ!

في كتاب أُسدِ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ لابنِ الأثيرِ:
اجتمعَ ناسٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ عند ابنَ عبّاسٍ،
فتذاكرُوا الجنّةَ والنّارَ، فرقُّوا وخشعُوا،
وواقدُ بن الحارثِ ساكتٌ، فقالُوا له: يا أبا الحارثِ ألا تتكلم؟
فقالَ: لقد تكلمتُم وكفيتُم!
فقالوا: تكلَّمْ، لعمرِنَا ما أنت بأصغرِنَا سنًّا!
فقالَ: أرى القولَ قولَ خائفٍ، والفعلَ فعلَ آمنٍ!
هذا قولُ واقدٍ في بعضِ الصّحابةِ وكلُّهم خيرٌ منَّا،
فتراه ماذا يقولُ لو رآنا نحن؟!
مأساتنا جميعاً هي الفارقُ الشّاسعُ بين ما نقولُ ونعملُ،
كلُّنا إذا ذكرْنَا القبرَ والموتَ خشعْنَا ورقَّ حالنا،
ولكن إذا انفضَّ المجلسُ وانقضتِ الجنازةُ،
عملنا عملَ الذي هو على يقينٍ أنه لن يموتَ أبداً!
مشكلتُنا جميعاً أننا نعرفُ أكثرَ بكثيرٍ ممَّا نعملُ!

228
أَقِمْ على أُمِّكَ!

في كتابِ الإصابةِ في تمييز الصَّحابةِ لابنِ حجرٍ:

لمّا همَّ النَّبيُّ ﷺ بالخروجِ إلى بدرٍ عزمَ أبو أُمامة على الخروج معه،

فقالَ له خالُه أبو بردة: أقِمْ على أُمِّكَ!

فقالَ له أبو أُمامة: بلْ أنتَ أَقِمْ على أُختكَ!

فذكرُوا ذلك للنَّبيِّ ﷺ فأمرَ أبا أمامة أن يبقَى عند أمِّه!

وخرجَ أبو بردة مع النَّبيِّ ﷺ إلى بدرٍ!

أنتَ المطَالبُ ببرِّ أمِّكَ قبلَ إخوتِها،

وأنتِ المطالبةُ ببرِّ أبويكِ قبل زوجةِ أخيكِ،

الأبوان ليسا حملاً ثقيلاً نتقاذفه بيننَا،

وإنَّما بابٌ مِن أبوابِ الجنَّةِ قد فتحَه اللهُ لنا،

فإذا منَّ اللهُ عليكَ بهذه العبادة فلا تُفرّطْ فيها!

229
فأخْلَفَنِي اللهُ خيراً منه!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ أمِّ سلمة قالتْ:
حدَّثنا أبو سلمة أن النّبيَّ ﷺ قالَ:
إذا أصابتْ أحدَكُم مصيبةٌ فليقُلْ: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون،
اللهمَّ عندكَ أحتسبُ مصيبتي، فأجرنِي فيها، واخلفنِي خيراً منها!
فلمَّا ماتَ أبو سلمة، قُلتُها ...
فأخلفنِي اللهُ خيراً من أبي سلمة، أخلفنِي رسولَ اللهِ ﷺ!
ردِّدْ هذا الدُّعاءَ عند كلِّ فَقْدِ حبيبٍ، وهجرانِ صديقٍ، وخسارةِ وظيفةٍ،
أحياناً يزيلُ اللهُ الجميلَ من طريقكَ ليعطيكَ الأجملَ،
وأحياناً يزيلُ عنكَ الشَّرَّ بخسارةِ أشياء لا خير لكَ فيها!
الأيَّامُ ضِمَادٌ يداوينَا بها اللهُ، ولعلَّ أجملَ أيامكَ لم يأتِ بعد،
موسى عليه السَّلام الذي شقَّ البحرَ بعصاه،
كان في يوم من الأيَّام رضيعاً في صندوقٍ تتقاذفُه المياهُ!
خيرُ اللهِ قادِمٌ، فأحسِنِ الظَّنَّ باللهِ!

230

بَايِعْنِي ولا أعودُ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ أبي شهمٍ قالَ:
مررتُ على جاريةٍ في المدينةِ فأهويتُ بيدي على خاصرَتِها،
فلمَّا كان الغدُ أتى النَّاسُ إلى النَّبيِّ ﷺ يُبايعونه،
فأتيتُه، فبسطتُ يدي إليه لأبايعَه،
فقبضَ يدَه، وقالَ لي: أنتَ صاحبُ الجبذةِ؟
فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، بايعنِي ولا أعودُ!
فقالَ: نعم إذاً!
الصَّاحبُ ساحِبٌ، فاختَرْ صُحبتَكَ بعنايةٍ!
والصَّاحبُ الذي فيه عيبُ أخلاقٍ يُعيبُكَ فاترُكْه،
بالطَّبعِ لا أحدَ منَّا كاملٌ، ولكن هناك فرقٌ بين عيبٍ وعيبٍ،
خانةُ المعارفِ تتسعُ للملايين، أمَّا خانةُ الأصدقاءِ للقلَّة!
وإنَّ المرءَ يحتاجُ من يأخذُ بيده إلى اللهِ لا إلى من يُبعدهُ عنه!
طولُ العشرةِ تُؤدِّي إلى تسرُّبِ الأخلاقِ، فانجُ بنفسكَ من صحبةِ السُّوءِ!

231

خرجَ جبريلُ من عندِي!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ أبي طلحة قالَ:
دخلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ فرأيتُ من سروره،
ما لم أرَه على مثل تلك الحالِ، فقلتُ:
يا رسولَ اللهِ ما رأيتُكَ على مثلِ هذه الحالِ أبداً؟
فقالَ: وما يمنعنِي يا أبا طلحة، قد خرجَ جبريلُ من عندي آنفاً،
وأتانِي ببشارة من ربي عزَّ وجلَّ: إنَّ الله بعثنِي إليك مُبشّراً،
أنَّه ليس من أُمَّتكَ يُصلِّي عليكَ صلاةً،
إلَّا صلى اللهُ عزَّ وجلَّ وملائكتُه عليه عشراً!
إن لم يكن للصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ إلا هذه لكفَى وزادَ!
ولكن بكثرةِ الصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ:
تُقضَى الحوائجُ، وتزولُ الهمومُ، وتُغفَرُ الذُّنوبُ، وتنحلُّ العُقدُ،
وتُفتَحُ المغاليقُ، وتتيسَّرُ المعاسيرُ، وتتحقّقُ الأمنياتُ!

232
إيّاكِ وما يسُوءُ الأُذُنَ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ:
خرجَ أبو الغاديةِ، وأمُّه، وحبيبُ بن الحارثِ،
مهاجرينَ إلى النَّبيِّ ﷺ فأسلَمُوا،
فقالتْ أمُّ أبي الغادية: يا رسولَ اللهِ، أوصِنِي!
فقالَ لها: إيَّاكِ وما يسوءُ الأُذُنَ!
الكلامُ الجارحُ الذي تقولُه للنّاسِ يسوءُ الأُذنَ، فلا تقلْهُ،
والغيبةُ تسوءُ الأُذنَ، فلا تغتبْ،
والجَزَعُ وتخويفِ النَّاسِ من الغدِ يسوءُ الأُذنَ، فلا تتشاءمْ!
والسَّخطُ على قَدَرِ اللهِ والتَّشكِي يسوءُ الأُذنَ، فارضَ!

233

ما لمْ تكذِبْ بالقَدَرِ!

روى البخاريُّ من حديثِ عمرُوِ بن أبي سفيانَ قالَ:

كنَّا عند مروان بن الحكَم، فجاءَ أبو موسى الحكميِّ صاحبُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم،

فقالَ له مروان: هل كان ذِكرُ القدَرِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ؟

فقالَ له: قالَ النَّبيُّ ﷺ: لا تزالُ هذه الأمَّةُ متمسِّكة بما هي فيه،

ما لم تكذِبْ بالقدَرِ!

لن يكمَلَ إيمانُكَ، ويستريحَ قلبُكَ حتى تتيقنَّ أن:

كلَّ شيءٍ فاتكَ لم يكن لكَ ولم تكُنْ له،

ولو جاءَ الإنسُ والجنُّ والملائكةُ معكَ ظهيراً فلم تكُنْ لتنالَه!

وكلَّ شيءٍ أخذتَه كان لكَ منذ البدايةِ،

ولو جاءت الدُّنيا كلها ما كانت لتمنعه عنكَ،

كلُّ ضربةٍ أصابتكَ لم يكُنْ بالإمكانِ تفَادِيها،

وكلُّ فراقٍ وقعَ لم يكن بالإمكانِ تأجيلُه،

نحن في هذه الحياة لا نمشي إلا في دروبِ أقدارِنَا،

والسَّعيدُ من فهِمَ، والأسعدُ من رضِيَ!

234
إلَّا أتاكَ اللّٰهُ خَيرًا منه!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ أبي قتادة وأبي الدَّهماءِ قالا:

أتينَا على رجلٍ من أهلِ الباديةِ، فقالَ:
أخذَ رسولُ اللّٰهِ ﷺ بيدِي، فجعلَ يُعلّمنِي مما علَّمه اللّٰهُ تعالى،
فكانَ ما حفظتُه أنَّه قالَ: إنَّكَ لا تدعُ شيئاً اتِّقاءَ اللّٰهِ،
إلا أتاكَ اللّٰهُ خيراً منه!
كلُّ شيءٍ تركتَه للّٰهِ سيُعطيكَ اللّٰهُ أجمل منه حلالاً!
الشّهوةُ الحرامُ التي تركتَها للّٰهِ ستأخذُ بالحلالِ ألذّ منها!
والمالُ الحرامُ الذي تركتَه للّٰهِ ستأخذُ بالحلالِ خيراً منه!
والانتقامُ الحرامُ الذي تتركه للّٰهِ ستأخذ بالحلال عزًّا أجملَ منه!
لا تُعاملِ اللّٰهَ بالتَّجريبِ، ولكن عامله باليقينِ،
أترُكْ للّٰهِ متيقّناً من العوض، وهو واللّٰهِ أتيكَ لا محالة،
هذا وعدُ اللّٰهِ على لسان نبيِّه ﷺ ولا أحدَ أوفى من اللّٰهِ!

235

فلا بأسَ أن ينظرَ إليها!

روى أحمدُ، والتِّرمذيُّ، وابنُ ماجة، من حديثِ سهْلِ بن حثمة قالَ:

رأيتُ محمَّدَ بن مسلمةَ يُطارد امرأةً ببصرِه،
فقلتُ: أتفعلُ هذا وأنتَ صاحبُ رسولِ الله ﷺ؟
فقالَ: نعم، قالَ رسولُ الله ﷺ: إذا ألقَى اللهُ عزَّ وجلَّ،
في قلبِ رجلٍ خطبةَ امرأةٍ فلا بأسَ أن ينظرَ إليها!
هذا معناه أنَّه لا يجوزُ النَّظرُ إليها لغيرِ الخطبةِ،
وكذلك تحفظُ المرأةُ بصرَها كما يحفظُه الرَّجلُ وهي بهذا أولى منه!
والنَّظرُ سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس،
رُبَّ نظرةٍ أجَّجتْ شهوةً استعرتْ في القلبِ عُمْراً،
ورُبَّ نظرةٍ أفسدتْ على المرءِ الاستمتاعَ بما بين يديه،
أسوأُ ما في إطلاقِ البصرِ ليس ما يُكتب في الصَّحيفةِ،
الاستغفارُ يمحو كلَّ شيءٍ بكرمِ ربِّنا،
أسوأُ ما في إطلاقِ البصرِ هو أثرُه في القلبِ!

236
الآنَ أفعَلُ!

روى البُخاريُّ في صحيحه من حديثِ معقل بن يسَارٍ قالَ:
كنتُ زوَّجتُ أختاً لي من رجلٍ فطلّقهَا،
حتى إذا انقضتْ عدَّتُها جاء يخطبها، فقلتُ له:
زوَّجتُكَ، وأكرمتُكَ، وأفرشتُكَ، فطلقتها، ثم جئتَ تخطبها؟
لا واللهِ لا تعودُ إليها أبداً!
وكان رجلاً لا بأسَ به، وكانت أختي تريدُ أن ترجع إليه!
وأنزلَ اللهُ تعالى قوله: « فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ»!
فقلتُ: الآن أفعلُ يا رسولَ اللهِ، فزوَّجتُها إيَّاه!
الغضبُ للأختِ أو البنتِ فطرةٌ ولا شيءَ فيه،
ولكن في الزَّواج تحكيم العقلِ أفضل من الانسياقِ إلى العاطفةِ،
الطَّلاقُ وإن كان حلالاً إلَّا أنَّ نتائجَه وخيمةٌ على الفردِ والمجتمعِ،
فلا تقِفْ في وجهِ صُلْحٍ، ولا تُعانِدْ عودةَ المياهِ إلى مجاريها،
ما من بيتٍ إلا وفيه مشكلاتٌ، وما من زوجين إلا ويحدثُ بينهما،
فلا تُساهمْ في هدمِ بيتٍ يمكن إصلاحُه!

237

كانتْ تعملُ بيدِهَا وتتصدَّقُ!

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحهما من حديث عائشة قالتْ:
قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أسرعكُنَّ لحوقاً بي أطولكُنَّ يداً!
فكنَّا نتطاولُ أيُّنا أطولُ يداً،
فكانتْ زينبُ أطولنا يداً لأنها كانتْ تعملُ بيدهَا وتتصدَّق!
كُلُّهنَّ للمؤمنين أُمٌّ، وللنَّبيِّ ﷺ عِرضٌ، وحبهُنَّ عبادة!
ولكنَّ زينبَ بنت جحشٍ سبقتْهُنَّ في الصَّدقة،
ذاكَ أنها كانتْ تعملُ في مهنةٍ لها، وتكسبُ، وتتصدّق!
فإن كان لكِ وظيفةٌ وراتبٌ فتصدَّقي فهي قفزةٌ تسبقين بها،
وإن لم يكن لكِ فمن مال زوجكِ برضاه،
البيتُ الذي لا يُنفِقُ على الفقيرِ ينفِقُ على الطَّبيبِ،
والمركبُ الذي ليس فيه شيءٌ للهِ يغرق!

238
قدْ حَلَلْتِ!

روى الإمامُ أحمدُ في المسندِ من حديثِ أمِّ سلمة قالتْ:
ولدتْ سُبيعةُ الأسلميَّةُ بعد وفاة زوجها بنصفِ شهرٍ،
فخطبهَا رجلان أحدُهما شابٌّ، والآخر شيخٌ، فمالتْ إلى الشّابِّ،
فقالَ الشَّيخُ: لم تحلِّي بعد!
وكان أهلها غُيَّباً، ورجا إذا جاءَ أهلها أن يُؤْثروه بها،
فجاءتْ إلى النَّبيِّ ﷺ تسأله،
فقالَ لها: قد حَللتِ فانكحِي من شئتِ!
زواجُ المرأةِ بعد زوجِها مسألة تخصُّها ولا علاقةَ لها بالوفاءِ،
وزواجُ الرَّجلِ بعد زوجتِه مسألة تخصُّه ولا علاقةَ لها بالوفاء،
من أرادَ أن يعيشَ على ذكرى شريكِ عمره الرَّاحلِ فهذا شأنه،
ومن أرادَ أن يتزوَّج فهذا شأنه أيضاً،
ليس من حقِّ أحد أن يدفنَ أحداً وهو على قيدِ الحياة،
كلُّ شيءٍ أحلَّه اللَّه تعالى فليسَ عيباً،
الشَّرعُ حُجّةٌ على العاداتِ والتَّقاليدِ، وليستْ هي التي حُجَّة على الشَّرعِ!

239
فأعْجَبنِي شَأنُها!

روى مسلمٌ في صحيحه عن عائشة أمِّ المؤمنين أنَّها قالتْ:
جاءتني مسكينةٌ تحملُ ابنتين لها، فأعطيتُها ثلاثَ تَمْرات،
فأعطتْ كلَّ واحدةٍ منهما تمرةً، ورفعتْ إلى فمها تمرةً لتأكلها،
فسألتْهَا إيَّاها ابنتاها، فشقَّتِ التمرةَ بينهما!
فأعجبني شأنُها، فذكرتُ ذلك إلى رسولِ الله ﷺ،
فقال: إنَّ الله قد أوجبَ لها بها الجنَّة!
أَشِدْ بالمواقفِ الجميلة التي تصدُرُ عن النَّاسِ،
وأشِعْ التّصرُّفاتِ النبيلة التي تراها،
أَخبِرِ النَّاسَ أن الدُّنيا ما زالتْ بخيرٍ،
لماذا علينا أن نُسلِّطَ الضوءَ على الأفعالِ القبيحةِ فقط؟!
هناك الكثيرُ من الجمالِ يجب ألَّا يبقى مخبوءاً!

240

اِستوِ يا سواد!

روى ابن هشام في السِّيرة، وابن الأثير في أُسد الغابة:
عدَّلَ رسول الله ﷺ صفوف أصحابه يوم بدر
وفي يده عودٌ، فمرَّ بسواد بن غزية، وهو خارج من الصَّف،
فوكزه بالعود في بطنه، وقال له: اِستوِ يا سواد!
فقال سواد: أوجعتني يا رسول الله، فأقِدْني أي اجعلني اقتصُّ!
فكشف النبيُّ ﷺ عن بطنه وقال له: استَقِدْ يا سواد!
فاعتنقه سواد وقبَّلَ بطنه!
فقال له النّبيُّ ﷺ: ما حملكَ على هذا يا سواد؟
فقال: يا رسول الله، لقد حضرَ ما ترى، فأردتُ أن يكون آخر العهد أن يمسَّ جلدي جلدك!
إن فاتك أن تكون قريباً من النّبي ﷺ بجسده،
فبإمكانك أن تكون قريباً منه بشريعته!
وإن لم يكن بإمكانك أن يكون آخر عهدكَ أن تكون على سُنَّته
إذا تلاقت الأرواح والقلوب لا يضرها نأي الأجساد فعوضها على الحوض!

أشرسُ أعدائك ليس هو أقوى
منافسيك، أشرسُ أعدائكَ هذه
النّفسُ التي بين جبينكَ!



241
حتى يُشرِكَ بكَلْبِه!

في كتاب فتح الباري على شرح صحيح البخاريٌّ لابن حجر:

قال ابنُ عبَّاس: إنَّ أحدَهم يُشرِك، حتَّى يُشرِكَ بكَلْبِه،

فيقول: لولا الكلبُ لسُرقنا الليلة!

إيَّاكَ أن تتعلَّق بالأسباب تعلُّقاً يُنسيك أنَّ لها ربًّا!

وأنَّها واقعةٌ في حكمِه، وتحت مشيئته، وأنَّه هو سبحانه من سبَّبَها،

نشكرُ الطَّبيبَ على علاجِه ولكن نتذكَّر أنَّ الشَّافي هو الله،

نتمسَّكُ بالعمل الذي يدُّر علينا دخلاً ولكن نتذكَّر أنَّ الرَّزَّاق هو الله،

نحتاطُ ونجعلُ لنا باباً وسوراً ولكن نتذكَّر أنَّ الحامي هو الله،

الدَّواء لا يشفي، والعمل لا يرزُقُ، والرَّصاصة لا تقتل،

كلُّها أسبابٌ محكومةٌ لا حاكمة وسبحان من غلَّف قضاءَه بالأسباب!

242

ميّزَ اللّٰه أوليَاءَهُ!

في كتاب فتح الباري على شرح صحيح البخاريّ لابن حجر:
قال حذيفة بن اليمان: إذا عمَّتِ الفتنة، ميّزَ الله أولياءه!
النّاسُ في الرَّخاء سواء فإذا جاءت المِحنُ تبايَنوا!
كلُّ العلماء سواء حتَّى يُصبِحَ لكلمةِ الحقِّ ثمنٌ وتداعياتٌ،
وكلُّ الكلام عن الصَّبر سواءٌ حتَّى تأتيَ مواقفُ الصَّبر،
وكلُّ العبارات عن الرضى عن قدر الله سواءٌ حتَّى يقعَ الاختبارُ،
ما أسهل الحديثَ عن الشَّجاعة وأنت بعيدٌ عن ميدانِ المعركة،
وما أسهل الحديثَ عن التَّواضعِ ما لم يبتليك الله بالشُّهرة،
وما أسهل الحديث عن الأمانة ما لم يكن لك منصبٌ وأمانات،
المواقِف غِربالُ النَّاس، منهم من يسقط، ومنهم من يَثبُت!

243
يُجزَى بِهِ وَلَدُ الوَلَدِ!

في كتابِ مكارمِ الأخلاقِ للخرائطيِّ:
قال عبدُ اللهِ بن عبَّاسٍ: إنَّ المعروفَ ليُجزى به وَلَدُ الوَلَدِ!
لا أحدَ أوفى من اللهِ، لا أحد،
وقد بلغَ من وفائه سبحانه أنَّه قد أرسل الخضر وموسى عليهما السَّلام،
ليُقيما جدارَ يتيمَيْنِ كان أبوهما صالحاً،
وكثير من المفسِّرينَ أنَّ أباهما في الآية جدُّهما السَّابع!
أمِّنوا على أولادكم في بنك تقوى الله فهو خيرٌ حافظاً،
كان عبدُ الله بن مسعودٍ يُقيم الليلَ وابنُه نائمٌ بقربه،
يُصلِّي، ويقول: هذا لأجلك يا بُنيَّ!

244

لِئَلَّا يَرَوا امرأَتَهُ!

في تفسير القرطبيِّ:

قال ابن عبَّاسٍ: كان موسى عليه السَّلام رجُلاً غيوراً،

يصحبُ النّاس بالليل، ويفارقهم بالنَّهار، لئَلّا يروا امرأته!

الغيرةُ على العرضِ من مكارمِ الأخلاقِ وممَّا يُعرَفُ به الرِّجال،

وليس من التَّشدُّدِ والتَّخلُّف كما يوهمنا السَّاقطون!

لا تمنعها أن تروح وتجيء وهي آمنة ومستورة،

ولكن ما الدَّاعي أن تضع صُوَرَها في مواقع التَّواصل،

وما الدَّاعي أن يكون وجهُهَا بَادياً في الحالاتِ والمنشورات،

وليت الأمرَ أقتصرَ على هذا بل صِرْنَا نشهدُ العِناقَ والقُبلات،

إبداءُ الحُبِّ للزوجة شيءٌ وإبداء الزَّوجةِ بشخصها شيءٌ آخر!

245

فأَنزَلَها بِي!

في كتاب وفيَّاتِ الأعيان لابن خلكان البرمكيِّ:

قال ابن عبَّاس: أربعةٌ لا أقدرُ على مكافأتهم:

رجلٌ بدأني بالسَّلام، ورجلٌ وسَّعَ لي في المجلس،

ورجلٌ اغبرَّتْ قدماه في المشي في حاجتي،

ورجلٌ نزل به أمر، فبات ليلته يُفكِّرُ فيمن يقصده،

ثم رآني أهلاً لحاجته، فأنزلها بي!

حاجاتُ النَّاس مقضيَّة، فاللّٰه تعالى لا يتركُ خلقَه،

ولكن عندما يجعلُك سبباً في قضاء الحوائج فقد تكرَّم عليكَ!

أنتَ الآخذُ وإن بدا لكَ أنَّك المعطي،

وأنتَ الذي تتلقى المساعدة وإن بدا لكَ أنَّك تُساعد،

كلُّ ما نبذُله للآخرِين في سبيل اللّٰه يبقى لنا،

فإن أعطينا فقد أعطينا لأنفسنا، وإن بخِلنا فقد بخِلنا على أنفسنا!

246
جَرَى عليكَ القَلَمُ!

في كتاب أدب الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:

قال عليٌّ بن أبي طالبٍ للأشعث بن قيس:

إنَّكَ إن صبَرتَ، جَرَى عليكَ القَلَمُ وأنتَ مأجورٌ،

وإن جَزَعتَ، جَرَى عليك القَلمُ وأنت مأزُورٌ!

هذه الدُّنيا لها أسنان حادَّة ولا تكُفُّ عن النَّهشِ،

ذاك أنَّ من خلقها جعلها دار فقدٍ، وكربٍ، وخوفٍ، ومرضٍ،

شاءتْ قدرَتُه سبحانه أن تكونَ امتحاناً لعبادِهِ،

فمن رضيَ فقد فاز، ومن سخط فقد رسب،

فلا الرِّضى يعيدُ ميتاً ولا السَّخط، ولكنَّها أجرٌ أو وِزرٌ!

الرَّاضي يُبلسِم جُرحَه الإيمانُ، والسَّاخِط يعيشُ مكلوماً ويموتُ مكلوماً!

247
مِثْلُ الصَّبِيِّ!

في كتاب شرح السُّنَّة للبَغَوِيِّ:
قال عبدُ اللهِ بن عمر بن الخطَّاب:
يُعجبني الرَّجلُ يكونُ كالصَّبيِّ في أهله،
ثم إذا بُغيَ منه وُجِدَ رجُلاً!
لا خيرَ في أخلاقٍ لم يكن أجملها في البيت،
ولا خيرَ في ابتساماتٍ لم يكن أكثرها في البيت،
ولا خيرَ في تواضعٍ لم يكن أعذبَهُ في البيت،
ولا خيرَ في مالٍ إن لم يكن أكثره على البيت،
وخذها عندكَ قاعدة:
من ليس فيه خيرٌ لأهلِ بيته ليس فيه خيرٌ لأحد!

248
البِرُّ شيءٌ هيِّنٌ!

في كتاب مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:

كان عبد الله بن عمر يقول: إنَّ البِرَّ شيءٌ هيِّنٌ،

وجهٌ طلِيقٌ، وكلامٌ ليِّنٌ!

لا يريدُ النَّاس منك أكثر من هذا: ابتسامةٌ وكلمةٌ حُلوة،

كلُّ إنسانٍ فيه ما يكفيه فلا تكُن جُرحاً جديداً،

والدُّنيَا مُعقّدةٌ بما يكفي فلا تزِدهَا تعقيداً،

النَّاسُ يتحاملون على أنفسِهم ليجتازوها فلا تكُنْ حِملاً ثقيلاً،

استقبِلْ بلطفٍ، وودِّعْ بلطفٍ،

وبينهما اختر كلامَكَ بعنايةٍ فإنَّ اللِّسان جارِحٌ كالسَّيفِ،

لا أحدَ يريدُ مالَكَ ولا شهادتَك ولا منصبَكَ،

أمَّا الاحترامُ فواجبٌ عليكَ وليس صدقةً تتكرَّم بها على النَّاس!

249

إلَّا الذينَ يَخافُونَ اللّٰهَ!

في كتابِ الزُّهدِ لأبِي داود:

قال عمرُ بن الخطَّاب: لا تسْتَعِنْ على حاجتَك إلَّا بمن يُحِبُّ نجاحَها،

ولا تسْتشِر إلَّا الذين يخافونَ اللّٰهَ!

من لا يخافُ اللّٰه ليس عليكَ أن لَا تستشيره فقط،

وإنَّما عليكَ أن تخافه وتَحْذَره!

من لا يخاف اللّٰه سيرشُدكَ في أزمتَك الماليَّة إلى الرِّبا!

وسينصحُك في مشكلتِك الزَّوجية بالعُنف والحَزم والطَّلاق!

وسيدلُّك في مشكلتِك الأُسَريَّة على قطيعة الرَّحم وطعنِ الأهل!

وسيُزيِّنُ لكَ في مشكلة الحيِّ إساءةَ الجِوار!

كلُّ آنيةٍ تَصُبُّ ما فيها، والوِعاء بما فيه ينضَح،

فلا تشاوِر إلَّا مُؤمِناً لأنَّه سيدُلُّكَ على ما فيه رِضى اللّٰه!

250

لَيْتَهُ لَم يَكُن!

في كتاب الزُّهد لأبي داود:

قالَ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ: لَأَنْ أَعضَّ على جمرةٍ حتَّى تبردَ، أحبُّ إليَّ من أن أقول لشيءٍ قضاه الله: ليتهُ لم يَكُن!

من تمامِ العقيدة أن تعرفَ أنَّ الأقلامَ قد رُفِعتْ والصُّحُف قد جَفَّتْ،

كلُّ ضَربةٍ أصابَتكَ لم يكن بالإمكان تفاديها،

وكلُّ فقدٍ قد وقع لم يكن بالإمكان تأجيلُه،

وكلُّ ما سعيتَ له ولم تنله ما كان لكَ أن تنالَه مهما بذلتَ،

ما أصابكَ من خيرٍ ما كان بإمكان أحدٍ أن يمنعك منه،

وما أصابكَ من شرٍّ ما كان بإمكان أحدٍ أن يرُدّه عنك،

ما لم تتحقَّقْ هذه المعاني في قلبك فستَتْعَب!

251
لا يَخدَعُ ولا ينخَدِعُ!

في العقد الفريد لابن عبد ربِّه:

سُئل المغيرةُ بن شُعبة عن عمر بن الخطَّاب، فقال:

كان واللّٰهِ له عقلٌ يمنَعه أن ينخدع، وفضلٌ يمنعه أن يَخْدَع!

أن تكون من أبناءِ الآخرةِ لا يعني أبداً أن تكون ساذجاً!

ليكُن لك إيمان يمنعك أن تظلم، وتغشَّ، وتغدر، وتخدع،

وبالمقابل ليكن لك عقلٌ يحميكَ من الظلم، والغِشِّ، والغدر، والخديعة،

تاجرْ دون غِشٍّ ولكن كن على حذرٍ من الغشَّاشِين،

لا تَشِ على أحد من زملائِك ولكن كن على حذرٍ من الوُشاة،

الكلامُ المعسولُ يبقى كلاماً حتى تُصدِّقَهُ المواقف،

والوعود تبقى وعوداً حتَّى يَتِمّ الوفاء بها،

فلا يتلاعبْ بك النَّاس وتتذرَّعُ بطيبة القلب،

طيبة القلب شيءٌ، وأن يكونَ المرءُ مغفَّلاً شيءٌ آخر!

252

قَبلَ أن تَهْلَكُوا!

في كتاب الزُّهد لعبد الله بن المبارك:

كان النُّعمان بن بشير يقول: خذُوا على أيدي سُفهائِكم قبل أن تَهلَكُوا!

الحربُ التي يُشعِلها أحمقٌ واحدٌ تحتاج إلى مئة حكيم لوقفها،
والقطيعة التي يُحدثها متهوِّر تحتاج إلى مئة حكيم لوصلها،
والخلاف الذي يُسعِّره أرعن يحتاج إلى مئة حكيم لتهدئته،
لهذا فإنَّ الوقاية خيرٌ من العلاج، أيسرُ وأقلُّ كلفة!
النَّاس عقول، وأخلاق، وأفهام، وأذواق مختلفة،
على العقلاء أن يُقيِّدوا رعونةَ الأرعنِ لا أن ينساقُوا خلفه،
ولا أن يكونوا «معاهم معاهم»، «عليهم عليهم»، و«مع الخيل يا شقرا»!

وبئس القول قولُ دُريد بن الصُّمَّة:

وما أنا إلا من غزيَّةٍ إن غوتْ غويتُ وإن ترشُدْ غزيَّةُ أرشُدِ!

253
تُفَّاحَةُ القَلْبِ!

في كتابِ تاريخِ دمشق لابنِ عساكر:
دخلَ عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنتُه،
فسأله عمرو: من هذه؟
فقال معاوية: هذه تفَّاحةُ القلبِ، وريحانةُ العينِ!
البنتُ في قلبِ أبيها شيءٌ دافئٌ جداً،
لا يعدله في الدُّنيا حُبٌّ، ولا يساويه شعور،
وقد قالت العرب: يظلُّ المرءُ غليظاً حتَّى يُنجِب جاريةً!
وفي كتاب الكنز المدفون لجلال الدِّين السُّيوطي:
سُمِّيتِ البنت الجارية لأنَّها أسرعُ جرياً في قلوب الآباء من الأبناء،
فعاشروا بناتِ النَّاس بالمعروف، فواللهِ لولا أنَّها سُنَّة الحياة،
ما فرَّط أبٌ بابنته لخاطب ولو أعطاهُ وزنَها ذهَباً!

254

مَا أَهْلَكَنَا إلا الكِبْرُ!

في الآداب الشرعيَّة لابن مفلح:

كان الصحابيُّ حكيم بن حزام من أشراف قريش،

وكان يطلب العلم عند معاذ بن جبل، ومعاذ أصغر منه بخمسين سنة!

فقيل له: أنتَ تتعلَّمُ على يد هذا الغلام؟!

فقال: ما أهلكنا إلا الكِبْرُ!

تواضع، فإنَّك من تُرابٍ وإلى تُراب!

أَصغِ إلى الحقِّ ولو جاء من عدوٍّ ورُدَّ الباطلَ ولو جاء من حبيبٍ،

ولا ترضَ بمساحةِ الجهلِ التي فيك، سلِّطْ عليها نور العلم،

كم من كبيرِ سِنٍّ منعه الخجلُ أن يقصِد حلقاتِ التَّحفيظ،

وكم من مُصلٍّ ترك المسجد لأن الإمام من عائلةٍ أو قبيلةٍ لا تُعجبه،

هذه النَّفسُ بحاجةٍ إلى تأديب، فمتى ما تأدَّبتْ انساقتْ،

ومتى ما تُركت على هواها ساقت صاحبها وهو يظنُّ أنَّه من يسوقها!

255

ظُلمُ النَّاسِ!

في كتاب سير أعلام النُّبلاء للإمام الذهبيِّ:

قال سلمان الفارسيِّ لجرير بن عبد الله: أتدري ما ظلمة النَّار؟

فقال جرير: لا!

فقال سلمان: ظلمُ النَّاسِ!

واللّهِ إنَّكَ لو أتيتَ اللّه بألفِ ذنبٍ بينكَ وبينه،

لهوَ أهونُ من أن تأتِيَه بذنبٍ واحدٍ بينك وبين النَّاس!

اللّه عفوٌ كريم، ويُرجى من الكريم أن يصفَحَ بحقِّه،

ولكنَّ أعراض النَّاسِ لهم، وأموالهم لهم، وكراماتهم وقلوبهم لهم!

فلا تُمنِّ نفسكَ كثيراً بالعفو إذا ما تعلّقَ الأمر بالعباد،

اللّه رحيمٌ نعم، ولكنَّه عادل، ومن عدله أن يَرُدَّ الحقوق!

نحن نحتاجُ إلى أن نُقدِّمَ الحُبَّ
والاهتمامِ كحاجتِنَا لأخذِهِمَا!

256
مَقَامُ التُّهَمِ!

في كتاب مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:

قال عمر بن الخطَّاب: من أقام نفسه مقام التُّهَمِ،

فلا يلُومَنَّ من أساء به الظنَّ!

من يراكَ تتَّبِعُ امرأةً لن يعتقدَ أنَّك ستعطيها صدقةً ولو كنتَ كذلك،

ومن يراكِ في الطَّريقِ مع رجلٍ لن يعتقدَ أنَّكِ تسأليه عن أختِه ولو كنتِ كذلك،

ومن يراكَ دخلتَ خمَّارةً فلن يعتقدَ أنَّك ستدعو إلى الله ولو كنت كذلك،

النّاسُ مفطورةٌ على حمل الأمور على سوء الظنّ،

والعاقل لا يُلقي نفسَه في مواطن الشُّبهات،

وتذكَّر دائماً أنَّ الإنسانَ سُمعةٌ فلا تهدِمْ بموقفٍ ما بنَيتَه بعمرٍ!

257

إنَّ للقلوبِ نشاطاً!

في كتاب مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:
قال عبد الله بن مسعود: إنَّ للقلوب نشاطاً،
وإنَّ لها إدباراً، فحدِّثوا النَّاس ما أقبلوا عليكم!
تَخَيَّرْ مواضعَ النُّصحِ، سِرُّ كل شيءٍ في التَّوقيتِ!
الموتُ مناسبةٌ سانحةٌ للحديث عن الآخرة وتفاهة الدُّنيا،
ولكن لا تُحدِّثَ شخصاً عن عذاب القبر،
وهو يشاهدُ بكل جوارحه مباراةً نهائيةً في كرة القدم!
في المرض والفقد والانكسار يصغي النَّاس لحديث الإيمان،
أكثر ممَّا يُصغون إليه وهم في رِحلة أو مطعم!
الذكيُّ من يقتنصُ اللَّحظةَ ويعرفُ وقت عرضِ بضاعته،
والذي لا يعرفُ اغتنام الفرص يصبحُ مَمْلولاً ويضيقُ النَّاس به ذرعاً!

258
يجعلُ لهُ مخرَجاً!

في تفسيرِ ابنِ كثيرٍ:
قال عبد الله بن مسعود: أكبر آيةٍ في القرآن فَرَجاً،
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾
من يتَّقِ الله، هذا شرطٌ! يجعلْ له مخرجاً، هذا وعدٌ!
وإنَّكَ لن تنالَ الوعدَ حتَّى تلتزمَ أولاً بالشَّرط!
عندما تضيقُ بكَ الدُّنيا فإنَّ أولَ ما ستفكرُ فيه هو الحرام،
الدَّينُ محرِّضٌ على الرِّبا، والخلافات الزَّوجية محرِّضةٌ على العلاقات الحرام،
ضيقُ المَعيشة محرِّضٌ على الرّشوة، هكذا هي الأمور،
فلا تستسهل الحلول الحرام فإنَّها ستفاقمُ المشكلة،
نحن في هذه الدُّنيا في امتحان، فمهما رأيتَ امتحانك صعباً،
كُنْ على يقينٍ أنَّه لا مخرجَ إلا بالحلال!

259
عجباً للتَّاجر!

في كتابِ بهجةِ المجالسِ لابن عبد البّر:

قال عبدُ الله بن مسعود: عجباً للتَّاجر كيف يَسْلَم،

إن باعَ مدحَ، وإن اشترى ذمَّ!

والحقيقة أنَّنا جميعاً فينا شيءٌ من أخلاقِ التُّجار،

نُبالغ في قيمة ما لدينا، ونبَخِّسُ في قيمة ما عند النَّاس،

الكاتب منَّا يرى مقالته ذروة البلاغة وينتقِصُ من نِتاجِ غيره!

الحَماةُ لا تُعجِبها كِنَّةٌ، وترفع من شأن ابنَتِها وقد تكون الكِنَّةُ أفضل منها،

حتَّى عندما نشتري أبسطَ الحاجات نُسَفِّهُ البضاعة عند صاحبها،

وعندما نشتريها وتصبح لنا يتحوَّلُ الهِجَاءُ السَّابق إلى مديح وغزل!

وهذا فيه مفهوم التَّطفيفِ الذي توعَّده الله تعالى في القرآن،

اِعرِضْ ما لديكَ بأسلوب جميلٍ فحُسْنُ العرض يساعد على بلوغ الغاية،

ولكن إيَّاك أن تنتقِصَ وأنت تعلم أنَّك تنتقص!

260
لا تُعادوا نِعَم الله!

في تفسير القرطبيّ:
قال عبد الله بن مسعود: لا تُعادوا نِعَم الله!
فقيل له: ومن يُعادي نِعَم الله؟
فقال: الذين يحسدون النَّاس على ما آتاهُم الله من فضله!
لا تحسُدْ أحداً على نعمةٍ فأنتَ تعلمُ ما أُعطيَ من تحسده،
ولكنَّك أبداً لا تعلم ما الذي حُرِمَ منه!
وكلما اتَّسَع نظرُكَ إلى رزقِ غيرِك ضاق صدرك،
وأصبحتَ تزدري ما أعطاك الله إيَّاه من نِعم،
إحدى عقوبات الحسد الحرمان من استشعار النِّعم!
هذا وما زلنا في مناقشة الجانب العمليِّ لا العقديِّ،
وإلا فإنَّ الحسدَ قلّة أدب مع الله،
وكأنَّك تتهم حكمته سبحانه أنَّها أعطتْ غيرك ما كان يجب أن يكون لك!

261
شَهوةُ ساعَة!

في كتاب الزُّهد لعبد الله بن المبارك:

قال عبد الله بن مسعود: رُبَّ شهوةِ ساعةٍ، أورثتْ حُزناً طويلاً!

من أجمل ما قاله العارفون باللهِ عن المعاصي:

لذَّةٌ تزول وإثمٌ يبقى!

ومن أجمل ما قالوه عن الطاعات: مشقَّةٌ تزول وأجرٌ يبقى!

كلُّ الوقتِ سيمضي، وكلُّ اللَّحظات ستنقضي، وكلُّ الأيَّام ستُطوى،

لا الزَّاني بقِيَتْ معه لذَّةُ زِنَاه،

ولا قائمُ اللَّيل بقِيَ معه تعبُ قيامه،

وإنَّما تمايز الرجلان بقلبيهما، شتَّان بين قلبٍ وقلب،

هذا على افتراضِ أنَّ الأمور بقِيَتْ حَبِيسَةَ القلوب،

ولم تتعدَّاها إلى الفضائحِ وانقلابِ الحياة رأساً على عقب!

262
وإنْ كانَ قريباً حبيباً!

في كتابِ حِلية الأولياء للأصبهانيِّ:

جاء رجل إلى ابن مسعود فقال له: علِّمني كلماتٍ جوامعَ نوافعَ!

فقال له: اعُبدِ اللّهَ ولا تُشرِكْ به شيئاً، ودُرْ مع القرآن حيث دار،

ومن جاءك بالحقِّ فاقبلْ منه وإن كان بعيداً قصيّاً،

ومن جاءك بالباطل فارْدُدْهُ وإن كان قريباً حبيباً!

اِذهبْ بقلبك بعيداً، لا شيءَ أجملُ من الحُبِّ،

ولكن لا تنسَ أن تأخذ عقلكَ معكَ!

ولا تكُن كالخَاتَم في الإصبع، ولا كالميِّت بين يدي مُغَسِّله،

حافظْ على كَيانك، وشخصيَّتك، ولا تبِع دينك ومبادئك،

الحُبُّ أن تغفر الأخطاء وليس ألا تراها أخطاءً،

فلا تُرضِ أحداً بسخط اللّه ولو كنتَ تُحبُّه!

263

لِيُضْحِكَ بها جُلسَاءَهُ!

في كتاب الزُّهد لعبد الله بن المبارك:

قال عبد الله بن مسعود: إنَّ الرَّجل ليتكلَّم بالكلمةِ من الرَّفاهية، ليُضحِكَ بها جلساءه، تُرديه أبعد ما بين السماء والأرض!

أسوأ فاكهة للمجلسِ هي لحوم النَّاس وأعراضهم وكراماتهم، النَّاس ليسوا مادَّةً للسُّخريةِ والتَّندُّرِ ولو كانوا بُسطاء،

وتأملْ قولَ نبيِّك ﷺ: وهل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم!

والأعراض ليست مادَّةً للمزاح، ومن جميل قول العارفين بالله: لو أن رجُلاً قذفَ امرأةً من عهد نوح عليه السَّلام لسُئِلَ عنها!

والكراماتُ ليست علكة للمضغ، النَّاس لا شيءَ بدون كراماتهم، وأسوأ أنواع إهدار الكرامة هي ما كان صاحبها حاضراً،

أنت لقلَّة أدبِك تغمِزُ وتَلْمِزُ وهو لضعفه ينِزُّ وينزف،

وتذكَّرْ قول نبيِّك ﷺ: ثكلَتكَ أُمُّك يا معاذ،

وهل يكبُّ النَّاس على وجوههم في النَّار يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم؟!

264
أين أهلُ العَفوِ؟!

في مسند الصِّدِّيق لأبي بكرٍ المروزيِّ:

قال أبو بكر الصِّدِّيق: بلغنا أنَّه إذا كان يوم القيامة،

نادى منادٍ: أين أهلُ العَفوِ؟!

فيُكافِئُهم الله تعالى بما كان من عفوهم عن النَّاس!

إذا غضِبتَ من موظفٍ عندكَ وهمَمتَ بالعقوبة، تذكَّر: أين أهل العفو!

وإذا غضِبتَ من زوجتك وهممت بالسُّوء، تذكَّر: أين أهلُ العفو؟!

وإذا غضبتِ من العاملة المنزليَّة وهممتِ بالعقاب تذكَّري: أين أهل العفو؟!

إنَّ الله تعالى وفيٌّ وعادلٌ، ويُعامل عباده بأحسن أخلاقهم مع النَّاس،

الرَّحيمُ سيرحمه الله، والعافي سيعفو الله عنه،

جابرُ الخواطرِ سيجبرُ الله خاطره، والمتجاوزُ عن الأخطاء سيتجاوز الله عن خطئه،

فعامِل النَّاس اليوم بالخُلق الذي تُحبُّ أن يعاملك الله فيه غداً!

265
وكلُّ من لم يُعِنْهُ اللّٰه مخذُولٌ!

في تاريخ الطبريِّ:

قال أبو بكر الصِّدِّيق: كلُّ من لم يهده اللّٰهُ ضالٌّ،

وكلُّ من لم يُعافِه اللّٰه مبتلى، وكلُّ من لم يعنه اللّٰه مخذول!

ابدأْ بحفظ القرآن ولكن تذكَّر أنَّه لا حفظ إلَّا باللّٰه،

أُدرُسْ واجتهدْ ولكن تذكَّرْ أنّه لا نجاح إلَّا باللّٰه،

تاجِرْ وقاوِلْ ولكن تذكّر أنَّه لا شراء إلَّا باللّٰه،

كم من مجهودٍ ذهب أدراج الرِّياح لأن اللّٰه لم يأذن،

وكم من قليلٍ باركه اللّٰه وجعل فيه أثراً،

لا يكادُ يخلو بيتٌ من كتابِ رياض الصالحين رغم أن كتب الحديث كثيرة،

ولكنَّ شيئاً بين النَّوويِّ وبين اللّٰه لا أحد يعرفه،

وعندما كتب مالكُ الموطَّأ كان في عصره عشرات المُوطَّآت،

ولكنَّ مُوَطَّأ مالك بقي لشيءٍ بين مالك وبين اللّٰه!

266
والشَّرَفُ في التَّواضع!

في كتاب مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:
قال أبو بكر الصِّدِّيق: وجدنا الكرمَ في التَّقوى،
والغنى في اليقين، والشَّرف في التَّواضع!
أشهر الهالكين في التَّاريخ: إبليس وفرعون وقارون،
والثلاثة لو نظرنا في حالهم لوجدنا أنَّ مهلِكَهُم كان بسبب كبرهم،
إبليس قال: أنا خيرٌ منه! فرفض السُّجود لآدم وطُرِد من رحمة الله،
وفرعون قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ﴾ ،
فأجرى الله تعالى الماء من فوقه،
وقارون قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِيَ﴾، فخسفَ الله به وبماله!
تواضَعْ!
الغنى مع الكِبْرِ فقر، والشَّهادة مع الكِبْرِ جهل،
والمنصبُ مع الكِبْرِ انحطاط، والشُّهرة مع الكِبر سقوط!

267
وأبو بكرٍ حين استخلَفَ عمر!

في كتاب بَهجة المجالس لابن عبد البرّ:

قال عبد الله بن مسعود: أَشدُّ النَّاس فِراسة ثلاثة:

عزيزُ مصر حين قال لامرأته: أكرِمي مثواه،

وصاحبةُ موسى حين قالت: ﴿يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾!

وأبو بكر الصِّدِّيق حين استخلفَ عمر بن الخطَّاب!

كان النّاسُ يرون بعيونهم وكان أبو بكرٍ يرى بنور الله،

كلُّ العدل والفتوحات في خلافة عمر هي في صحيفة أبي بكر!

تخيَّرْ للمناصب فإنَّك مسؤول عمَّن توليه،

وإنَّ من خيانة الأمانة أن تُحمِّلَ المسؤوليَّة لمن لا يستحقها،

ثمَّة أمور صغيرة تكشفُ لكَ خبايا النَّاس فانتبه لها جيَّداً،

والمواقف الصَّغيرة تُنبئُك عن الأشياء العظيمة،

فإذا جاءك من يخطِبُ ابنتَكَ فانتبه جيِّداً للإشارات!

268
يا أبا بكر، ما ظنُّكَ باثنينِ؟!

روى البخاريُّ ومسلم من حديث أبي بكر يوم الهجرة قال:
نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار،
فقلتُ: يا رسول الله، لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا!
فقال النّبيُّ ﷺ: يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما!
لحظات الجبر في مواقف الانكسار لا تُنسى!
فكُنْ دواءً على هيئة بشر!
ليجدْ فيك الفاقد عزاءً، والمكسور عكَّازاً، والمجروح ضِماداً،
أتركْ أثراً حلواً، وموقفاً عذباً، فإنَّ هذا هو الذي يبقى،
الطَّريقة التي يتذكَّرنا بها الآخرون هي طعم لمساتنا في أيامهم!

269

أرأيتَ أبا بكر؟!

روى ابن أبي شيبة في المُصنَّف:

قال رجلٌ لعمر بن الخطَّاب: ما رأيتُ مثلكَ!

فقال له عمر: أرأيتَ أبا بكر؟ فقال الرجل: لا!

فقال له عمر: لو قلتَ إنّكَ رأيته لأوجعتُكَ ضرباً!

هكذا هم النُبلاء يعرفون قدر غيرهم وإن غابوا،

النَّبيلُ لا يرى في نجاح الآخرين فشلاً له،

ولا يرى في صعود الآخرين إلى القمَّة سقوطاً له،

ولا يرى في تفوق الآخرين تهديداً له،

فإذا رأيتَ إنساناً هكذا فتمسَّك به بأسنانك،

هؤلاء عملةٌ نادرةٌ ولا تعثرُ عليهم كلَّ يوم!

270
حتَّى يُؤتَى بمسكينٍ!

روى البخاريُّ في صحيحه من حديث نافع قال:
كان عبد الله بن عمر لا يأكل حتَّى يُؤتى بمسكينٍ يأكل معه!
صُحبة المساكين تُرقِّقُ القلب وتكسِر الكِبْرَ في النَّفس!
ليست نهايةُ الدُّنيا إن جلست الخادمة معنا على المائدة،
وشيءٌ جميل أن تشتريَ مرةً غداءً وتتناوله مع عمّال محطة وقودٍ،
أحضِرْ عصيراً وماءً واشربه مع العمَّال في الطَّريق،
في أيام المواسم اِهْدِ شيئاً لعمَّال النَّظافة في الحيِّ،
هناك أشياء صغيرة لن تعرِفَ طعمَ السَّعادة فيها حتَّى تجربها،
جرِّبْ مثلاً أن تُنظِّف المسجدَ مع خادمه مرَّةً في العام،
لن أخبرك بما ستشعر، جرِّب وستعرف!

إنَّ اللهَ لا يريدُ
من الدُّعاء لسانَك
وإنَّما يريدُ قلبك!

271
أجدُ قسوةً في القلب!

في كتاب الزُّهد لأبي داود:

قال رجلٌ لأمِّ الدَّرداءِ: إنّ بي داءً من أعظم الدَّاء، فهل عندكِ له دواء؟

فقالتْ: وما ذلك؟ فقال: إني أجدُ قسوةً في قلبي!

فقالتْ: أعظمُ الدّاء داؤكَ، عُدِ المرضى، واتَّبِعِ الجنائز، وزُرِ المقابر، لعلَّ الله أن يلين قلبك!

ففعلَ الرَّجلُ، فوجدَ في قلبه رِقةً، وجاء لأم الدَّرداء يشكرها!

إنَّ الإنسان حين يرى أهل البلاء يرقُّ،

نحن في غمرة النِّعم ننسَى ونقسو، فزرهم دائماً!

والإنسان حين يرى الجنائز والقبور يشعر بالرَّهبة،

نحن جميعاً نعتقدُ أنَّ الموت بعيد!

هام جداً أن يسير المرءُ خلف جنازة ويتذكَّر أنَّه عمَّا قليل سيُحمل،

نظرة الخالدِ إلى الحياةِ تختلف كثيراً عن نظرة الرَّاحل!

272
لا تَسُبُّهُ!

روى البخاريُّ في صحيحه من حديث عروة بن الزُّبير قال:
ذهبتُ أسُبُّ حسَّان عند عائشة،
فقالتْ: لا تَسُبُّه، فإنَّه كان يُنافحُ عن رسول الله ﷺ!
كان حسَّان ممن خاض في حادثة الإفك،
لهذا لم يَهُنْ على عُروة أن يُنال من عرض خالته عائشة،
ولكنَّ عائشة نَهَتْهُ عن ذلك وفاءً منها وحبًّا للنّبي ﷺ،
لم يَهُن عليها أن يُنال منه وقد نال منها إكراماً لدفاعه عن النَّبيِّ ﷺ،
وهكذا هم النُّبلاء لا ينسون الماضي الجميل عند الخطأ الحاضر،
فكُنْ نبيلاً ولا تمحُ كل اللَّحظات الجميلة عند أول موقف،
ثم إنَّ حسَّان بعد ذلك اعتذر منها بواحدةٍ من أبلغِ قصائده!

273

أمرُ رسولِ الله ﷺ!

أخرج الإمام أحمد في المُسنَد:

بلغَ مصعب بن الزُّبير عن عريفٍ من الأنصار شيءٌ فَهَمَّ به،

فدخلَ عليه أنس بن مالكٍ فقال له: سمعتُ النّبيَّ ﷺ يقول: استوصوا بالأنصار خيراً، اقبلوا من مُحسِنِهم، وتجاوَزُوا عن مُسِيئِهم!

فألقى مصعب نفسه عن سريره، وألزقَ خدَّه بالأرض،

وقال: أمرُ رسولِ اللهِ ﷺ على الرأس والعين، وتركه!

بهذا سبقونا: أمرُ رسول الله ﷺ على الرأس والعين!

فإذا أغضبكَ أبواك تذكَّرْ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ فيهما،

وإذا أردتَ عقاب زوجتك تذكَّرْ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ فيها،

وإذا أردتَ قطع رحمك تذكَّرْ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ فيه،

وإذا خاصمتَ جاركَ تذكَّر أمرَ رسول اللهِ ﷺ فيه،

ليكُن أمره قبل رغبتك، وهواه قبل هواك، وقتذاك فقط ستصل!

274

إيَّاكم والدَّين!

في موطَّأ الإمام مالك:

قال عمر بن الخطَّاب: إيَّاكم والدَّين، فإنَّ أولَّه هَمٌّ، وآخره حرب!

هذه الدُّنيا سريعة التَّقلب ولا تلبثُ على حال،

وما منَّا من أحدٍ إلا وتمرُّ به ظروف قاسية، والنَّاسُ للنَّاس!

والدَّينُ ليس حراماً، وأطولُ آية في القرآن الكريم عنه،

ولكنَّ العاقل يجعله آخر الحلول فإنَّ الحاجة عند النَّاس مُرَّة،

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يكثِرُ من الاستعاذة منه،

فقيل له: يا رسول الله إنكَ تستعيذُ من المَغْرَم كثيراً؟

فقال: إنَّ الرَّجل إذا غرِمَ استدانَ فحدَّث فكذبَ ووعدَ فأخلف!

275
عندَ دِرهَمِهِ ودِينَارِهِ!

في معين الحكام للطرابلسيِّ:
قال عمر بن الخطَّاب: لا تغرنَّكم طنطنةُ الرَّجل في صلاته،
انظروا إلى دِينِه عند درهمه وديناره!
دين المرءِ الحقيقيِّ ليس في المسجد ولا في الطَّواف،
هذه أركان الإسلام ويقومُ بها الجميع ولا إسلام بدونها،
ولكنَّ دين المرء الحقيقيِّ يظهرُ في أخلاقه ومعاملاته الماليَّة!
أخلاقُكَ تظهرُ على حقيقتها مع الضُّعفاء لا مع المتنفِّذين،
وأمانتُك الحقيقيَّة تظهرُ عندما لا يكون هناك شاهد إلا الله،
وقد كان الأوائل يرون الدِّين في ترك الحرام أكثر من فعل الحلال،
كان مالك بن دينارٍ يقول:
أن يترك الرَّجل درهماً من حرام خيرٌ له أن يتصدَّق بمئةِ ألفٍ من حلال!

276
حتَّى تدعَ الكَذِبَ!

أخرجَ ابنُ أبي شيبةَ في المصنِّفِ:

قالَ عمرُ بن الخطَّاب: لن تبلغَ حقيقةَ الإيمان،

حتَّى تَدَعَ الكذبَ في المزاح!

الكذِبُ ثَلْمَةٌ في الدِّين، ووصمة عارٍ في الأخلاق،

ولم يكن يَرْضَهُ النّبيُّ ﷺ وأصحابُه وأتباعُه حتَّى على الصِّبيان والحيوان!

كان عبد الله بن عامر طفلاً، فقالتْ له أمُّهُ تعال أُعطيكَ،

فقال لها النَّبيُّ ﷺ: وما أردتِ أن تُعطيه؟

فقالتْ: أُعطيه تمراً،

فقال لها: أما أنَّكِ لو لم تُعطيه شيئاً كُتبتْ عليكِ كذبة!

ورُويَ أن البخاريَّ سمع بحديثٍ عند رجلٍ فذهبت إليه ليسمعَه منه،

فوجده قد رفعَ رداءه، يوهم حمارَه أن فيه شعيراً ليأتي إليه،

فتركه البخاريُّ ولم يسأله عن الحديث لأنَّه كذبَ على الحمار!

277
أوصِيكُم بالله!

في شعب الإيمان للبيهقيِّ:

قال عمر بن الخطَّاب: أوصيكم بالله، إذا بالله خَلَوتُم!

في العلن كُلُّنا صالحون، ولكنَّ العبرة في الخلوات!

إذا كنتَ وحدكَ، آمِنٌ من الفضيحة، عليكَ لباس السِّترَ،

هناك فقط يظهرُ الإيمان، فلا تجعل الله أهون النَّاظرين إليك!

ومن أجمل ما قاله العارفُون باللهِ: الهباتُ في محاريبِ الخلواتِ!

قيامُ الليلِ الذي لا يراه أحد، والصَّدقة التي تُخفيها عن النَّاس، حاجاتُ النَّاسِ التي تمشِي فيها سرًّا، وجبرُ الخاطرِ الذي تكتمه،

كان ابنُ القيِّم يقول:

ذنوبُ الخلواتِ أصلُ الانتكاسات، وعباداتُ الخفاءِ أصلُ الثَّباتِ!

278
مَا اتقَيْتَ اللهَ!

في كتاب البصائر والذّخائر لأبي حيّان التوحيديِّ:

قال المغيرة بن شعبة لعمر بن الخطّاب: نحن بخيرٍ ما أبقاكَ اللهُ لنا!

فقال له عمر: أنتَ بخيرٍ ما اتقيتَ اللهَ!

مع الإيمان والتّقوى أنتَ بخيرٍ مهما بدا المشهد عكس ذلك،
ماشطةُ ابنةِ فرعون أُلقيتْ في الزَّيتِ هي وأولادها،
ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ شمَّ ريحهم في الجنَّة ليلةِ المعراج!
وأهلُ الأخدود أُحرقوا جميعاً فسمّى اللهُ ذلك فوزاً عظيماً،
وآسيا بنتُ مُزَاحِم ماتتْ مصلوبةً ولكنَّها رأتْ بيتها في الجنَّة،
وسُميَّة طعنها أبو جهلٍ بحربته ولكنَّها أول شهيدة في الإسلام،
ومصعبُ بن عمير قُطِعَ ذراعاه يوم أُحد ولكنَّه صدق ما عاهد اللهَ عليه!

279
وعُدَّةٌ في البلاءِ!

في كتابِ الإخوان لابن أبي الدُّنيا:
قالَ عمرُ بن الخطَّاب: عليكَ بإخوانِ الصِّدق فكُن في أكنافهم، فإنَّهم زين في الرَّخاء، وعُدَّة في البلاء!
هنيئاً لمن كان له صُحبة كالجُندِ إذا وقع عليه الضَّيم، وكالخِزانة إذا وقع عليه الدَّين، وكالأكتاف إذا انكسر، وكالعكاكيز إذا ما احتاج إلى الاتكَّاء، أحياناً تأتي رحمةُ اللهِ تعالى على هيئةِ أصدقاء، مستودعٌ للسِّرِّ، وموضعٌ للفضفضةِ، وعُدَّةٌ للحوادثِ، فإن وضعَ الله في حياتك أمثالهم فقد أجزل لكَ العطاء!

280

في الإثْمِ سَواءٌ!

في الأدبِ المفردِ للبخاريِّ:

قال عليٌّ بن أبي طالب: القائلُ بالفاحشةِ، والذي يشيعُ بها،

في الإثمِ سواء!

لم تُشارك زوجة سيِّدنا لوط عليه السّلام قومَها في فاحشة الشُّذوذ،

ولكنها لم تكُن تتكره فيهم!

كانتْ تتقبَّلُ اختلافهم، وترضى بفعلهم،

فأنجى الله لوطاً وأهله وجعل امرأته من الغابرين،

وهذا درسٌ بليغٌ وحُجَّة دامغةٌ على كل فارغٍ متلوِّن،

يدَّعي الإنسانيَّةَ والانفتاحَ على حسابِ شرعِ اللهِ!

281
أُذْكُرِ اللهَ عندَ همِّكَ!

في الطّبقاتِ لابنِ سعد:

قالَ سعدُ ابن أبي وقّاص لسلمان الفارسيِّ في مرضه الذي ماتَ فيه:

يا أبا عبد اللهِ، اعهَدْ إلينا بعهدٍ نأخذه بعدكَ!

فقالَ له سلمانُ: يا سعد، اُذكرِ اللّه عند همّكَ إذا هممتَ،

وعند حكمكَ إذا حكمتَ، وعند يدكَ إذا قسمتَ!

ضعِ اللّهَ نُصْبَ عينيكَ دائماً!

إذا أردتَ أن تُتاجرَ فاعلمْ أنَّ اللّه مطّلع على الصَّفقة!

وإذا أردتَ أن تُقاول فتذكَّرْ أنَّ اللّه يرى المواصفات،

وإذا ما سُئلتَ عند خاطبٍ فتذكّر أنَّ اللّه يسمع ما تقول،

وإذا قضيتَ بين الخصوم فتذكّر أنّ اللّه يراك،

وإذا وصل إليك ميراثُ أبيك فاعلم أنّك إن أكلت حقوق إخوتك، فإنّما تأكل في بطنك ناراً،

وإن كتبتَ وصيَّتكَ فلا تُحابِ، لا تتركْ خلفكَ عداوةً بين أولادك،

إنَّ خيرَ ما يتركه الأبوان بعد رحيلها أخوة متحابُّون!

282

بل أعتقتُكَ للهِ!

لمَّا تُوفيَّ النّبيُّ ﷺ وولِيَ أبو بكرٍ الخلافة،
جاءه بلال بن رباحٍ يستأذنه أن يذهبَ إلى الشّام،
فقال له أبو بكرٍ: بل تبقى عندي!
فقال له بلال: إن كنتَ أعتقتني لنفسكَ فاتركني عندكَ،
وإن كنتَ أعتقتني للهِ فاتركني أذهب!
فقال له: بل أعتقتُكَ للهِ، فاذهبْ!
إذا أحسنتَ فلا تُبطِلْ إحسانك بالمنّ والأذى،
فإن الحرمان مع كفِّ الأذى، خيرٌ من العطاء المقرون بالأذى!
وإذا كنتَ تعملُ لنفسكَ فلا تتعب فإنّ الله لا يقبلُ إلا ما كان له!
أول من تُسعّرُ بهم النّار ثلاثة: شهيد، ومنفق، وقارئ للقرآن،
كانوا يعملون عمل الأتقياء ولكن لأجل المديح من النّاس!

283
كُنَّا فقيرين فأغنَانَا الله!

بعد وفاة النّبيِّ ﷺ ذهب بلال بن رباح ليقيم في الشَّام،
ونزل في داريَّا مع أبي رُويحة الذي آخى بينهما رسول الله ﷺ،
ثمَّ إنهما أرادا الزَّواج، فجاءا أهل بيتٍ خاطبين،
فقال بلال: قد أتيناكم خاطبين، وقد كُنّا كافرين فهدانا الله،
وكُنّا مملوكين فاعتقنا الله، وكُنَّا فقيرين فأغنانا الله،
فإن تُزوِّجونا فالحمدُ لله، وإن تردُّونا فلا حول ولا قوة إلا بالله!
فزوَّجوهما على سُنّة اللهِ ورسوله!
لا تفتخِرْ على النَّاس بعبادتك وصلاحك لتنالَ من دُنياهم،
لم يقُلْ لهم بلال: أنا مؤذّنُ رسول الله ﷺ!
وإنَّما ذكر من أمره نِعمَ اللهِ تعالى عليه،
فقد كانوا يكرهون أن يجعلوا دينهم مطيَّةً لدنياهم،
دخل ابن محيريز دكاناً ليشتري ثوباً والبائع لا يعرفه،
فقال رجلٌ للبائع: أحسِنْ بيعه هذا فقيهنا ابن محيريز،
فألقى ابنُ محيريز الثوب من يده وقال: إنما نشتري بأموالنا لا بديننا!

284

أبو بكر سيِّدنا!

روى البخاريُّ في صحيحه:

إنَّ عمر بن الخطَّاب لقيَ بلال بن رباحٍ فقال:

أبو بكر سيّدُنا، وأعتقَ سيّدَنا!

من رأيتَهُ يُنزِلُ النَّاس منازلهم فادْنُ منه فإنَّه نبيلٌ،

ومن رأيته يُنكر فضل الآخرين فاحذره فإنَّه لئيم،

وإنَّ من اللُّؤم أن يعتقد المرء أن نجاح الآخرين يُقلل من نجاحه،

وأنَّ مديح الآخرين يعني هجاءه،

وأنَّ إشادة النَّاس بالنَّاس تعني الانتقاص منه،

نقِّ قلبكَ، وافرحْ بنجاحِ الآخرين كأنَّه نجاحك،

صفِّقْ للواصلين، واثنِ على المحسنين، ووقِّر المجتهدين،

يقولُ الأوربيون في مثلهم: تكسيرُ مجاذيف الآخرين لن يزيدَ من سرعة قاربك!

285
أما كانَ في هؤلاء من يَكْفِيكَ؟!

روى الإمام أحمد من المُسند:
زار روح بن زنباعٍ تميماً الدَّاريّ فوجدَهُ يُنقّي شعيراً لفرسه،
فقال له: أما كانَ في هؤلاء من يكفيك هذا؟!
فقال له تميم: بلى، ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:
ما من أمرئٍ مسلم يُنقِّي لفرسه شعيراً، ثُمَّ يُعلِّقه عليه،
إلا كتبَ الله له بكل حبَّةٍ حسنة!
كان في بيتِ النّبيِّ ﷺ من يكفيه أن يخصفَ نعله،
ويرقعُ ثوبه، ويحلبُ شاته، كان محبوباً مخدوماً،
ولكنَّه كان يُحِبُّ أن يفعل أموره بيده تواضعاً منه وتخفيفاً عن أهله،
ليست نهاية الدُّنيا إذا جليتَ صحناً،
ولا مذمَّة إن وقفتَ معها في المطبخ نصف ساعةٍ من نهار،
عندما انطفأَ سراج عمر بن عبد العزيز قام وأصلحه بنفسه،
فقالوا: يا أمير المؤمنين قد كان منَّا من يكفيك هذا،
فقال: قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز وعدتُ وأنا عمر بن عبد العزيز!



فِي الحياة لا تجعَلْ كلَّ
خطاكَ لنفسكَ، امشِ شيئاً للهِ!

286
أنتَ أعلمُ بالقتالِ منّي!

في كتاب أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير:
بعث النّبيُّ ﷺ جيش المسلمين إلى مؤتة،
وأمَّرَ عليهم زيد بن حارثة، وقال لهم:
إن قُتِلَ زيدٌ فجعفر، وإن قُتِلَ جعفر فعبد الله بن رواحة!
فاستُشهدَ الثلاثة، فأعطى المسلمون الرَّاية لثابت بن أقرم،
فأعطى ثابت الرَّاية لخالد بن الوليد وقال له:
أنتَ أعلمُ بالقتال منّي!
اِحترِمْ خبرات الآخرين في مجالهم ولا تُسابِقْ في غير مضمارك،
إن لم تكُنْ عالماً بالمسألة فلا تُفتِ النَّاس فيها،
وإن لم تكُن طبيباً فلا تُعالج النَّاس بمزاجك ولا هواك،
احترِمْ خبرة الميكانيكيِّ في مجاله ولو كنت عالم ذرَّة،
والخبّازُ أعلمُ بالعجين منك وإن كنت تحمل جائزة نوبل في الفيزياء،
مشكلتنا نحن أننا نطرحُ أنفسنا على أننا خبراء في كل المجالات!
ومن المستحيل أن يتقدَّم إنسان لا يتواضع لمساحة الجهل فيه!

287
فلَم أرَ جاراً أحسنُ جِوَاراً منهُ!

روى مسلمٌ في صحيحه من حديث صفوان بن محرزٍ قال:

كنتُ خلف المقام عند الكعبة وبجانبي ثابت بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ،

فلم أرَ جاراً أحسن جواراً منه!

كنتُ إذا جهرتُ بالقراءة خفضَ صوتَهُ عنِّي، وإذا تتعتعتُ بالآية فتح عليَّ،

فلما انصرفتُ، دخلتُ الطَّواف، فلحقني وأخذ بيدي وقال:

الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدةٌ، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف!

وإنّكَ لا تزالُ بخيرٍ ما ساقكَ الرُّوحُ وساقَ إليك!

الحُبُّ لا يُشرح إنهُ يُعاشُ فقط!

وإنك لن تفهم شعور الحبيب تجاه الحبيب حتَّى يكون قلبه في صدركَ،

ثمَّة يدٌ علوية ألَّفتْ بين قلبين فتحَابَّا،

فلا يأنسُ أحدهما إلا بحبيبه ولو أُعطِيَ الدُّنيا،

ثمَّة جوعٌ في القلب لا يُشبِعُهُ إلَّا وجه واحد،

فلا تشرح للنَّاس هواك إنّك ترى بقلبك والنَّاس بعيونهم عميان!

288

ما نَنْتَظِرُ؟!

أخرجَ أبو نُعيم في حلية الأولياء:

لما سار النّبيُّ ﷺ إلى أُحُد تركَ كبار السِّنِّ في المدينة،

وكان ممن تركهما ثابت بن وقشٍ وحُسيل أبو حذيفة بن اليمان،

فقال أحدهما للآخر: ماذا ننتظِرُ؟!

واللهِ ما نحن إلا جُثث فإن لم يكن اليوم فغداً،

فلو أخذنا سيوفنا ولحقنا بالنّبيِّ ﷺ علَّ الله يرزقنا الشّهادة؟

فأخذا سيوفهما، والتحقا بالجيش، وقاتلا حتَّى استشهدا!

ونحن ماذا ننتظِرُ؟! ما نحن إلا جنائز الغد!

فلِمَ نعصي بجرأة كأنَّ الموتَ لا يأتي بغتةً؟!

ولِمَ نقطع الأرحام وكأنَّنا ضمِنَّا أن يُسعفنا العمرُ لوصلها؟!

ولِمَ نهجرُ الأحبة وكأنَّه بالإمكان أن نعود متى نشاء؟!

صِلْ ربّكَ، وتمسَّكْ بأحبابك، ودع عنك المعارك التافهة،

ما فائدة أن يبكي أحدنا على الآخر بعد موته وقد أدرنا في الحياة ظهورنا؟!

289

اِبدأْ بمن تعول!

روى الإمام أحمد في المسند، والنَّسائي في الصَحيح:

إنَّ ثعلبة بن زهدم قال:

قَدِمنا على النَّبيِّ ﷺ في نفرٍ من تميم فانتهينا إليه وهو يقول:

يدُ المعطي العليا، اِبدأ بمن تعول،

أمَّكَ، وأباك، وأختُكَ، وأخاكَ، ثمَّ أدناكَ أدناكَ!

خروجك للعملِ لأجلِ لقمةِ أولادك صدقة فاحتسب الأجر،

وعملُكِ في بيتكِ لأجل أُسرتكِ صدقة فاحتسبي التَّعب،

اللُّقمة تضعها في فم امرأتك صدقة فاحتسِب الحُبَّ،

واصطحاب والديك إلى الطَّبيب وشراءُ دوائهما صدقة فاحتسب العبادة،

وزيارتُك لأختِك وإهدائها صدقة فاحتسب الوصل،

كلُّ هذه الواجبات الاجتماعيَّة أخْرِجها من العادة إلى العبادة،

فمتى ما استقام لكَ الفهم كنتَ في كلِّ أمورك كأنَّك في صلاة!

290
لا تَحْقِرَنَّ من المعروفِ شَيئاً!

روى الإمام أحمد في المسند من حديث جابر بن سُليم قال:
أتيتُ النّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسول الله:
إنَّا قومٌ من أهل البادية، فعلِّمنا شيئاً ينفعنا الله به!
فقال: لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تُفرغَ من دَلْوِكَ في إناء المُستَقِي!
ولو أن تُكلِّم أخاكَ ووجهكَ إليه منبسطٌ،
ولا تُسبل الإزَارَ، فإنَّه من الخُيلاء، والخُيلاء لا يُحبُّه الله تعالى،
وإن امرُؤٌ سبَّكَ بما يعلمُ فيكَ فلا تسبُّه بما تعلمُ فيه،
فإنَّ أجره لكَ ووَبَالُه على من قاله!
لا تحقِرَنَّ معروفاً مهما بدا صغيراً فإنَّك لا تدري أيُّ عملٍ يُدخلُكَ الجنَّة،
عُلبَةُ الدَّواء تشتريها للفقير ليست مُجرد علبَةُ إنَّها صيانة للكرامة،
وعزاءُ المصابِ ليس طقساً اجتماعياً وإنَّما ترميمُ قلب،
ومسحُ دمع المحزون ليس مجرَّد مسحة وإنَّما جبرُ خاطر،
وصحنُ الطَّعامِ للجار ليس مجرَّدَ طعام إنَّه رسالة حُبٍّ،
الأشياء لم تكن يوماً بحجمها وإنَّما كانت دوماً بأثرها!

291
فُزتُ واللهِ!

في كتاب أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير:
كان جبَّارُ بن سُلمى على الشِّرك أوَّل أمره،
وهو الذي قتل الصحابيَّ عامر بن فُهيرة يوم بئر معونة،
وكان هذا الحدثُ سبباً في إسلامه!
ذاك أنَّه لما طعنَ عامرَ بن فُهيرة، قال عامر: فزتُ والله!
فقال جبَّارُ في نفسه: كيف فاز وقد قتلته!
وعلِقَ الحدثُ في رأسه، فبحث في هذا الدِّين،
ثمَّ قَدِمَ على النَّبيِّ ﷺ وأعلن إسلامه،
وكان كلَّما سمع باسم عامر بن فهيرة قال: فاز والله!
الموتُ ليس نهاية الحكاية إنَّه بدايتها فقط،
يحفرونَ قبرك، يُنزلونك فيه، يهيلون عليك التراب ويمضون،
ثم تبدأ الرِّحلة الحقيقيَّة، وتسيرُ القافلةُ نحو وجهتها النهائيَّة،
لا العُمر الطويل شافع، ولا تعداد السَّنوات نافع،
من خرج منها بالصَّلاح فاز، ومن خرج منها بالفجور هلك،
وما القبور إلا صناديق الأعمال!

292
زيدٌ خيرٌ منِّي!

روى الحكيم التِّرمذيُّ من حديث جبلة بن حارثة أخو زيد قال:
أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقلتُ له: أَرْسِلْ معي أخي!
فقال: ها هو ذا بين يديكَ، إن ذهبتَ فلستُ أمنعه!
فقال زيد بن حارثة: لا أختارُ أحداً عليكَ يا رسول الله!
فأسلمَ جبلة، وكان يُسأل: أأنتَ أكبر أم زيد؟
فيقول: زيدٌ خيرٌ منِّي، وأنا وُلدتُ قبله!
الاعتراف بمزايا الآخرين من خُلق الصَّالحين،
أما قال موسى عليه السّلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾!
وإنكار مزايا الآخرين من خُلق الطالحين،
أما قال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾!
فنقِّ قلبكَ، وطهِّرْ لسانكَ، وكُن من الصَّالحين!

293
كلَّمَا أذنَبتَ فتُبْ!

روى الطّبرانيُّ في الأوسط من حديث عائشة قالت:

جاء حبيبُ بن الحارث إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله، إنِّي مقرافٌ للذُّنوب!

فقال له: تُبْ إلى الله يا حَبيب!

فقال: يا رسول الله، إنِّي أتوبُ ثم أعود!

فقال له: فكلَّما أذنبتَ فتُبْ!

فقال: يا رسول الله، إذنْ تكثُر ذنوبي!

فقال له النّبيُّ ﷺ: عفوُ اللهِ أكثر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث!

إيَّاك أن يُقنِعَك الشَّيطان أن ذنبكَ أكبر من عفو الله،

وإيَّاك أن يجعلك تخجل من العودة إلى الله مهما كثرتَ ذنوبك،

وإن أذنبتَ في اليوم ألف مرَّة فتُب إلى الله ألف مرَّة،

ما دمتَ تعصي ثمَّ تعود كلَّ مَّرةٍ منكسراً فأنت على خير،

إنَّ الله لا يُغلقُ بابه بينه وبين عبده إلا إذا أغلقه العبدُ بنفسه،

هي معادلة واحدة: إن لم تستطِعْ أن تتخلَّص من معصيةٍ فزاحِمْها بالطاعات!

294

إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ ينهى!

في كتاب أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير:
كان جثَّامة بن مُسَاحِق بليغاً وسيماً،
وكان عمر بن الخطَّاب يُرسله إلى هرقل بالبريد بينهما،
ويقولُ جثَّامة عن بعض دخوله على هرقل:
جلستُ على شيءٍ ما أدري ما تحتي،
فإذا هو كرسيٌّ من ذهبٍ، فنزلتُ عنه مسرعاً!
فضحكَ هرقل وقال: لمَ نزلتَ عن هذا الذي أكرمناكَ به؟!
فقلتُ: إني سمعتُ رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا!
اذهبْ حيثُ شئتَ ولكن خُذْ دينك معكَ،
لا تكُنْ كالحرباء تتلون بحسب المكان الذي تكون فيه،
افخَرْ بدينك ولا تخجلْ به، النّاسُ يحترمون صاحب المبدأ،
ولا يكن الهُدهد أعقل منك،
إذا لم تفتنه حضارة سبأ أن يرى شِركهم وسجودهم للشَّمس!

295
أعتقِي رِقاباً!

أخرج أبو نُعيم في الحلية من حديث جُبير مولى كبيرة قال:
أخبرتني مولاتي كبيرة بنتُ سُفيانٍ قالتْ:
قلتُ يا رسول الله، إنِّي وأدتُ أربع بناتٍ في الجاهلية!
فقال لي النَّبيُّ ﷺ: أَعتِقي رقاباً!
فأعتقتُ أباك سعيداً، وابنه ميسرة، وأمَّ ميسرة، وأنتَ!
من تمام التوبة إتباعها بالأعمال الصّالحة،
وخير الأعمال ما كان من جنس الذّنب!
فإن كان ذنبُك في الزِّنى فاجمع زوجين بالحلال تحتسب هذه توبتك،
وإن كان ذنبُكَ في المال فأكثِرْ من الصَّدقة،
وإن كان ذنبُكَ في الخمر فأكثِرْ من سقاية الماء،
وإن كان ذنبُكَ في الغيبة فأكثِرْ من الذِّكر والاستغفار،
كل الأعمالِ الصالحة كفَّارات ولكن تخَيَّرْ منها أشبه ذنبكَ!

296
فَأَكْرِمُوهُ!

في كتاب أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير:
أسلم جرير بن عبد الله قبل وفاة النَّبيّ ﷺ بأربعين يوماً،
وكان وسيماً جداً، وكان عمر بن الخطَّاب يقول عنه: جرير يوسفُ هذه الأمة!
وهو سيّدُ قومه، وقال النّبيُّ ﷺ لما دخلَ عليه جرير فأكرمه:
إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرموه!
وروى الإمام أحمدً في المسند من حديث جرير بن عبدِ الله:
ما حجبني رسول الله ﷺ منذ اسلمتُ، ولا رآني إلا ضحك!
احترام جميع النَّاس حقٌّ من حقوقهم عليكَ،
وليس كرماً منكَ تتكرَّمُ به عليهم!
النّاس مناصب، ومراكز، وأنساب، وأوضاع مختلفة هذا حقٌّ،
ولكنَّهم من حيث الكرامة الإنسانيَّة والحقوق سواء،
ولكنَّ هذا الدِّين العظيم يُنزل النَّاس منازلهم،
ما يُعطى لابن السَّبيل لا يُعطى لعزيز القوم،
واللُّغة التي يُخاطب بها الصَّديق تختلف عن التي يُخاطب بها الوزير،
أنتَ تختار ثياباً بحسب المناسبة، فاخترْ تعاملاً يليق بالنَّاس!

297

فعاقِب بقَدْرِ الذَّنبِ!

روى الطّبرانيُّ في الأوسط:

إنَّ رجلاً من الشّام يُقال له جَزْء،

قال للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ أهلي يعصونني، فبِمَ أعاقبهم؟

فقال له: تغفِر!

ثم أعاد عليه قولته، فقال له: تغفِرْ!

ثمَّ أعادها مرَّةً ثالثةً فقال له النَّبيُّ ﷺ:

فإنْ عاقبتَ فعاقِبْ بقدر الذّنب، واتَّقِ الوجه!

يضربُ الرَّجلُ زوجته فنحسبُ أنَّها أتتْ أمراً عظيماً،

فإذا بالطَّعام مالح، أو بالغذاء تأخَّر!

ويُهان الابن ويُعاقب فنحسبُ أنّه قد فعل الموبقات،

فإذا بعلامة الامتحان ليست كاملة!

التغاضي والعفو من شيم النُّبلاء، وكان الأوائل يقولون:

نِعمَ الرَّجلُ الذي فيه تغافل السَّادة!

ولكن إن أردتَ أن تُعاقب فلا تكُن أهوج!

298
لا تُغفِلوُا آل جعفر!

تقولُ أسماء بنت عميسٍ: لمَّا أُصيبَ جعفر وأصحابه،
دخلَ عليَّ رسول اللهِ ﷺ وقد عجنتُ عجيني،
وغسلتُ بَنِيَّ ودهنتهم،
فقال النّبيُّ ﷺ: إِئْتِينِي ببَنِي جعفر!
فأتيتُه بهم، فشمَّهم، ودمعت عيناه!
فقلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟
أبلغكَ عن جعفر وأصحابه شيء؟
قال: نعم، أُصيبوا اليوم!
فقمتُ أصيحُ وأجمعُ النِّساء!
ورجعَ النّبيُّ ﷺ إلى أهله وقال: لا تُغفِلوُا آل جعفر فإنَّهم قد شُغلوا!

الحياة تشغلُ أهلها، أمَّا في المصائب فالنّاسُ للنَّاس،
فإذا قام العزاءُ في بيت الجارِ فكُن بجانبه تعزيةً وإطعاماً،
يُحبُّ النّاسُ أولئك الذين يجدونهم قربهم عند جروحهم،
ما فائدة الجيرة والصَّداقة والمحبَّة وعندما أحتاجك لا أجدك!

299

وكان أخيرَ النَّاسِ للمساكينِ جعفر!

روى التِّرمذيُّ من حديث أبي هريرة قال:
كنتُ أُلصِقُ بطني بالحصباء من الجوع!
وكنتُ أسألُ الرَّجل عن الآية وأنا أحفظها،
كي ينقلبَ بي إلى بيته فيطعمني!
وكان أخير النَّاس للمساكين جعفر بن أبي طالب،
كان ينقلبُ بنا فيطعمُنا ما كان في بيته!
ما سيذكره النّاس عنكَ هي لمستُك في أيامهم!
البطون الجائعة التي أطعمتَها لن تنساكَ أبداً،
والخواطر التي جبرتها ستحفظُ وجهكَ إلى الأبد،
والدُّموع التي مسحتها ستلفظُ اسمكَ كأنَّها تصِفُ مكاناً آمناً!

300

خمرِّي عليكِ نحركِ!

في كتاب أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير:
يروي الحارث بن الحارث الغامدي وله لأبيه صُحبة،
أنَّهما قدما مكّة في الجاهلية فسمعا جلبةً،
فقلتُ لأبي: ما هذه الجماعة، فقال: قومٌ اجتمعوا على صابئٍ لهم!
فأشرفنا فإذا النَّبيُّ ﷺ يدعو النَّاس إلى الله،
وهم يؤذونَه، وينالون منه، حتَّى إذا ارتفعَ النهار تركوه!
فأقبلت امرأة تحملُ قدحاً ومنديلاً، قد بدا نحرها تبكي!
فتناول القدحَ، فشربَ، ثمَّ توضأ، ثمَّ رفع رأسه إليها وقال:
يا بُنيَّة، خمِّري نحرَكِ ولا تخافي على أبيكِ غلبةً ولا ذُلّاً!
فقلتُ: من هذه؟ فقالوا: هذه ابنته زينب!
لم يُنسِه هول ما فيه أن ينظر في لباسِ ابنتِه،
ولم يَهُن عليه وهو المصاب بكل هذا أن يبدو نحرها،
وأنتَ، لا تشغلنَّك الدُّنيا عن لباسِ أهلك وحجابُهنَّ فإنَّك مسؤول،
فإن لم يكُن هناك دين والعياذ بالله، فأين المروءة؟!